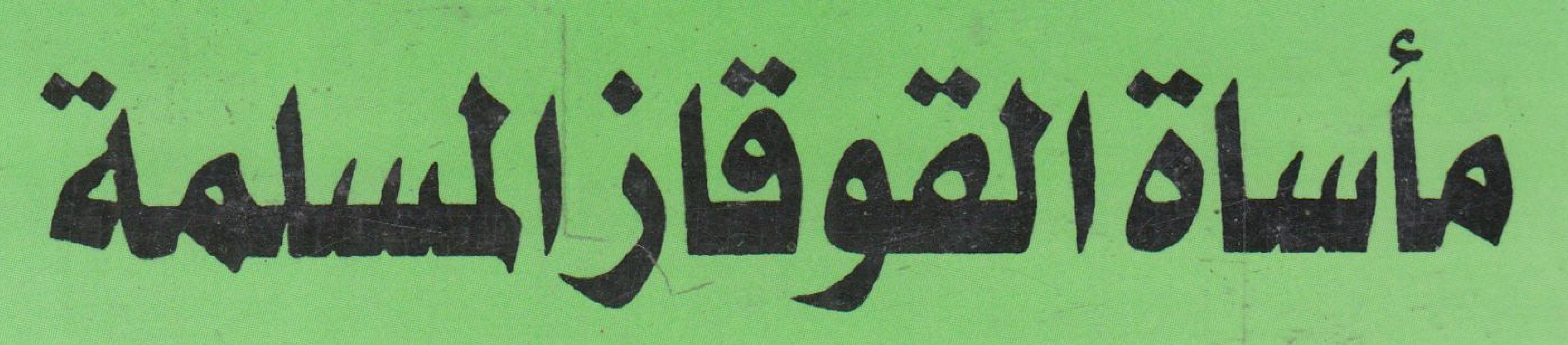


مأساة القوقاز المسلمة

وملحمة الشيشان الصامدة

الجذور ... والأسباب

سعيد عبد الحكيم زيد

الواقع المر للأقليات المسلمة فى العالم

مكتبة وهبة

الواقع المر للأقليات المسلمة فى العالم

مأساة القوقاز المسلمة

وملحمة الشيشان الصامدة

الجذور... والأسباب

سعيد عبد الحكيم زيد

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية. عابدين
القاهرة. تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

"إلى من غرس فيَّ وأنا في بكور طفولتي الطريق إلى الله .. إليك يا والدي وأنـــت في منازل الرضوان إن شاء الله.. أكتب هذه السطور.. هدية مني إلى روحك الطاهرة"

ثم..

إلى الأمة التي فقدت الإحساس بمحنة إخوة لنا في العقيدة !! الأمة التي كـــانت .. يوم كان قادتها للدين والعقيدة .. ثم انـــهارت يـــوم أصبـــح معظـــم حكامـــها لنزواتـــهم وثرواتهم.. يبيعون دينهم بدنياهم، فخسروا الدين، والدنيا معا !!

إلى الشعوب المخدرة التي هي في حاجة إلى من يوقظها !! إلى العالم الإســـــلامي اللاهي عن مصيره!!

إلى الذين يرتكبون جريمة السكوت عن الجريمة .. حكومات وأفراد..

إلى الذين شنت عليهم ولا تزال حروب الإبادة المجردة من كل ما يمت إلى الآدميـة بصلة..

إلى من أحيوا فريضة الجهاد وتمسكوا بدينهم في وقت مرق فيه السواد الأعظـــم من المسلمين منه كما يمرق السهم ..الذين علموا العالم العربي والإسلامي روح الجـــهاد والبذل والتضحية والفداء .. الذين حملوا القرآن والسلاح وهتفوا : في سبيل الله نمضي، نبتغي رفع اللواء ، وليعد للدين مجده ، وليعد للدين عزه ، ولترق منا الدماء ..

إلى الذين قضوا نحبهم وهم يحاولون رفع اللـــــواء فـــوق ذرى جبـــال القوقـــاز، وكشمير، وفلسطين ، ولبنان ،وكل أرض إسلامية..

إلى أرواح الشهداء الذين قدموها رخيصة غالية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَـمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آل عمران ١٦٩ ــ ١٧١

ثم إلى الذين لايزالون على الطريق يخطون بدمائهم أروع آيات البطولة ويرسمون خط التاريخ بجهادهم متطلعين إلى قيام دولة إسلامية تـــؤدى الدعـــوة الإســـلامية فـــي ظلالها.. الذين آمنوا بالحقيقة الإيمانية : "الله لا يقهر ..:الله لا يهزم .. الله أقـــوى مـــن روسيا.. والله أقوى من أمريكا ..ومن كل قوى البغي والعدوان."

وصدق الله العظيم القائل : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُـــلِي إِنَّ اللَّـــهَ قَـــوِيٌّ عَزِيـــزٌ﴾ المجادلة ٢١، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيـــرٌ﴾ الحـــج ٣٩، وغدا ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ الشعراء ٢٢٧.

ثم إلى الذين جعلوا من جماجم أبنائهم عزا للإسلام .. وصبروا على البــلاء ولــم يجزعوا ولم يتضجروا. إلي الشيشان الصامدة والقوقاز الصابرة ، وكل الأقليات المســلمة المستضعفة المعذبة فوق أرض الله .. أقول .. صبرا إن موعدكم الجنة . .وأقــول إن أمة جعلت في نشيدها كلمة التوحيد تتردد في كل بيت ، ورضعت حليب الكرامة والعــزة من دينها ، واستعصت على الروس في تغيير عقيدتها خلال قرنين ونصف من الزمـــان ، لهي جديرة بالحياة .

المقـــدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومـــن سـيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشـــهد أن لا إلـــه إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . وبعد :

فهذه صفحات كنت قد كتبتها منذ زمن ، ثم طويتها لظروف ألمت بي بعـــد فقــدي لوالدي ــ رحمه الله تعالى ــ ثم عادت بفضل الله نفسي إلى الهدوء والسكينة ، فــي ظــل الإيمان المطلق بقدرة الخالق جل وعلا وإرادته .. وعدت إلى هذه الصفحـــات المطويــة لأبعثها مرة أخرى إلى النور ، تقربا إلى الله وزلفى ، ثم..لإماطة اللثام عن قضايـــا أمــة الإسلام والمسلمين ، أولئك الذين يتعرضون لمحن وابتلاءات ، وكوارث ونكبـــات .. مــا تنتهي كارثة إلا وتتلوها كارثة ، وما تزول أثر نكبة إلا وتقع أخرى ، وما يكـــاد المــرء ينسى محنة من محن المسلمين ، حتى يفجع بمحنة جديدة أكثر منها هولا وأشد خطـــرا .. مآسي ومصائب لا تنتهي !! اليهود والنصارى والوثنيون ، وملل وطوائف ، وأهل أهــواء وشهوات ، يعملون ضد الإسلام وأبنائه ويكيدون ، مجتمعين ومتفرقين .. وأبناء الإســـلام في غفلة نائمون ، لا توقظهم المصائب ، بعد أن شـــغلتهم أموالـــهم وأهمتـــهم دنيـــاهم ، فخسروا دينهم ودنياهم !!

وترددت كثيرا وأنا ألج باب هذا الموضوع ، لأن قضايا العالم الإســـلامي قضايـ بالغة التعقيد ، ولها حساسيتها والتي قد تجلب البلاء ، أو قد تلصق التهم علـــى كـــل مـــن يتناولها .. ولكني استخرت الله بعد أن رأيت أن التخويف بالتهم لا ينبغي أن يكون حـــاجزا للاجتهاد والبحث عن الحقيقة والجرى وراءها أيا كانت الصعوبات ، ولم يعجزني الـــتردد عن طرق الباب ، ولم يحرمني التخوف من ممارسة بعض دوري وواجبي فـــي مســـاندة المظلومين من أبناء أمتي الرافضين للهيمنة ، والمطالبين بالحق والعدل والمساواة ، وطالما أنه لم يتح لنا الذهاب للجهاد مع الفئة المؤمنة الصابرة المحتسبة ، فلا أقل مـــن أن أكتـــب كلمة أعتقد مؤمنا أنها واجب لا فكاك منه ولا محيص عنه ، إذ لا عذر لمسلم لديه شـــيء من علم بقضية تهم المسلمين ، ثم يكتم هذا العلم ويحبسه في صدره ، ولا يسعى لإخراجـــه للناس ينير به طريقا ، ويدفع ظلما ، ويؤيد حقا ، وينصر ضعيفا مضطهدا ، ويقـــف فـــي وجه جبار ظالم عنيد ..وحسبي هنا أني اجتهدت ..

وقضية القوقاز والشيشان ، هي قصة الإسلام الجريح الذي تكالبت عليه الأمم مـــن كل صوب وحدب وتداعت ، بعد أن أصيب المسلمون بالوهن ، وأحبـــوا الدنيـــا وكرهـــوا الموت ، .. وصدق عليهم وعد نبيهم (تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتـــها ، فقالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ..؟ قال : لا .. بل أنتم كثير ولكنكم كغثاء السيل).

إنها قضية الواقع المر الذي تعيشه الأقليات المسلمة في كل مكان .. في البوسنة والهرسك ، والفلبين وفلسطين ، وبورما وكوسوفا ، وفطاني وتشاد ، وجامو وكشمير .. قضية كل المستضعفين والمعذبين المظلومين بأيدي أعداء الله .

ولقد نبتت فكرة هذا الكتاب مع مطلع التسعينيات ، مع الأحداث المؤلمة التي تعرض لها المسلمون.. مع أحداث أوروبا الشرقية وتفكك الاتحاد السوفييتي ، ومآسي المسلمين في البوسنة والهرسك والبلقان .. ووجدت مما يبعث الحزن والأسف أن الأكثرية الساحقة من أبناء المسلمين لا تكاد تعرف شيئا عن تاريخ الشعوب الإسلامية ، ولا عن الأوضاع المريرة التي تعيشها هذه الشعوب في دينها وتراثها وحياتها الاجتماعية والاقتصادية ، والقهر الذي تعانيه . بعد أن نجح الخبثاء من أعداء الأمة في إلغاء ذاكرتها التاريخية بل وإعدامها ومايزالون!![1]

لقد أثبتت الأحداث أن معظم المسلمين كانوا يجهلون حقيقة هذه الشعوب الإسلامية ، ولم يعرفوها إلا بعد تلك الأزمات ، وفي الوقت ذاته يعرفون عن تاريخ وجغرافية أوروبا وأمريكا الكثير والكثير .

مع ظهور تلك الأحداث الجسام ، التي زلزلت الوجود الإسلامي ، تساءل الكثيرون من أبناء المسلمين ، عن شعوب إسلامية كانت مجهولة الجغرافيا ، ومجهولة التاريخ ، لإخوة العقيدة والدين ، تواجه في ظل ما يسمونه بالنظام العالمي الجديد ــ والعالم على عتبات القرن الحادي والعشرين ــ تحديات مختلفة خطط لها بدهاء .. تمتزج بأحقاد وضغائن ، وكراهية عمياء للإسلام وأهله .. فترتكب أبشع الجرائم والمذابح على مرأى ومسمع من العالم كله ، ومؤسساته الدولية ، وعلى مرأى ومسمع أمريكا والغرب ، ودولا تدعى أنها تتمسك بالأرثوذكسية ، وتزعم أنها تسير على النهج القديم والقويم للمسيح عليه السلام ، وتحت سمع وبصر الأمم المتحدة ومجلسها الأمني ، وتدمر القرى والمدن ، وتباد

---

(١) في معرض حديثه عن جمهوريات آسيا الوسطى يقول الدكتور محمد عبد القادر أحمد الأستاذ بكلية التربية جامعة البحرين : " كنت أشرف على مجموعات من التربية العملية في مصر وبعض البلاد العربية ، وكنت أختبر الطلاب فأسألهم عن جمهوريات إسلامية .. موقعها .. عدد سكانها .. أسمائها فلم أجد منهم إلا جهلا تاما وعدم معرفة من الجميع طلابا ومعلمين ، ثم راجعت مناهج كثير من مراحل التعليم في وطننا العربي فوجدتها تكاد تكون خالية من التعرض لهذه البلاد !! .. ويستطرد الأستاذ قائلاً: " فإذا كان هذا هو حال الدارسين في وطننا العربي وبلادنا الإسلامية، فماذا يكون حال بقية أفراد الوطن من أنصاف المتعلمين أو الأميين ومادام الأمر كذلك فلا يعرف أحدنا المعاناة والقسوة والظلم الذي حل بالمسلمين في هذه البلاد على يدالروس الذين قاوموا ويقاومون الثورات التي يقوم بها المسلمون من أجل الاستقلال " ثم يقول جزاه الله خيرا:"إن من العار علينا كمسلمين وعرب ألا نعرف شيئا عن هذه الجمهوريات الإسلامية وعن ساكنيها وعما يرتكبه الروس فيها من إبادة للإسلام والقضاء عليه .. ولا يقتصر اللوم على مناهج التعليم فحسب بل اللوم وسائل الإعلام في الدول العربية والإسلامية من إذاعات مسموعة ومرئية وصحف ومجلات لعدم منحها القدر الكافي والحيز المناسب للتعريف بهذه البلاد ومن فيها من إخوة لهم علينا حق المساعدة والوصل".

الشعوب وتهان ، ويطرد الملايين من مساكنهم ، إلى مناطق يقاسون فيها من زمهرير الشتاء ، وقيظ الصيف والجوع ، وفي معسكرات الاعتقال تمارس معهم أحط الأساليب الخسيسة ..مع الأبرياء من النساء والأطفال ، ومع الأسرى والمعتقلين .

وتخرج هذه الصفحات - إن شاء الله تعالى – في هذا الوقت العصيب الذي تستعر فيه الحرب في القوقاز ، ولا تزال الساحة الدولية تشهد اعتداءات الروس على الشعب الشيشاني المسلم ، ولا تزال المعارك البطولية دائرة ليل نهار بين نفر من الرجال باعوا دنياهم بآخرتهم ، مجاهدين في سبيل الله مرابطين في جوف الليل ، واثقين من وعد الله بجنات عرضها السموات والأرض ، لهم حسابات تختلف عن حسابات البشر العاديين ، لاتخيفهم دبابات الروس الملحدين ولا طائراتهم التي تزمجر في السماء ملقية بآلاف الأطنان من القنابل .. يغيرون وجه التاريخ بصمودهم البطولي.. يقتل الواحد منهم ولسان حاله يقول ما قاله إمام المجاهدين صلى الله عليه وسلم (وددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ..ثم أقتل ..) ويتمثل الواحد منهم قول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران ١٧٣.

آمل أن يكون هذا الجهد المتواضع قد سد ثغرة في المكتبة العربية الإسلامية، والتي تبقى بحاجة ماسة ودائمة لمؤلفات تعرف القارئ بجغرافية الأمة المسلمة وتاريخها، استنهاضا لهممها التي تعرضت وتتعرض لأقسى النكبات ، وإذكاء لمشاعر عزتها وكرامتها ، ولتتصدى الأمة للمؤامرات المحدقة بها من كل صوب وحدب ، ولتستجمع شتات قوتها ، ولتنهض من كبوتها ، وتستأنف سيرها بعد ما آلت إليه أحوالها من تنافر وتخاصم .

وبعد : فإنه مما لا شك فيه أن احتمال السهو والخطأ يظل واردا، وبالرغم من كل ما بذل في سبيل تجنبها من حرص واحتياط ، فالمؤلف يعتذر مقدما عما يكون قد وقع من خطأ ، وجزى الله خيرا من أسدى إلينا النصح والتوجيه ، وعلى الله قصد السبيل .

الله أسأل أن ينفع به ، وهو ولي التوفيق .. لا إله غيره ولا رب سواه .

سعيد بن عبد الحكيم حسن زيد
جزيرة المحرق – البحرين
غرة ربيع أول عام ١٤٢١ هجرية
الثالث من يونيو ٢٠٠٠ ميلادية

تمهيد

بين يدي البحث

دروس من الماضي والحاضر.

[١] هل نحن أمة تفقه التاريخ ؟

[٢] القوى المعادية للإسلام تتحرك لتعوق مسار الإسلام ، ولتصفية الوجود الإسلامي .

- أفريقيا القارة المسلمة والاستعمار الأوروبي والتبشير االصليبي .
- أوروبا والإسلام .

[٣] ابتلاءات ومحن .

[٤] حقيقة الإرهاب وقانون الجهاد .

- يا أمة الإسلام لم لاتقاتلون في سبيل الله ؟؟
- التحديات والمخرج من المحنة .

تمهيد

بين يدي البحث
دروس من الماضي والحاضر

(١)

هل نحن أمة تفقه التاريخ ؟

ماهية التاريخ :

التاريخ علم يبحث في أحوال الناس وحركتهم علي سطح الأرض .. معاملاتهم مع الحق سبحانه وتعالى ..مع رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، ومدى استقامتهم وانحرافهم عن المنهج الذي جاءوا به ..معاملاتهم مع الناس من حولهم أفرادا وجماعات .. تفاعلهم مع الكون ومدى استفادتهم مما سخر الله عز وجل لهم[1].

فقه التاريخ .. ضرورة :

والتاريخ ذاكرة الجنس البشري .. ذاكرة الأمة وسجل أحداثها .. وأمة بلا تاريخ أمة بلا مستقبل ، ونسيان تاريخنا فقدان لذاكرتنا ، لذلك فإن دراسته ضرورة للبناء وسبب للحياة ، فهو كنز يحفظ مدخرات الأمة في الفكر والعلم والثقافة ، ويمدها بالحكمة التي تقتضيها رحلتها مع الزمان ، لذا كان عليها أن تعيه وتستفيد منه ، كي تسير في طريق الأمن والأمان ، وحتى تتمكن من أداء رسالتها كاملة .

والأمة التي لا تحسن الفقه بتاريخها أمة فاقدة الوعي .. مريضة تائهة عن حقيقتها وعن دورها ..لذا كان فقه التاريخ ضرورة لكل أمة تريد أن تبقى .. به تستكشف عوامل النهضة وأسباب الانحطاط ، لأنه يحوي حوادث متشابهة ومواقف متماثلة ، إذا ما أدركها المرء تبين له مواقع الخطأ وأحسن التعامل معها ، وتفادى حدوثها ، وسعى إلى تجاوزها بعد أن أخذ الدرس والاعتبار من الأحداث السابقة ، وطبيعي أن الذي يعلم تتكون لديه الخبرة والبصيرة ، أما الذي يجهل فليس لديه إلا الحيرة والقلق والخوف .

وبالتاريخ تتحرر الأمة مما فرض عليها ومما هي فيه .. وبه تتبين الطريق في الحاضر والمستقبل ، وهو بالنسبة للأمة المسلمة شرط وجودها وحياتها ، إذ كيف تستغني

---

(١) محمد صامل السلمى ــ منهج كتابة التاريخ الإسلامى ــ دار الوفاء

مثلا عن معرفة سيرة نبيها ، وعن السنة النبوية المطهرة ، وعـــن معطيــات حضارتـــها الإسلامية عبر القرون .. وعن معرفة الذين قادوا الأمة عبر الحقب والعصور من راشدين وأمويين ، وعباسيين ومماليك ، وأيوبيين وعثمانيين وغيرهم .. أبو بكر وعمر ، وسـلمان وصهيب ، وعثمان وعلى ومعاوية ، رضي الله عنهم ، وهارون الرشيد وصـــلاح الديـن الأيوبي ، ومحمد الفاتح ، ونور الدين محمود ، وسيف الدين قطز ، إنـــهم تجربتنـا فـي التاريخ وعبرتنا ..وهم كياننا الحضاري أكثر من كل الفراعنة الذين سخرونا ، وبنوا علـى أكتافنا مقابرهم التي أسموها بالأهرامات ..وعجائب الدنيا السبع .

إن في دراسة التاريخ عبرا لمن يريد الاعتبار .. في السلم والحرب .. في التضحيـة والفداء ..في المحبة والتسامح . فيه دروس لمن يريد أن يعرف ما تنطوي عليـه نفـوس أعدائنا من حقد وحسد ، وبغضاء وعداوة للإسلام والمسلمين .. منه نعـرف أن الله تعـالى سننا ربانية في الكون ، قال الله تعالى : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ آل عمران ١٣٧.

حاضر العالم الإسلامي

دعاني نفر من المثقفين إلى إلقاء محاضرة عن حـاضر العـالم الإسـلامي، مـع احتفالات العالم بالألفية الثالثة، فتأملت في مصور الدنيا ..خارطة العالم ، وأمعنت النظـر مليا في مواطن الشعوب الإسلامية ، ثم انتابتني حيرة وتساءلت فيما أتحدث مع صفوة مـن المثقفين المهمومين بقضايا أمتهم الإسلامية .. الجراحات كثيرة ، وتنزف في جسم الأمـة المسلمة في كل مكان ..في أراكان ..في فطاني .. في أرخبيل الفلبيـن .. فـي أرخبيـل أندونيسيا .. في كشمير وشبه القارة الهندية .. الجراح مثخنة في البلقان ..والبراكين تلقـي بحممها فوق رؤوس الأبرياء ، فالشيشان تحترق والقوقاز مشتعلة ..

شعوب تباد وشعوب تهان !! شعوب تتعرض للطرد مـن أراضيـهم ، وتغتصـب نساؤهم وفتياتهم ، وأخرى تتعرض للقتل والسجن والتعذيب واغتصاب للرجال والنسـاء ، وأفعال يندى لها جبين الإنسانية !!

جالت بخاطري وأنا أحلق في شبه القارة الهندية .. خواطر شـتى .. مؤتمـرات الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ، وجواهر لال نهرو ، وأنديرا غاندي ، والمجازر الوحشية التي ارتكبت وترتكب في حق المسلمين داخل الهند وفي جامو وكشـمير .. ثـم أسـواق العمالة العربية المفتوحة على مصراعيها أمام أعداء الله من الهندوس والسـيخ ، وأمـوال النفط التي يغترفون منها ، لتتحول إلى رصاصات تستقر في صدور المسلمين والمسلمات، وما نرتكبه من إثم كبير في حق الله والدين والوطن ، وكيف أن هذه العمالة وآثارها جـزء من مؤامرة كبرى ضد الأمة المغلوبة على أمرها بعد أن أضلها الله تعالى، لإصرارها على

الضلال .. ثم انتقلت إلى أرخبيل أندونيسيا ونتائج حملات التنصير التي قادتها الروح الصليبية المتعصبة المبغضة للإسلام والمسلمين ، وكيف أثمرت وأشجرت بفصل جزيرة تيمور ، وأثمرت بأن يتولي السلطة ، الزعيم المسلم العاجز الذي يهرول نحو إخوان القردة والخنازير يسترضيهم ويستعطفهم ، وغيره من الزعماء ـ عملاء اليهود والماسون ، الذين قدموا لأسيادهم الشيوعيين والنصاري الصليبيين السوفييت والأمريكان ، الكثير والكثير على حساب دينهم وأمتهم !!

ثم وجدتني فجأة وكأني عثرت على ضالتي المنشودة ، فجالت بخاطري بعض ذكريات مضت ، أيام أن كنا صغارا نخرج من مدارسنا وجامعاتنا ، رافعين الأعلام الروسية احتفاء بقدوم الرئيس الروسي نيكيتا خروتشوف ، والرفيق ليونيد بريجينيف ، وغيرهم ممن أفلحوا في خديعة قيادات وزعامات كانت جاهلة قصيرة النظر ، وجلبت الهزائم تلو الهزائم لأمتهم ، بعد أن استجابوا لنصائح أصدقائهم السوفييت ، بألا يكونوا هم البادئين بالضربة الأولى ضد إسرائيل في عام ١٩٦٧م . فكانت الهزيمة العسكرية والنفسية المروعة والقاسية لمصر والأمة العربية والإسلامية ، بسبب خيانة الروس للعرب والمسلمين !! كان الروس يتحدثون عن الصداقة والمعونات ، ويبيتون الغدر والخيانة !! ولم تتبين القيادات الجاهلة طبيعة الروس الحاقدة مع المسلمين ، من خلال تاريخهم الدموي الأسود مع الشعوب المسلمة ، ولم يستفيدوا من تجارب المسلمين المريرة معهم عبر التاريخ ، فهم الذين هادنوا المسلمين إبان هزيمة القوات الروسية أمام اليابان عام ١٩٠٥م، زمن القياصرة ، وخلال الحربين العالميتين الأولى والثانية ، حين ضربتهم القوات الألمانية بعنف وبشدة ، فتساهل الروس ـ تكتيكيا ـ مع المسلمين، حتى إذا ما خرجوا من أزمتهم عادوا إلى طبيعتهم الغادرة مع المسلمين . وما نداء لينين للمسلمين ، وما أعقبه بعد نجاح البلاشفة من هوان وذل وقتل وإبادة وتهجير قسري ، وترويس لملايين المسلمين في الامبراطورية الروسية ببعيد !

لقد صاغ لينين وستالين إعلانا ونداء بطريقة خدعت الشعوب الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز ، ففي ١٥ نوفمبر ١٩١٧م في وقت كانت ثورتهم الشيوعية ضعيفة في بداية عهدها ، وتتلمس سبل القوة والنصرة من المسلمين ، رفع الروس شعارات العدل والمساواة وإزالة الظلم والاضطهاد اللذين وقعا على المسلمين في عهد القياصرة الروس ، وقالوا في ندائهم : " يامسلمي روسيا .. ياتتار القرم والفولجا ..يأهل قرغيز وتركستان .. ياأتراك وتتار القوقاز ، يامن هدمت مساجدهم ودمرت دور عباداتهم ، ويامن سحقت دياناتهم وعاداتهم ومؤسساتهم .. من الآن فصاعدا مؤسساتكم حرة ولا يمكن انتهاك حرماتها "

وخدع المسلمون، وسرعان ما انقلب الروس الملاحدة عليهم، واجتاح الجيش الأحمر بلادهم وأذاقهم الويلات، وكانت الحرب التي لا هوادة فيها ضد الإسلام والمسلمين.

وحين استعان المصريون بعد حرب ١٩٦٧م بالروس ، لم يف الروس لهم بتعهداتهم في تدريب الضباط المصريين ، وفي توريد الأسلحة الحساسة ، وقالوا لهم لماذا تريدون تدمير إسرائيل ؟!! بل كانوا يمدون الصهاينة بالمعلومات عن المواقع العسكرية المصرية ، وتم ذلك من خلال إشارات لا سلكية لمحادثات باللغة الروسية التقطت بين الخبراء الروس الذين كانوا يعملون في غرب قناة السويس حينئذ ، وزملائهم من اليهود الروس الذين كانوا يعملون في الأرض المحتلة، جاء ذلك في مذكرات الفريق مدكور أبو العز، قائد سلاح الطيران المصري في ذلك الوقت .

إن تاريخ الروس مع المسلمين ، تاريخ أسود ، ملطخ بالدم والعار والخديعة منذ مئات السنين ..منذ أيام قياصرتهم إيفان وفاسيلي وبطرس وكاترين ونيقولا والكسندر.. إلى أيام الشيوعيين الحمر ابتداء من لينين ومرورا بستالين وخروتشوف وبريجينيف وجورباتشوف ويلتسين وبوتين.. تاريخ تثبت وقائعه شدة الحقد الأسود الذي تضمه صدورهم على الإسلام والمسلمين .. الحقد الذي لا يكتفي بإخضاع الشعوب ونهب الثروات ، ولا بهدم المدارس وتدمير ا لمساجد ، وإنما باقتلاع كل أثر للإيمان والإسلام في صدور ونفوس المسلمين .. إنها النيران المشتعلة والمستعرة في قلوب الكفار ضد الإسلام والمسلمين منذ فجر التاريخ ، ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ البقرة ١٢٠

ولن يرضوا بأقل من إخراج المسلمين من دينهم .. إن ما يجري اليوم في الشيشان والقوقاز ، هو حلقة من مسلسل دامي رهيب ضد الإسلام والمسلمين ، بدأ منذ القرن الخامس عشر الميلادي ولم ينته بعد !! ولقد ظلت الشيشان منطقة تحدي مستمر ضد روسيا منذ أكثر من مائتي عام ، وتاريخ الشعب الشيشاني تاريخ شعب محارب ، عاشت فصائله وقبائله منذ فجر التاريخ فوق الجبال والسهول ، التي هي من أغنى مناطق القمح ، ومنذ فجر التاريخ مر فوق هذه الجبال وعبر شعابها غزاة وفاتحون أوربيون وآسيويون ، وغرزت فوق أرضها عقائد وأديان كثيرة ..وثنية وسماوية ، مسيحية ويهودية ..إلى أن جاء الإسلام .. الكل مر من هناك ، ولكن أحدا لم يستقر ، إلا الإسلام مر واستقر !! ومنذ آلاف السنين كانت لشعوب القوقاز علاقات غامضة مع فراعنة مصر ، وكانت لهم ثروات وأسرار تحت سقف الجليد ! قامت شعوب المنطقة بمحاصرة المد الروسي لبلاد المسلمين ، فتصاعدت الأحقاد ضد التتار والمغول في الامبراطورية الروسية ، وكانت حروب التحرر والجهاد ضد الجيش القيصري ، ضد يرمولوف ، والكسندر الأول ، وأذلهم

المجاهدون بقيادة الإمام شامل قرابة الخمسين عاما ، ثم كانت ثورات الفلاحين ضد الشيوعيين أعوام ١٩٢٤، ١٩٢٨، ١٩٣٦، ١٩٤٢، ١٩٤٠م . وكان جزاؤهم أن نفاهم ستالين عام ١٩٤٤م إلى كازاخستان وسيبيريا ، ثم أعادهم خرتشوف بعد أن فقدوا نصف عددهم جراء عمليات التعذيب و الإبادة .

(٢)
القوى المعادية للإسلام تتحرك
لتعوق مسار الإسلام ولتصفية الوجود الإسلامي !!

قال الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة ٥١.

وفي سورة البقرة قال تعالى : ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة ٢١٧

أفريقيا القارة المسلمة..والاستعمار الأوربي والتبشير الصليبي

قارة أفريقيا ثانية قارات العالم من حيث المساحة ، إذ تبلغ نحو ٣٠مليون كيلو متر مربع ، وهي تشكل بذلك خمس مساحة اليابسة ، يسكنها نحو ٦٤٠ مليون نسمة ، يشكلون ثمن سكان العالم ، وظهرت فيها أقدم الحضارات المعروفة في التاريخ ..حضارة قدماء المصريين منذ ٣٤٠٠ ق.م.

الفتح الإسلامي للقارة :

دخل الإسلام أفريقيا في فجر الدعوة الإسلامية ، على يد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أمرهم بالهجرة إلى الحبشة فرارا بدينهم من بطش قريش ، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فتح عمرو بن العاص مصر ، وانتشر الإسلام فيها بسرعة لبساطة تعاليمه وبساطة عقيدته التي تجعل من البشر عائلة واحدة، ولم تتوقف الدعوة فيها ، وفر الأحباش من الظلم إلى عدالة الإسلام ، ومنذ القرن السابع طغت على كل مناطق القارة الحضارة العربية الإسلامية ، وعم الإسلام مناطق ما بعد الصحراء الكبرى ، وكانت مصر محطة رئيسية لا غنى عنها لمسلمي وسط وغرب القارة لأداء فريضة الحج ، فكانت القوافل تمر بمصر ذهابا وإيابا ، ويستقر الأفارقة فيها لفترات طويلة يتزودون بالعلم والتعليم فيها ، وكان سلاطين وسط وغرب أفريقيا ينتظرون

بالقاهرة وهم في طريقهم إلى الأراضي الحجازية حتى يتجمع ركـب الحجيـج ويخـرج المحمل بالكسوة التى كانت ترسلها مصر إلى الكعبة المشرفة سنويا .. كان السلاطين الأفارقة يختلطون بحكام مصر وعلمائـها وقضاتـها ويحضـرون دروس العلـم والفقـه والشريعة واللغة العربية بالجامع الأزهر الشريف ، وكان أهم ما يحملونه معهم من مصـر الكتب الدينية ، وكانوا يقتبسون الأمور الفقهية والقضائية على المذهب المالكي السائد فـي بلادهم ، كما كانوا يقتبسون الكثير من أنظمة الحكم والإدارة[1].

ومن أشهر القصص التي تتناولها كتب التاريخ زيارة السلطان موسي سلطان مـالي لمصر في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ومعه حشد كبير من الأفارقة بلغ نحـو ١٢ ألف شخص ، ومنح السلطان الخزانة المصرية ٥٠ألف دينار ذهبا ، وأغدق على كثير من المصريين بالكثير من الذهب حتى أن أسعار الذهب انخفضت بالقـاهرة بسـبب هـذا الإغداق الذهبي ، ورد عليه سلطان مصر بإغداقات مماثلة لدى عودته إلى مالي .

وصل الإسلام إلى أفريقيا في مرحلة مبكرة من التاريخ ، وتغلغـل بيـن غاباتـها وأحراشها ولعبت جزيرة زنجبار الدور الأكبر في انتشار الإسلام في شرق القارة .. وعثر فيها على قبر لأحد دعاتها المسلمين يرجع إلى عام ٣٢ من الهجرة ، ومن زنجبار امتـدت رقعة الإسلام واتسعت فوصلت إلى حوض الكنغو في الغرب وموزمبيق والكاب جنوبـا ، وجزر المحيط الهندي مدغشقر وجزر القمر وموريشيوس.

الطرق الصوفية :

لعبت الطرق الصوفية التيجانية والقادرية والسنوسية ، دورا بارزا في نشر الإسلام في القارة ، خاصة البلاد الواقعة على الشاطيء الشرقي للمحيط الأطلسي في غرب القارة، فقد نجح الإمام محمد بن على السنوسي ، بعبقريته الصافية واسـتخداماته لكـل وسـائل الترغيب في نشر الدعوة الإسلامية وإقامة دولة دينية واسعة انطلاقا من واحة جغبوب فـي ليبيا بالصحراء الليبية .. كان أتباعه يدينون لهذه الدولة بالطاعة والولاء ، ملتزمين بـأوامر القرآن الكريم ومبادئ التوحيد التي تجعل التعبد لله وحده ، وتحـرم التضـرع للأوليـاء ، وزيارة القبور ، ممتنعين عن شرب القهوة والتدخين ، يدفعون وينفقون من أموالهم لخدمـة الزوايا التي أقاموها في واحات الصحراء الكبرى وكانت تُخرِّج مئات الدعاة ينطلقون فـي نظام رائع من كافة الجنسيات والقوميات ، من جنوب الواحـة المركـز يحملـون معـهم التعليمات والأوامر التي تتعلق بتوسيع دولتهم ، التي امتد نشاطها حتى إلى بـلاد العـرب وأرخبيل الملايو.

---

(١) دكتور عبد الودود شلبى ـ حول العالم الإسلامى ـ مركز الراية للنشر والإعلام ـ القاهرة.

أصبحت قارة أفريقيا قارة مسلمة تنعم بعقيدة التوحيد ، وكانت دعوة الإسلام على شعوبها سلاما و إخاء ومحبة .

وتمر عصور القوة على المسلمين ، وتأتي عصور الضعف والانحطاط ، فيخرج المُلك من أيدي أصحابه ، وتسقط الأندلس ـ التي فتحها المسلمون عام ٩٣ من الهجرة ، وعاشوا فيها ثمانية قرون ـ تسقط في أيدي النصارى بعد سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية في أسبانيا عام ١٤٩٢م . ويقتحم نصاري أوروبا القارة الأفريقية، وتتعرض لابتزاز دموي رهيب على أيدى قراصنة الحضارة الغربية .. الحضارة التي حاولت على مدى قرنين من الزمان تشويه تاريخ وجغرافية شعوب القارة ، وكانت حربا ووبالا على عقائدهم وثقافتهم وحضارتهم الإسلامية .

يقول جنتر ، وهو من مثقفي الغرب ، في كتابه في داخل أفريقيا : " لقد رفع اتصال شعوب هذه القارة بالإسلام من قيمتها وإنسانيتها ، ولم تهدر هذه القيمة وهذه الإنسانية إلا على أيدي الأوربيين المستعمرين من البرتغال والأسبان والإنجليز والفرنسيين "

كان الإسلام هو الدين السماوي الأول في أفريقيا ، ثم انفرد بها التبشير الصليبي بعد أن دخلها الأوربيون ، الذين عدوا أنفسهم مكتشفين لبقاع كان العرب قد عرفوها من قبل ، كالبحيرات العظمى التي كانت معروفة لدى الجغرافيين العرب ، فلما وصلها المستعمرون خلعوا عليها أسماءهم ، وصارت تسمى بحيرات هضبة البحيرات الاستوائية التي ينبع منها نهر النيل بأسماء ملوك وأمراء أوروبا، فبحيرة فكتوريا، نسبة إلى ملكة بريطانيا ، وألبرت، وإدوارد ، وزور البلجيكيون كل شيئ في الكنغو وأطلقوا أسماءهم على المدن الإسلامية .. وهلم جرا !! واقتسم الأوربيون القارة وشرعوا في تنفيذ برامجهم الاستعمارية والتبشيرية ، ورأوا تمشيا مع اتجاه العصر أن يحولوا المستعمرات إلى دول حديثة ، فأنشأوا عشرات من الحكومات المستقلة !! وراعوا في تكوينها تقطيع الأواصر الإسلامية ، وجعل السلطة بأيدي خريجي المدارس التبشيرية وحدهم ، ووضعت الخطط لإذلال المسلمين وتقويض الإسلام في أفريقيا مع نهاية القرن العشرين .

كان عدد سكان رواندا عام ١٩٠٠م نحو ربع مليون مسلم ، ولم يكن بها نصارى ، أصبح عدد سكانها المسلمين وحسب الاحصاء المعلن لايتجاوز ٧% بينما صارت نسبة النصارى أكثر من ٥٠% من تعداد السكان والباقي وثنيون !! ..وكانت كينيا جزءا من مملكة آل سعيد من سلطنة عمان ، التي قاومت الغزو البرتغالي وأقامت سلطنة زنجبار ، تقاسمتها بريطانيا وألمانيا .. وكانت أوغندة وغيرها من دول القارة دولا إسلامية .

لقد شق الإسلام طريقه في قلب القارة ، ولكن الهيئات التبشيرية والاستعمارية قامت بالتصدي لهذا المد الإسلامي في زائير وغانا وملاوي وليبيريا .. تأتيهم المعونات من

الدول الغربية ، وتوضع العراقيل أمام الدعوة الإسلامية والثقافة الإسلامية واللغة العربية .كل هذا في غفلة من حكام المسلمين وعلمائهم وشيوخ الأزهر الشريف !!

اضطهاد المسلمين في الحبشة :

كان المسلمون في الحبشة ذوي مكانة اجتماعية وثقافية عالية ، ورغم التدابير الصارمة ضد الإسلام في القرن التاسع عشر استمر انتشار الإسلام ، فأقبلت عليه قبائل بأجمعها كانت يوما تدين بالنصرانية

وعندما تولى ــ **ليج أياسو** ــ حفيد منليك الحكم أنكر المسيحية ولبس ثياب الإسلام والمسلمين ، ونقش على العلم الصليبي الحبشي **لا إله إلا الله محمد رسول الله** ، وقرر عام ١٩١٦ إبان الحرب العالمية الأولى تبعية بلاده للخلافة العثمانية في الشئون الدينية.

هنا تدخلت الدول الأوربية وأرغمته على التنازل عن العرش ، وساعدها في ذلك بابا الأقباط ورجالات الكنيسة .مثلما تدخلت من قبل لاسترضاء **منليك** ومده بالسلاح كي تستطيع بسط نفوذها على شرق أفريقيا ، وكان كلما ازداد السلاح في يد منليك كلما أمعن في تعذيب المسلمين وذبحهم بغية استئصال شأفتهم واستئصال الإسلام ذاته من أرض الأحباش ، ولكن الموت عاجله عام ١٩١٣ ليخلفه الامبراطور اياسو .

شيوخ الأزهر الشريف بين الأمس واليوم:

كان شيوخ الأزهر الشريف لهم رؤية ثاقبة بالنسبة لقضايا الإسلام والمسلمين في الشرق والغرب ..

حين سئل الشيخ **محمد مصطفى المراغي**، شيخ الأزهر عن موقف الإسلام والمسلمين من الحرب العالمية الثانية، قال: إن هذه حرب لا ناقة للمسلمين فيها ولا جمل.

وأفزع هذا القول بريطانيا وحلفائها ، فقد كان من الممكن أن يغير هذا القول من مجرى الحرب ، واحتج الإنجليز على شيخ الأزهر لدى رئيس الوزراء ، حسين سري باشا، فاتصل رئيس الوزراء بالشيخ المراغي وطالبه بألا يدلي بتصريح قبل أن يراجعه رئيس الوزراء بنفسه، فرد عليه الشيخ المراغي قائلا له: **من أنت حتى تراجع كلامي إني أستطيع أن أسقطك بخطبة واحدة من فوق منبر الأزهر أو الحسين..**

اعتلى الامبراطور **هيلاسلاسي** عرش الحبشة في الثاني من نوفمبر عام ١٩٣٠م ، وكان يعتز بأصوله اليهودية وتعاونه مع اسرائيل ، وفي عهده كانت الحبشة مرتعا للخبراء والمستشارين الصهاينة ، وفي عهده عاش المسلمون أسوأ عصورهم ، فقد صادر أموالهم وممتلكاتهم ، وهدم مساجدهم وأقام الكنائس على أنقاضها ، وأجبر أبناء المسلمين على الدخول في النصرانية .وحين سئل عن أوضاع المسلمين عام ١٩٦٠م قال : **إن المسلمين**

في أثيوبيا قلة دخلت الإسلام عن طريق التجار العرب ، وقريبا سيعودون إلى دين آبائهم وأجدادهم .. ونحن لن نسمح في أثيوبيا بدينين!! كان يقول هذا في الوقت الذي كانت مصر تفرد له ذراعيها بالبشر والترحاب!! ويخرج لاستقباله الزعيم الملهم، وتفرش له الطرق بالورود والرياحين!!

تقرير الشيخ المشد :

في عام ١٩٥١م أوفد الأزهر الشريف بعثة برئاسة الشيخ عبد الله المشد رحمه الله ، لتقصي الحقائق عن أحوال المسلمين في الحبشة ، جاء في تقريرهم الذي أعدوه العجب العجاب عن الاضطهاد الديني في القرن العشرين ، ذكر التقرير أن الحقيقة التي لا يكاد يعرفها أحد هي أن نسبة المسلمين في الحبشة بصفة عامة لا تقل عن ٦٥% من مجموع السكان ، وأنها ترتفع في بعض المناطق إلى ٨٥% وتهبط في بعضها إلى ٢٥% ولكنها في عمومها أغلبية أكيدة ، ويعتمد هذا التقرير على الاحصاء الدقيق الذي قام به الإيطاليون عام ١٩٣٦م واحصاءات القنصليات الأجنبية في الحبشة .

ذكر التقرير مجموعة من الحقائق المفجعة منها :

- أن الحكومة الحبشية بعد انتهاء الاستعمار الإيطالي قد اغتصبت من المسلمين ثلثي أملاكهم العقارية وسلمتها للمسيحيين من الرعايا مع بقاء الضرائب الفادحة على الرعايا المسلمين ، حرصا على إفقارهم وانحلالهم .
- تمنح الحكومة الحبشية إرساليات التبشير المسيحية كل التسهيلات ، في الوقت الذي تحرم فيه على المسلم أن ينتقل من محلته إلى محلة أخرى لإرشاد المسلمين ووعظهم.. وجاء في التقرير أنه يمكن تنصير المسلمين في هذه المناطق خلال خمس سنوات نظروا لجهلهم وفقرهم ، وعدم وجود من يعلمهم دينهم أو يحثهم على التمسك بعقيدتهم .
- استولت الحكومة الحبشية على المدارس الإسلامية ، ثم أغلقت أكثرها وغيرت مناهج ما بقي منها، ولم تجعل اللغة العربية ولا للدين الإسلامي أثرا فيها . وبالرغم من زيادة عدد المسلمين على المسيحيين ، فلا تقوم الحكومة بالانفاق على تعليمهم بأكثر من ٥% من ميزانية التعليم .. هذا في الوقت الذي تجتهد فيه السلطة في تعليم أبناء المسيحيين!! ولما ألح المسلمون على وزارة المعارف بتقرير دراسة الدين الإسلامي واللغة العربية ، اختارت معلمين جهلة لا يدرون شيئا من تعاليم الإسلام ، ولم تحدد لحصة الدين زمنا كسائر العلوم الأخرى ، وكان مدرس الدين يجمع التلاميذ في الأوقات المخصصة لراحتهم ليعلمهم فيها المبادئ التي لا تخرج عن أوقات الصلاة المفروضة، وعدد ركعاتها وأركانها وشروطها ، وكان المعلم لا يجد من أوقات راحة التلاميذ ما يسمح بتعليمهم، ويمر العام كله دون أن يلقى عليهم درسا واحدا .

• لا يسمح بدخول الكتب العربية إلى أثيوبيا ، ولا بتداولها وحرمان أبناء المسلمين من البعثات إلى الخارج ، وحرمانهم من وظائف الدولة ، ومن الخدمة العسكرية كي لا يكون منهم جنود[1].

حين أممت قناة السويس عام ١٩٥٦ وبحثوا في سجلاتها ودفاترها ، وجدوا أنه قد خصص من ميزانيتها ثلاثة ملايين من الجنيهات سنويا للتبشير بالمسيحية في بلاد المسلمين .. قناة حفرت بأيد مصرية في أرض مصرية ، يخصص من دخلها هذه الملايين كل عام لإضعاف شأن المسلمين دينا وخلقا وتشريعًا!![2]

وفي إحدى البلاد الأفريقية جمع الاستعمار خمسة وثلاثين ألف طفل بوسائل شيطانية ونشأهم على المسيحية المتعصبة ، وعلمهم حتى تخرج منهم المهندس والطبيب والاقتصادي .. ولم يترك الاستعمار البلد الذي كان يمسك بزمامه ، إلا بعد أن ولي مناصبه القياديه هؤلاء الذين رباهم على المسيحية المتعصبة، والذين رسم لهم المنهج الذي يُخَرِجُونَ به أجيالا تلو أجيال تربي على المسيحية المتعصبة لتتولى بالتتابع زمام الحكم !!

التبشير شوكة في ظهر المسلمين :

يقول **الدكتور عبد الحليم محمود** ، شيخ الأزهر السابق رحمه الله تعالى ، في كتابه أوروبا والإسلام :

" قد نقرأ أن التبشير أخفق في بلد ما!! لقد تصادف أن جلس أحد الأشخاص مع زعيم من زعماء التبشير ، وجرهما الحديث عن التبشير فقال الشخص وكان مسلما دون أن يظهر إسلامه: ولم تتمسكون بالتبشير في هذا البلد ؟ ألا تتطلعون إلى أقاليم أخرى للتبشير؟ فضحك الزعيم المبشر وقال: إننا نحن الذين ننشر هذه الأخبار ، وننشرها في مقابل دفع أجرة لها ، والتبشير في كل مكان ناجح كل النجاح ، وبلغ من نجاحه أن أصبح شوكة في ظهر أندونيسيا وفي السودان أصبح شوكة قوية تقلقه وتقض مضجعه ، إننا ننشر هذه الأخبار للفائدتين :

• **إحداهما** : أن المسلمين حين يقرأونها ، يستمرون في نومهم قائلين ، وكفي الله المؤمنين شر القتال ، فلا ينالنا من جانبهم معارضه أو أذى.

• **والفائدة الثانية** : فهي أن تنهال علينا التبرعات من أغنياء المسيحيين لأن المسيحيين أينما كانوا يسرهم أن ينجح التبشير.

---

(١) سيد قطب ــ دراسات إسلامية ــ دار الشروق.

(٢) د. عبدالحليم محمود ــ أوروبا والإسلام

وفي أحد الأقطار التي تعيش فيها الأقليات المسلمة ذليلة ، لا تستمتع فيها بحقوقها الطبيعية ، دخل أحد السائحين المسلمين فندقا ، وكان في شهر رمضان ، وقدم له العامل الطعام عند الغروب ، وقال له : إن أبي مثلك ، فقال له السائح : وأنت لم لا تصوم ؟ فرد الخادم : أنا كريستيان مسيحي لأني لو لم أكن مسيحيا لما نلت هذه الوظيفة . لقد بلغ التعصب ضد المسلمين إلى درجة أن وظيفة خادم في فندق لا ينالها المسلم إلا إذا أصبح مسيحيا ، وغير ذلك كثير .

ماذا فعل المسلمون في مقابل إيفاد إرساليات التنصير إلى بلادهم .. لم ترسل دولة مسلمة من يبشر بالإسلام ، ويعلم الناس الخلق والدين والتربية الإسلامية. ويناشد الشيخ رحمه الله المسلمين قائلاً: " أيها المسلمون .. يا أيها الأثرياء ..يا أصحاب الملايين ، ماذا أنفقتم من أجل الدعوة ؟ يا أيتها الدول الغنية بالنفط والغاز ، والتي هيأ الله تعالى لها هذه الثروات ورزقا ، أين زكاة الخمس ؟ هل أخرجتموها في سبيل الله ؟ صحيح هناك جهود لا تنكر ولكنها دون الحد الأدنى بكثير " [1].

إن الجهود التي يبذلها المنصرون لنشر معتقداتهم ، تقوم على أساس تخطيط هائل ورصيد خيالي ، وتعاطف متعصب لا حدود له من قبل هيئات رسمية ، في مقابل جهود إسلامية متواضعة لا يمكن أن تأتي ثمارها إذا ما قارناها من خلال مفهوم مادي لا من خلال المحصلة النهائية .

جاء في أحصائية نشرتها مجلة أمريكية عن العمل التنصيري في العالم ابتداء من عام ١٩٠٠ م حتى عام ١٩٩٢م أنه قد بلغ عدد المنظمات العاملة في مجال التنصير ٢١ ألف منظمة، وعدد المنظمات التي تبعث المنصرين ٣,٩٧٠ منظمة ، وعدد المعاهد التنصيرية ٩٩,٠٠٠ معهد، وبلغ عدد المنصريين المحليين ٣,٩٢٢,٠٠٠ منصر، وعدد المنصرين الأجانب ٢٨٥,٠٠٠ منصر، وبلغ عدد محطات الإذاعة والتليفزيون التي تبث برامج تنصيرية ٢,١٦٠ محطة.

كما أنه قد بلغت حصيلة التبرع النصراني للكنيسة من أجل دعم العمل التنفيذي ١٥٧ بليون دولار أمريكي ، وتم طباعة ١٢٩ مليون نسخة من الإنجيل .

---

(١) الدكتور عبد الحليم محمود ــ شيخ الأزهر السابق ــ الإسلام وأوربا

إن عوامل محاربة الإسلام اليوم أقوى مما كانت عليه في أي وقت في الماضي ، وتدور رحى المعركة في أعنف صورها .. المخطط الغربي الأمريكي الصهيوني يسعى إلى إضعاف المسلمين كما وكيفا معا[1].

إن واجب المسلمين أن يدركوا حجم الأخطار المحدقة بهم ، فيكون لهم وجود في كل مجتمع ، ويكون لهم مؤسسات مثلهم ، ويقوموا بتصحيح ممارساتهم وتعليم الإسلام السمح وتعاليمه السمحة التي تهدف إلى إفشال تلك التكتلات النصرانية ، وتلك المخططات التي تهدف إلى تقويض الإسلام لا قدر الله .. أولى بالمسلمين اليوم أن يعيدوا النظر في أنفسهم ، وأحوالهم ، وقدراتهم ، وعلاقاتهم .. يعيدوا النظر في هوانهم وانتكاساتهم وذلهم ، فلن يدافع عنهم أحد ، ولن يشفق عليهم أحد حتى المولى سبحانه وتعالى خالقهم والمنعم عليهم قال محذرا : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ محمد ٣٨

وبعد، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، والأمل كبير في أن يبدأ المسلمون في خطوات موفقة من أجل مستقبل أمة الإسلام .. الإسلام دين التوحيد والعدل والحرية والأخوة ..ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .

أوروبا ..والإسلام

في قارة أوروبا نحو ٢٥ مليونا من المسلمين .. وصلها الإسلام في مراحل متعددة من التاريخ .. دخلها في أواخر القرن الهجري الأول من ناحية الجنوب الغربي، أما من ناحية الجنوب الشرقي فقد دخلها مع تجارة الفراء والتجار المسلمين الذين كانوا يفدون إلى تلك المناطق ويتاجرون بالفراء ، وبعد أن طلب سكانها من البلغار من الخليفة العباسي المقتدر أن يرسل إليهم من يفقههم في الدين ، فأرسل إليهم قائده أحمد بن عباس المعروف بابن فضلان ، ومع موجات الفتح الإسلامي عم نور الإسلام شرق أوروبا وجنوبها.. وكانت للمسلمين أيام ودول ، وكان نصارى أوروبا يدفعون الجزية لحكام المسلمين أيلم أن كان للمسلمين حضارة مزدهرة في الأندلس.. في أسبانيا والبرتغال ..وحوض الفولجا والقرم ..

---

(١) في قرية بهناي الغنم – إحدى قرى مصر بلد الأزهر الشريف – أقام النصارى الأرثوذكس كنيسة يمارسون فيها تنصير أبناء المسلمين وزراريهم، وبدعم أمريكي ملموس، وشاء أن اعترض بعض المسلمين فما كان إلا أن لاحقتهم الجهات الأمنية.
وحينما أقام أحد المسلمين مسجدا صغيرا أمام كنيستهم، قامت الدنيا ولم تقعد!! ولله الأمر من قبل ومن بعد، وإليه المشتكى.

قادة الفتح الإسلامي :

بدأ الفتح الإسلامي لأسبانيا بحملة صغيرة ، تولى قيادتها طريف مولى موسى بن نصير عامل بني أمية على أفريقيا ، واستطاع طريف ورجاله أن يتخذوا لهم نقطة ارتكاز جنوب أسبانيا عرفت باسم جزيرة طريف ، أو كما يسمونها اليوم باسم (تريفا)، لكن الغزو الرئيسي للجزيرة بدأ بعد ذلك بقيادة طارق بن زياد عام ٩٣ من الهجرة ٧١١ م . الذى نزل في الموضع الذي عرف باسمه وخلد ذكره جبل طارق ، والتقى بملك القوط لذريق عند مصب وادي بكة وهزم القوط في المعركة رغم أن عددهم كان يزيد على ضعف عدد المسلمين ، واختفى ملكهم لذريق بطريقة غامضة ، بعد أن تشتت شملهم ، وأصبح الأمر سهلا بعد ذلك أمام طارق بن زياد ، وكانت المدن تتساقط الواحدة بعد الأخرى في أيدي العرب ، وكان إذا امتنعت عليه إحدى المدن تركها إلى غيرها ، حتى يستولي على أكبر قدر ممكن من البلاد.

وبلغت مسامع موسى بن نصير أخبار الانتصارات التي حققها مولاه طارق بن زياد في أسبانيا ، وأراد أن يكون له هو الآخر نصيب منها ، وركب البحر في عام ٩٤ من الهجرة ، وعبر المضيق ووجه كل همه لفتح المدن التى استعصت على طارق لفتحها ، وبهذا التعاون استطاعت الجيوش الإسلامية في مدة وجيزة لا تزيد عن سبع سنوات أن تفتح شبه الجزيرة الأيبيرية ، وانتزعوها من أوروبا.

ولكنهم حين تقدموا نحو الشمال لينفذوا إلى فرنسا، بقيادة **عبد الرحمن الغافقي**، توقفوا عند تور ولم يستطيعوا الاستيلاء عليها أمام الدفاع المستميت الذى أبداه النصارى بقيادة **شارل مارتل** ، فانتهز المسلمون الفرصة بحلول الليل واشتداد الظلمة وانسحبوا ببراعة منقطعة النظير بعد أن اعتقد الفرنجة أن في الأمر خدعة .

الحكام الخونة والسقوط الرهيب :

وبعد عصور العز والازدهار ، كان السقوط حين تفرق العرب فى الأندلس إلى طوائف ، وضاعت وحدتهم بعد أن بدأ كل حاكم من حكام المسلمين يفقد الثقة في غيره من حكام المسلمين ، ولم يتورع بعضهم من خيانة إخوانه العرب جريا وراء مصلحته الشخصية .. فقدم ابن عباد ملك أشبيلية العربي المساعدة لألفونسو الأسباني مما سهل سقوط طليطلة المدينة العربية وضياعها !! وبلغ الأمر بأحد الحكام العرب أنه صد جيش أخيه الزاحف لقتال الأسبان ، ولما انتصر الأسبان قضوا عليه وعلى أخيه معا.. كان بعض الحكام العرب يفضلون الانضمام إلى الأعداء الأسبان بدلا من الانضمام إلى إخوانهم ليكونوا قوة واحدة ضد العدو المشترك ، ولم يجد أحد الحكام حرجا في أن يهنأ فرديناند

وإيزابيلا عند استيلائهما على القسم الغربي من مملكة غرناطة آخر المعاقل العربية الإسلامية في الأندلس نكاية في أميرها العربي ..

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ، نقلا عن الأستاذ علال الفاسي :

" بعد ضياع الأندلس تطلع الأسبان المسيحيون لاحتلال المغرب ، وانتهز ملك قشتالة فرديناند الثالث أن أدريس أبو العلا المأمون طلب مساعدته على استعادة ملكه في المغرب، فأمده بجيش من اثني عشر ألف جندي مسيحي ، وذلك مقابل الشروط الآتية التي التزم بها المأمون:

[١] أن يعطي المأمون لفريديناند قواعد يختارها ملك قشتالة .

[٢] إذا فتح المأمون مدينة مراكش وجب عليه بناء كنيسة للمسيحيين .

[٣] للجنود الأسبان حق المجاهرة بشعائر دينهم ، وأن يضربوا النواقيس لمناداة الصلاة معهم .

[٤] إذا أراد بعض المسيحيين أن يسلم لا يسمح له بذلك ويتم تسليمه إلى النصارى كي يطبقوا عليه أحكامهم . وإذا أراد بعض المسلمين أن يتنصر لم يتعرض له أحد !!

وعلى هذا النحو بدأ المسلمون يضعفون يوما بعد يوم ، بينما كانت قوة الأسبان تزداد وتزداد إلى أن ضاع ملك العرب والمسلمين الذي استمر أكثر من ثمانية قرون ، وكان الاستسلام المذل.. كان من بين شروط العرب أن يؤمنوا على أنفسهم وأموالهم وأهلهم ، وألا يرغم أحد على ترك دينه ، ولكن الأسبان نقضوا العهد والاتفاق ، فعذبوا المسلمين وأرغموهم على ترك لغتهم ودينهم وعاداتهم ، حتى الأزياء العربية لم يسمحوا لهم بالظهور بها ، وجردوا المسلمين من كل قوتهم ومقوماتهم ، وتحت نشوة النصر قام الأسبان بإحراق الكتب العربية وإتلاف الآثار الرائعة التي كانت عنوانا للحضارة الإسلامية.. أصدرت محاكم التفتيش أحكاما على المسلمين بالموت حرقا .. راهب حاقد وهو توماس نوركيمادا حكم في نطق واحد على ألفي مسلم بالموت حرقا!! وظلت المحاكم تمارس نشاطها لأكثر من ثلاثة قرون إلى أن اضطر الكثيرون إلى الفرار ، ومن بقي كتم إسلامه.

(٣)
ابتلاءات ومحن

ابتلي الإسلام في الزمن القديم بحوادث إجرامية دامية ، مثلت عدوانا صارخا على الإنسانية ، ولعل من بدايات تلك الجرائم التي استخدم فيها محدثوها النار في تنفيذها ،

حادثة الأخدود التي سيق المؤمنون لحرقهم فيها ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ البروج ٨

وابتلى في الزمن الوسيط والحديث ، بأعداء كثيرين ، وحاقت به الشدائد والصعاب.. من يوم للردة ، إلى أيام الانقسامات والحروب والفتنة الكبرى ، إلى نكبة سقوط الخلافة على يد هولاكو والمغول ، ويوم خروج المسلمين من الأندلس ، وصدامهم الطويل مع الغرب النصراني أيام الحروب الصليبية ، وعشرات النكبات من مفاسد للباطنية السفاحين ، والقرامطة الملحدين .. عشرات النكبات والنكبات .. كلها دون ما يواجهه الإسلام هذه الأيام !!

يواجه الإسلام اليوم في العقد الأول من الألفية الثالثة ، مرحلة حرجة تكاد تماثل في خطورتها تلك المراحل الفاصلة في تاريخه الطويل ..يواجه حربا منظمة ، خططت لها عقول كبيرة جدا ، وشريرة جدا ، وأنفقت عليها أموالا طائلة . . توجهها قوى ضخمة تمدها وتنصرها .

الإسلام في خطر !!

الجراحات النازفة كثيرة في جسم الأمة المسلمة .. والعالم المتحضر يتفرج ولا يحرك ساكنا !!

عندما تكون المشكلة مع غير المسلمين ، يتحرك العالم على قدم وساق ، ويجد في إيجاد الحلول ، ويجد في الغوث والنجدة ، وعندما يكون الأمر يتعلق بالمسلمين، وتكون القضية قضيتهم يصم العالم أذنيه وكأن فيها وقرا ، ويتفرج الغرب دون تعليق أو تحريك أساطيل كما فعل في مواطن كثيرة !

وماذا عن موقف المسلمين في الأقطار الإسلامية ، وديار الإسلام ؟؟

في عصر ملوك الطوائف الجدد !!

إنهم يجتهدون ويتعاركون من أجل إطالة منارات المساجد ، وإطالة شعيرات الذقون، وإطالة حبات المسابح ، وإطالة أذيال السراويل ، وإطالة أحاديث الشوق ، والوجد، والصفاء ، والاصطفاء ، والعفة ، والنقاء ، وهذا في زعمهم يكفي كمدخل إلى الجنة .. أما الهوان والمذلة بين الأمم فلا حرج ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها !!

تكتفي الأمة .. أمة الإسلام بالمشاهدة ودونما تعليق ، وكفى المؤمنين شر القتال!! وربما للحقيقة وللتاريخ ..بالتأثر والتأفف العابر للحظات ، وكأننا في عصر الرومان القدماء أجداد أصحاب الحضارة الغربية الحديثة ، الذين كانوا يستمتعون ويفرحون بمشاهدة

الوحوش الضارية وهي تمزق أجساد المحكوم عليهم سياسيا بالإعدام في حلبة للمصارعة غير متكافئة!!

لم يعد للمسلمين شوكة ولا صولة .. إما لفرط ترفهم وشدة ثرائهم ، وإما لشدة ضعفهم وفقرهم وإذعانهم !! المسلمون في عصر ملوك الطوائف الجدد لا يجاهدون في حين أنهم من أجل المال والتسلط والسلطان يحاربون !!

إنه الصمت الجبان !! يتفرجون على المذابح الوحشية التي تحدث لإخوة لهم في الدين والعقيدة ، يقتلون ويسحلون ، ويسحقون ويبادون في عصر الإبادة الشاملة ، لاذنب ارتكبوه سوى الحفاظ على هويتهم الإسلامية .. والجميع يتفرج على جماجم المسلمين وأشلائهم ، ولا يهمسون بكلمة وكأن الأمر لا يعنيهم!! إنه الصمت الجبان والجهل المتبلد اللذان يسيطران على ألسنة وأقلام الكثيرين من أبناء المسلمين !! إنه الصمت المخطط له في ظاهره مكافحة الإرهاب وفي حقيقته القضاء على الإسلام والمسلمين .. التزم العرب والمسلمون الصمت الطويل ، بعد أن أعلنت روسيا أن ما يحدث من قتل وإحراق وتدمير للشيشان المسلم شأن داخلي ، فآثر العرب والمسلمون ضبط النفس والعقلانية ، وسارت على دربهم منظمات حقوق الإنسان الأوروبي والأمريكي ، فتعاملت مع الموقف باعتباره شأنا داخليا !! وواصلت روسيا هجماتها البربرية على جمهورية الشيشان وشعبها المسلم وسط صخب الاحتفالات الماجنة بالألفية الجديدة ، ووسط صمت دولي رهيب.

الإعلام المشوه :

إن المرء ليعجب من أجهزة الإعلام في أوطاننا .. الصحف والمجلات..الإذاعة والتليفزيون .. غياب تام لقضايا المسلمين !! حتى ما يذكر من أخبار بسيطة ، تأتي إلينا من خلال وكالات الأنباء العالمية اليهودية ، ولا يتدخل المسلمون في صياغتها ، أو في جلبها من ميادينها ، في الوقت الذي تبث فيه مئات من ساعات الإرسال التي تتكلف ملايين الدولارات ، وتخصص للبرامج والأفلام الهابطة !!

لقد أصيبت الأمة بالخرس والشلل التام .. تري الاجتياح الروسي المجرم للقرى والمدن ، وتدمر الحياة تدميرا تاما .. ترى مئات الألوف من الجرحى والمشوهين ، من الذين أرغموا على ترك منازلهم وقراهم ومدنهم يعيشون في خيام لا تقيهم برد الشتاء الزمهرير ، ولا تحرك ساكنا .. إن السكوت علي الجريمة جريمة .. اللامبالاة والسلبية تلف الجميع وكأن الأمر فيلم كارتوني !!

قد يلقي اللوم على الأنظمة والحكومات .. ولكن ماذا عن تقصير الشعوب وقادة الرأى فيها؟! إن معرفة حجم المحنة التي يعيشها إخوان لنا في العقيدة ..جذورها وفروعها،

والأيدى الخفية التي تخطط لها ..ظروفهم وأحوالهم الاجتماعية والسياسية والنفسية والاقتصادية، من أوجب الواجبات.

. هناك بعض الأنظمة التي تصافح الأيدي الملوثة بدماء المسلمين المستضعفين ، وتتعاون سياسيا معهم وهم يضطهدون المسلمين في بلادهم !!

ثم ماذا قدمت الشعوب الإسلامية ذات الثراء العريض ، والتي تنفق في الترف مئات الملايين من الدولارات ؟

لقد تناسى المسلمون أنهم أمة واحدة أينما كانوا ، ومهما نأت ديارهم وابتعدت أمصارهم، لأنهم يدينون بعقيدة واحدة ، تفرض عليهم أن يكونوا يدا واحدة **﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾** الأنبياء ٩٢ ــ ٩٣ ، **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)** رواه مسلم وأحمد .

يتحرك الإعلام العالمي كله إذا أحرج يهودي في روسيا ، ويشتد الهياج لإهدار حقوق الإنسان ، أما ما يقوم به الروس اليوم وبدعم من الغرب والشرق على السواء في قمع المسلمين ، وما يقوم به الهندوس ضد المسلمين في كشمير .. ليس من حقوق الإنسان في شيء !!

يرفعون شعار حقوق الإنسان ، وشعار التحضر في التعامل مع كل شيء ، إلا مع المسلم ..فلا يكون إلا شعار الموت والقتل والدم ، لأن المسلم في نظرهم نجس وقذر ووباء يجب تطهير الأرض منه !! وصدق الصافي النجفي حين قال :

إنا لفي زمن لفرط شذوذه ... من لا يجن به فليس بعاقل

وفي الوقت الذي كان الساسة العرب يلقون بالقرآنيين في غياهيب السجون ، ويحذرون من ربط الدين بالسياسة ، والسياسة بالدين ، كان زعماء أمريكا يخوضون حملاتهم الانتخابية رافعين الإنجيل فوق رؤوسهم قائلين أن فيه حلا لكل مشاكل البشرية ، ويؤكدون أنه قد آن الأوان لإلغاء الفصل بين الدين والدولة ، وإعادة الدين إلى الدولة !!

لا يخاف الغرب من الهندوسية ، مع أن الهندوس قرابة المليار نسمة، ولا يخافون من الكنفوشوسية مع أنها تجمع ما يزيد على المليار صيني !! ولكنهم يخافون فقط الإسلام، لأن الإسلام دين قوي سريع الانتشار ، وقادر على الحياة في كل البيئات والظروف .

إن الأقليات المسلمة اليوم في مختلف بقاع العالم تتعرض لحرب ضروس من قبل الصليبيين وسائر أعداء الإسلام في كل مكان ، تستهدف تحويلهم عن ديانتهم ، وقتل معتقداتهم الإسلامية ، والقضاء عليهم وإبادتهم .. تعيش ظروفا صعبة للغاية ، وتعاني من الاضطهاد وهموم التفرقة ، لتمسكها بمعتقداتها وتراثها وثقافتها الإسلامية..

وفي الوقت الذي تعيش فيه الأقليات غير المسلمة بين أبناء المسلمين ، في أمن وطمأنينة ، وحرية ومساواة ، تعاني الأقليات المسلمة الويلات في القوقاز ، وفي الصين في التركستان ، وفي الهند في كشمير ، وفي تايلاند في فطاني ، وفي البلقان وبورما والفلبين وغيرها .. يجري اضطهاد المسلمين في العالم المسيحي ، وفي العالم الوثني على حد سواء ، وكأنما قد عقدوا حلفا مقدسا ضد المسلمين .. يختلفون فيما بينهم ويتخاصمون، وحين يواجهون الإسلام يواجهونه عصبة واحدة وملة واحدة .

والعجيب المثير للدهشة أن أشرس هذه الحروب تشن باسم المسيح ، والمسيح منها براء، في الوقت الذي يحفل فيه تاريخ الإسلام بالصفحات الناصعة البياض في معاملة الدولة المسلمة للأقليات المسيحية فيها .. فلم ترتفع شكوى واحدة من أقلية مسيحية ..بل إنها تعيش في بعض الدول المسلمة كمواطنين من الدرجة الأولى .

لقد سقطت روسيا بجسمها المترهل على الدويلات المسلمة ، فسحقت الدبابات الألوف ، وتشرد الملايين من المسلمين ، وسعت أمريكا والغرب الصليبي لجعل روسيا حاجزا عسكريا وأيدلوجيا مناوئا للإسلام والمد الإسلامي ، وأصبحت روسيا مطالبة بأن تلعب دور الحاجز الواقي الذي يقي أوروبا من النزعات الإسلامية والأصولية في آسيا ، مقابل مساعدة الغرب للروس في انتشاله لهم من أزماتهم السياسية والاقتصادية .

يقول وزير الدفاع الروسي : إن روسيا مطالبة بتأهيل قواتها المسلحة لإطفاء نار النزعات المحلية وإعداد هذه القوات لصد ودحر من يرفع اليد على صانعي السلام!!

أجمع الخبراء على وجود خطة أمريكية ثابتة للسيطرة على القوقاز ، وجنوبي روسيا ، أقرتها أجهزة الحكم الأمريكية ، وأنه ثمة اجتماعات قد تمت بواشنطن بخصوص بترول بحر قزوين وآسيا الوسطى ، فطرق نقل النفط والغاز الطبيعي يمر من القوقاز إلى العالم الخارجي عبر جمهورية الشيشان، ولدى أذربيجان أربعة ملايين طن احتياطي من النفط في المناطق الساحلية على بحر قزوين حول شبه جزيرة أبشيرون ، كما أنها مستودع وصول البترول من جمهورية كازاكستان إلي باكو ، وكذلك غاز جمهورية تركمانستان ، لذلك صرحت وزيرة الخارجية الأمريكية بأن هذه المنطقة ومستقبلها سوف يمثل إحدى مهامنا الأكثر تشويقا في السنوات القادمة .

(٤)
حقيقة الإرهاب وقانون الجهاد

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٢١٦.

وجاء في الحديث الشريف: " إذا استنفرتم فانفروا "

كثر تداول كلمة الإرهاب ، وطرق آذان الناس سماعها من وسائل الإعلام الغربية ، ووسائل الإعلام العربية والإسلامية التي غالبا ما تكون صدى للإعلام الغربي ، وإنما يحصل اللبس في فهم المصطلحات إذا فهمت بمفهوم الكفار من اليهود والنصارى أو غيرهم ، ولم تفهم بالمفهوم الشرعي .

مفهوم الكافرين للإرهاب أن كل من يقف أمام أطماع الكفار في بلاد المسلمين ، ويصد عدوانهم عن الحرمات ، فهو إرهابي يجب القضاء عليه ، وأن من يدافع عن نفسه ، وماله ، وعرضه ، وأرضه وحقوقه الإنسانية ، يدخل دائرة الإرهاب ، ويجب معاقبة من يناصره من المسلمين بالمال وغيره ، وأرهبوا بدعوى الإرهاب بعض المؤسسات الخيرة وبعض المحسنين .

فللكفار ـ في مفهومهم ـ أن يحتلوا بلاد المسلمين ومقدساتهم ، ولهم أن يذبحوا الرجال والنساء والأطفال ، ويقصفوهم بالقنابل والصواريخ ، ولهم أن ينتهكوا الأعراض ، وان يدمروا المدن والقرى والبيوت والمساجد على أهلها ، ولهم أن يستبيحوا ثروات وخيرات المسلمين ، وأي محاولة للدفاع عن الدين والدماء والأعراض فهي وحشية وإرهاب ممنوع ، وعلى المسلمين في مفهوم الكفار أن يقابلوا عدوانهم على بلادهم بالبشر والترحاب ،والتزلف والنفاق !!

المفهوم الإسلامي للإرهاب :

الإرهاب في الإسلام فريضة ربانية ، ولكنها ضد أعداء الله وأعداء المسلمين ، فلا يجوز في الإسلام قتل غير المحاربين من النساء والأطفال والشيوخ . قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال ٦٠

وقال سبحانه وتعالى : ﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ الحشر ١٣

الإرهاب المشروع هو الذي يكون موجها ضد أعداء الله وأعداء المسلمين ، بل إرهاب أعداء الله وأعداء المسلمين هو العلة من فريضة الإعداد كما قال تعالى : ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ وكل سلاح يحصل به إرهاب للأعداء فالمسلمون مأمورون بتحصيله ، وهذا يختلف باختلاف الزمان ، حيث تختلف وسائل القوة والسلاح من وقت إلى آخر .

فالإرهاب المشروع قد فرض الله تعالى على العباد نصرته بالأنفس والأموال ، ولو كره الكافرون ، وأرجف المرجفون ، وتخاذل المنافقون .

الجهاد في الإسلام له قانون خاص :

والجهاد في الإسلام له قانون خاص به ، لا يخضع للحسابات المادية والعددية، والمعركة بين الإيمان والكفر معركة ذات حسابات خاصة تعمل وفق قانون يختلف عن كل القوانين التي تعارف عليها الناس، والمجاهدون المسلمون نفر من المسلمين لهم حساباتهم الخاصة ، فلا تعنيهم الدبابات والمصفحات والمجنزرات ، ولا الطائرات والصواريخ ، ولا سائر الآلات الحربية الرهيبة من أسلحة الدمار الشامل ، بل تزيدهم ثباتا وقوة وإصرارا ، ذلك لأنهم قرأوا كتاب الله تعالى العظيم ، واستوعبوه حتى النخاع ، وقرأوا آيات الجهاد ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة ٢٤٩، ﴿يا أيها الذين آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد ٧، فلم ينهزموا داخليا ولن ينهزموا بمشيئة الله .

قرأوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه ، و (من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) رواه مسلم ، و (من لم يغز أو لم يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة) صحيح رواه أبو داوود .

كان النصر دوما من نصيب القلة المؤمنة المجاهدة الصابرة المحتسبة ، المسلحة بالإيمان واليقين على مدار التاريخ ، لأنها باعت نفسها لله تعالى ، وجاهدت في الله حق جهاده ، ولم تخش في الله لومة لائم ، وما ضعفت وما استكانت . بينما الكثرة الكافرة الباغية ، الثرية الظالمة ، والمسلحة بالعتاد والأسلحة، كانت أحرص ما تكون على حياة ، واغتر أفرادها بالمال والجاه ، والملك والصولجان ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى .

كانت جيوش المسلمين هي القلة ، في الغزوات مع قريش وكفار الجزيرة العربية أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسمت القضية لصالح الإيمان .. هاجر الضعفاء المستضعفون إلى المدينة المنورة وهناك أقاموا دولة الإسلام ، ثم عادوا ليفتحوا مكة ويعفون عن الكثرة المنهزمة .وكانت جيوش المسلمين هي القلة مع الروم والفرس ، ولكنهم هزموا مئات الألوف من جنود الأعداء ، وفتحوا مئات البلدان، وأزالوا من الوجود امبراطوريات عزت على الزمان .

أما اليوم في زمن السقوط والانحدار الرهيب ، في عهد ملوك الطوائف الجدد ، فرغت كلمات الجهاد من مضامينها ومعانيها ، وأصبحت العمليات الجهادية الاستشهادية

عمليات انتحارية ، وأصبح المجاهدون إرهابيين ، وتغيرت المفاهيم وتغير القاموس لأنهم يدافعون عن العرض والشرف والأرض والدين .

لقد تهودت عقول عربية كثيرة، بعد أن تهود الإعلام والتعليم ، وتهودت السياسة ، فأصبح كثير من المسلمين لا يرون، ولا يسمعون، ولا يتكلمون، بعد أن فقدوا عقولهم وفقدوا هويتهم بعد التطبيع العسكري والأمني والسياحي ، وإلغاء المناهج والمقررات التعليمية التي فيها عداء لليهود ، واحتواء العقل المسلم من خلال مناهج وافدة لإذابة الإسلام وتمييعه ، وبعد أن أصبح الفلاح المصري يخرج من أرض الفلاحين من وادي النيل ليتعلم الفلاحة لدى الكيان الصهيوني ، وبعد أن دمرت إسرائيل تربة أرضه بآلاف الأطنان من البذور والهرمونات المدمرة والأسمدة المحرمة دوليا ، وبعد أن لوثوا الشواطيء بالنفايات والملوثات .

في إسرائيل يربون أبناءهم تربية عدوانية.. ففي حصة الرياضيات يقولون لهم مثلا: لدينا مائة عربي ، قتلنا منهم خمسين أو ستين ، فكم يبقى حتى ننتهي منهم جميعا؟، وكان اليابانيون قبل الحرب العالمية الثانية ، يذكرون لأبنائهم في المدارس بأن هناك عدوا خطيرا سيخوضون الحرب ضده ، وهو أمريكا ، فتحولت أناشيد الصباح في المدارس إلى ما يخدم المعنى ، وتحولت الموسيقى الصباحية الهادئة إلى مارشات عسكرية صاخبة تستثير حماس الصغار والشباب .. بل تأثر المناخ المدرسي بحالة الحرب ، وأصبحت الأمثلة تضرب في حصص الرياضيات بعدد الطائرات والدبابات والغواصات والجنود!!

يا ليتنا ندرس لأبنائنا المعاني العظيمة التي تندرج تحت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا "**

البعض يرى التريث في الجهاد حتى نقوى ، وأن الجهاد لا يأتي بثماره في ظل الضعف ، وأن الاستعجال يكون بمثابة إلقاء اليد في التهلكة . ولكن بالجهاد تحيا الأمة ، ففي البوسنة كان مئات الألوف غافلين عن دينهم ، صحوا وفاقوا وعادوا إلى دين الله الحق ، بعد أن تساءلوا عن أسباب القتل والتدمير ، وقيل لهم لأنهم مسلمون ، فبدأوا يسألوا عن ماهية الإسلام وعن الجنة والنار ، وعن الحلال والحرام . وأعاد الجهاد إلى الناس مفاهيم كانت منسية ، فأصبحوا مسلمين ، وماتوا على الإسلام .

يا أمة الإسلام لم لا تقاتلون في سبيل الله الذين يقاتلونكم ؟

حذر الإسلام من التباطؤ في تلبية داعي الجهاد ، والتثاقل عنه ، لقوله تعالى: ﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا

من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ۞ إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير﴾ التوبة ٣٨-٣٩

والمؤمن لا يخاف الموت ، ولا يخشى الفقر ، ولا يهاب قوة العدو .. كان المسلمون يحرصون على الموت حرص غيرهم على الحياة ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ۞ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾ آل عمران ١٧٣-١٧٤

والمؤمن الحق لا يخاف الموت ، لقوله تعالى ﴿ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ يونس٤٩ ، ولقوله عز وجل : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾ آل عمران١٤٥ ، ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ النساء٧٨ ، ﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل﴾ آل عمران١٥٤

يؤمن المؤمن حقا إيمانا راسخا بأن الآجال بيد الله تعالى .. لقد خاض خالد بن الوليد رضي الله عنه عشرات المعارك ، ولم يشأ الله سبحانه وتعالى له أن يموت في ساحات القتال ، وما أصدق قوله : (ما في جسمي شبر إلا وفيه طعنة رمح أو ضربة سيف ، وهاأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء)

والمؤمن الصادق لا يخشى الفقر لأنه يعتقد اعتقادا جازما بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى " والله يرزق من يشاء بغير حساب " البقرة ، ولقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ۞ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ الطلاق٢-٣

والمؤمن حقا لا يخشى قوات العدو الضاربة ، فلم ينتصر المسلمون أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أيام الفتح الإسلامي العظيم ، بعدد أو عدة ، بل كان انتصارهم بالعقيدة ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ البقرة٢٤٩

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الجهادية :

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم حياته الجهادية بالدعوة سرا ، يدعو الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ،وإلى تزكية أنفسهم وتطهيرها ، وإلى توحيد الصفوف ونكران مصلحة الفرد في حدود مصلحة الجماعة .

واستمرت الدعوة سرا ثلاث سنين ، حتى أنزل الله تعالى " وأنذر عشيرتك الأقربين" الشعراء٢١٤ فأعلن دعوته ، وابتدأت قريش تظهر خصومتها وأخذت الخصومة تشتد وتعنف ، فاستباحت دماء وأموال المسلمين في الحرم ، وحرضت القبائل لمحاربة الدعوة وصاحبها ، ولمقاطعة المسلمين فلا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم شيئا ، ولا يزوجونهم أو

يتزوجون منهم . وصمد الرسول صلى الله عليه وسلم صمود الجبال ، فلم يلن ولم يتردد ، ولم يخش أحدا إلا الله ، وتحمل التكذيب والتعذيب والأذى والجوع والحرمان مصرا على تحقيق أهدافه .

كان يذهب صلى الله عليه وسلم إلى الحجيج في مجامعهم ويطلب منهم النصرة على مسمع من الجبابرة من قريش وأحلافهم ، وتكللت إحدى محاولاته البطولية بالنجاح بانبثاق بيعة العقبة الأولى ، ثم تلتها بيعة العقبة الثانية ، وكانت بيعة العقبة الأولى أول انتصار عسكري له خارج مكة ، وكانت بيعة العقبة الثانية انتصارا عسكريا آخر ، وأدى ذلك كله إلى انتشار الإسلام في المدينة ، وأصبح للإسلام جنود يعتمد عليهم في الملمات .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم مسلمي مكة ومن حولها بالهجرة إلى المدينة للانضمام إلى إخوانهم ، فهاجروا تاركين أموالهم وأهليهم . وفي دار الهجرة أنجز النبي صلى الله عليه وسلم حشد قواته ، بني المسجد الثكنة الأولى للإسلام ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ليتعاونوا على أسباب العيش ، وليكونوا يدا واحدة لتحقيق أهدافهم ، وعقد المعاهدات بين المسلمين وخصومهم في المدينة ليطمئن إلى سلامة جبهته الداخلية ، فلما أنزلت أول آية من آيات الجهاد ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ الحج٣٩-٤٠ كان الرسول قد أكمل حشد جيش يؤمن بعقيدة واحدة وله هدف واحد وقائد واحد يستند إلى قاعدة أمينة واحدة .

ونشب القتال بين المسلمين وبين قريش ، وكانت السرايا الأولى للقتال ، وكانت الغزوات ، وصمد المسلمون دفاعا عن عقيدتهم ضد خصومهم الأقوياء ، وانتشر الإسلام في الجزيرة العربية وأصبح للمسلمين قوة ذات مكانة وكيان ، وتوحدت شبه الجزيرة العربية وكانت غزوة تبوك نهاية جهاد النبي صلى الله عليه وسلم تحت راية الإسلام .

جاء الخلفاء الراشدون من بعده رضي الله عنهم ، فكانت حروب الردة أيام الصديق رضي الله عنه حروبا لإعادة وحدة شبه الجزيرة تحت لواء الإسلام ، وحين عادت الوحدة بعد انتصار المسلمين على المرتدين ، أصبح المسلمون قوة هائلة ، وجدت لها متنفسا في الفتح ، فخفقت رايات العرب المسلمين من الصين شرقا إلى سيبيريا شمالا ، وإلى فرنسا والمحيط الأطلنطي غربا والمحيط الهندي جنوبا .

وكان من فضل الإسلام على العرب أن وحد صفوفهم وجمع كلمتهم ووجههم للفتح فكان الإسلام بحق عقيدة قاتل المسلمون من أجلها لإعلاء كلمة الله تعالى في الأرض ، وباعوا أنفسهم لله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي

سبيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُون وَيُقْتَلُون وَعْدًا عَلَيْه حَقًّا فِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّه﴾ التوبة١١١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَة تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَاب أَلِيم ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالكُمْ وَأَنفُسكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الصف١٠-١١.

قاتل المسلمون الأعداء ، وتحركت جيوشهم لتأديب المعتدين المتوحشين ، وكان الأعداء يعملون للإسلام وللمسلمين ألف حساب . حين صرخت أخت مسلمة مستنجدة بالخليفة المسلم المعتصم ، قائلة وامعتصماه ..تحركت الجيوش والأساطيل لتقضي على جنود الكفر والإلحاد المعتدين على أعراض المسلمين . من أجل امرأة مسلمة واحدة تحرك جيشا جحفلا من المسلمين ، كان أوله عند أسوار عمورية وآخره على أسوار دار الخلافة، ليرد عن الأمة الإسلامية أي عار يمكن أن يلحق بها ..واليوم أصوات واستغاثة النساء المسلمات تقرع آذان المسلمين في طول الدنيا وعرضها ، دون أن يصادف نخوة تزيل العار عن خير أمة أخرجت للناس ، كما أزالته نخوة المعتصم .

في سنة ثماني عشرة ومائتين من الهجرة ، عزم الخليفة المأمون على تأديب وردع نصاري الروم شمال وغرب الدولة الإسلامية ، لاعتدائهم على بعض المدن بالثغور .. يقول المؤرخ المسلم المسعودي في مروج الذهب : ".. فدعاهم المأمون إلى الإسلام وخيرهم بين الإسلام والجزية والسيف ، فأجابه خلق من الروم إلى الجزية ، واختار ملك الروم الحرب ، وحين توجه المأمون إليه غازيا جاءه بالطريق رسول ملك الروم ، فقال له: إن الملك يخيرك بين أن يرد إليك نفقتك التي أنفقتها في طريقك من بلدك إلى هذا الموضع ، وبين أن يخرج لك كل أسير من المسلمين في بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار ، وبين أن يعمر لك كل بلد من بلاد المسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان، وترجع عن غزاتك . فقام المأمون ودخل خيمته فصلى ركعتين واستخار الله عز وجل وخرج ، فقال للرسول : قل له ، أما قولك ترد نفقتي وأموالي فإني سمعت الله تعالى يقول في كتابنا القرآن الكريم حاكيا عن بلقيس ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ النمل٣٥-٣٦، وأما قولك تخرج كل أسير من المسلمين في بلد الروم ، فما في يدك إلا أحد رجلين : إما رجل طلب الله عز وجل ، والدار الآخرة فقد صار إلى ما أراد ، وإما رجل يطلب الدنيا فلا فك الله أسره . عد إلى صاحبك فليس بيني وبينه إلا السيف .. يا غلام اضرب الطبل ، أي أذن بالخروج للقتال "

ورحل إليه المأمون ولم يثنه من غزواته حتى فتح خمس عشرة حصنا ، وأدب ملك الروم وقومه .

الأقليات المسلمة .. التحديات والمخرج من المحنة

لما كانت الأقليات المسلمة في العالم تعيش في أحضان أمم لها ديانات ، وفي أوساط مجتمعات لها ثقافات ومعتقدات دينية مختلفة ، منها النصرانية والوثنية ، والهندوكية والبوذية ، وفي ظل حكومات ذات أنظمة وقوانين وضعية متعددة ، تحاول فرضها على المسلمين لصرفهم عن الإسلام ، لذا تختلف أوضاعها وما تتمتع به من حقوق دينية واجتماعية وثقافية .

من التحديات التي تواجهها الأقليات الإسلامية ، منها ما هو سياسي واقتصادي ، ومنها ما هو تعليمي واجتماعي ، لذا فإنه من الضروري نصرة لدين الله وإخوان لنا في العقيدة ، اتخاذ خطوات بناءة من أجلهم ضمانا لاستمرارهم على إسلامهم ، واستمرار الدعوة الإسلامية منهم إلى غيرهم ، فهم نواة ينتظر من ورائها الخير الكثير

كيفية مواجهة المحنة :

لابد وأن يكون للعالم الإسلامي موقف موحد تجاه الاعتداءات الواقعة على الشعوب المسلمة، وأقل ما يفعله العالم الإسلامي حكومات وأفراد هو مقاطعة منتجات الدول المعتدية وعدم التعامل معها اقتصاديا وسياسيا، **وللمسلمين أسلحة كثيرة يمكن استخدامها:**

- يُكَوَّن اتحاد عالمي للأقليات الإسلامية ، لدراسة شئونهم وأوضاعهم ومشاكلهم واحتياجاتهم ، ليربط بينهم وبين الأقطار الإسلامية ، ويطالب بحقوقهم على المستوى الدولي وفي المحافل الرسمية والعالمية ، ويرسم السياسة التي تحافظ عليهم وتحفظهم من الذوبان في مجتمع الأغلبية.

- إنشاء صندوق دولي للأقليات الإسلامية تسهم فيه الدول الإسلامية ، الموسرون والخيرون من أبناء المسلمين، والمنظمات والجمعيات الخيرية، لرعاية الأقليات. مضاعفة قنوات الاتصال بين الأقليات المسلمة وإخوانهم في العالم الإسلامي وذلك عن طريق توثيق عرى الاتصال بين المؤسسات الإسلامية الرسمية والشعبية في دول الأقليات لإنهاء عزلتها والتعرف على حقيقة أوضاعها ، وعن طريق تأسيس أجهزة إعلامية إسلامية تقوم بشرح تعاليم الإسلام وتقديمه بصورة سليمة تكشف زيف الاتهامات الموجهة من قبل الأعداء ويكون فيها البث باللغات الأجنبية إلى جانب اللغات

العربية ، إضافة إلى النشرات والكتب المترجمة ، وطبع وتوزيع ترجمة معاني القرآن الكريم .

- تأسيس منظمة اقتصادية إسلامية تقوم بتنظيم التعاون الاقتصادي بين المسلمين ، ومد الأيدي للعناية بهم اقتصاديا وانتشالهم من الفقر والجوع الذي يستغل من قبل المنظمات التنصيرية في تايلاند وبورما والصومال وغيرها .
- الاستفادة من موسم الحج كي يكون موسما لالتقاء المسلمين ، وبحث مشكلاتهم وقضاياهم باستخدام القنوات السياسية المختلفة لعلاجها .
- إنشاء المدارس والمعاهد والكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم في مناطق تواجد الأقليات مع تزويدهم بالمدرسين والمدرسات ، واختيار العناصر ذات المستوى الإسلامي الجيد من حيث العقيدة والسلوك والخلق الحسن ، مع الإكثار من المنح الدراسية لأبناء الأقليات بالجامعات والمعاهد الإسلامية ، لتكوين الكوادر العلمية والتربوية التي تستطيع القيام بدورها في أوطانها لتحل محل المبعوثين .

هناك ضعف في الإمكانيات المادية والأدبية ، مع عدم توافر المناهج الخاصة بالتعليم الإسلامي ، وندرة في الكتب الإسلامية المخصصة لأبناء الأقليات ، والمناسبة لأوضاعهم وحاجاتهم .. وهناك السياسات التعليمية المعادية من قبل أعداء الإسلام .

لابد من جهود متواصلة لرفع المستوى التعليمي والثقافي لهم ، عن طريق تقديم المساعدات المادية والأدبية .. لابد من إقامة الندوات والمحاضرات باستضافة الشخصيات الإسلامية البارزة ، لتكثيف الضوء على قضاياهم ..لابد من طرح قضاياهم على مختلف الجهات والمؤتمرات والمحافل الدولية لمساندتها والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها .. لابد من مناشدة المنظمات المعنية بحقوق الإنسان في العالم الاهتمام بحقوق الأقليات والجاليات المسلمة في الحرية الدينية والسياسية والحياة الكريمة ، وحث الدول التي تعيش فيها الأقليات على الاعتراف لها بحق المواطنة والالتزام بمبادئ حقوق الانسان التي أقرتها المواثيق والأعراف الدولية ، وأن تتحرك تلك الدول بحزم لإنهاء جميع صور العدوان على الحريات الأساسية والأموال والممتلكات والتقاليد الإسلامية .

الباب الأول

واقع المسلمين في العالم المعاصر

المسلمون في العالم بين الأكثريات والأقليات

- كيف تحولت الأقليات إلى أكثريات؟
- كيف تحولت الأكثريات إلى أقليات؟
- واقع الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية.
- واقع الأقليات غير الإسلامية في دولة الإسلام.
- استثمار الأقليات المسلمة في الدعوة إلى الله.

الباب الأول

واقع المسلمين في العالم المعاصر

يشكل المسلمون في العالم ــ تبعا لأرقام معاهد العالم الإحصائية ، ودوائر الإعلام والتوثيق والمعلوماتية ــ ما بين ٢٠% : ٢٧% من جملة سكان العالم ، حوالي ١,٦ مليارنسمة ، أى أكثر من خمس سكان العالم . وطبقا لهذه التقديرات فإن واحدا من كل خمسة أشخاص في عالم اليوم هو مسلم . والجدير بالذكر أن عدد المسلمين في العالم سيصل خلال وقت قصير إن شاء الله تعالى ، إلى أكثر من مليارين وستمائة ألف نسمة ، وأنهم سيصبحون على أثر ذلك قوة عظمى مؤثرة في العالم ، ومن المؤكد أنهم سيغيرون التوازن الديمغرافي لصالحهم ، لأنهم الأكثر تزايدا بين شعوب العالم .

ويعيش المسلمون وفقا للبيانات المعلنة في أكثر من تسعين دولة ، منها ٤٤ دولة إسلامية ، منها ١٤ دولة تنص دساتير ها على استمداد أحكامها من الشريعة الإسلامية ، والبقية يعيشون فيها بصفة أقليات .. يعيش مليار مسلم في الدول الإسلامية ، ويعيش أكثر من نصف مليار مسلم أقليات .

والباحث من وجهة النظر الإسلامية ، يرى أن هذه النسبة التي يشكلها المسلمون ، ما زالت بعيدة كل البعد عما ينبغي أن تكون عليه ، لأن ما ينبغي أن يكون ، هو أن يكون أهل الأرض جميعا مسلمين ، وهذا يتطلب من الجماعة المسلمة ، أن تواصل المغازي حتى يصير الدين كله لله سبحانه وتعالى.[1]

المسلمون في العالم بين الأكثريات والأقليات

كيف تحولت الأقليات إلى أكثريات ؟

أرسل الله سبحانه وتعالى ، رسوله بالهدي ودين الحق ، ليدخل فيه الناس أجمعين ، وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم دولة الإسلام الأولى في المدينة ، وبدأ مغازيه واستطاع في عشر سنوات أن يدخل كل جزيرة العرب في الإسلام ، ثم التحق بالرفيق الأعلى تاركا للمسلمين مواصلة المسيرة ، مسيرة الفتح والغزو كي لا يبقى مكان على وجه الأرض إلا وقد عمه نور الإيمان . وانطلق المسلمون منذ فجر الدعوة جيوشا وتجارا ينشرون الإسلام في أرجاء المعمورة ، وانتشر الإسلام بعد معارك جهادية ضارية ، وسلوكيات فاضلة ، وممارسات صحيحة .

---

(١) د. حسين مؤنس ــ الإسلام الفاتح.

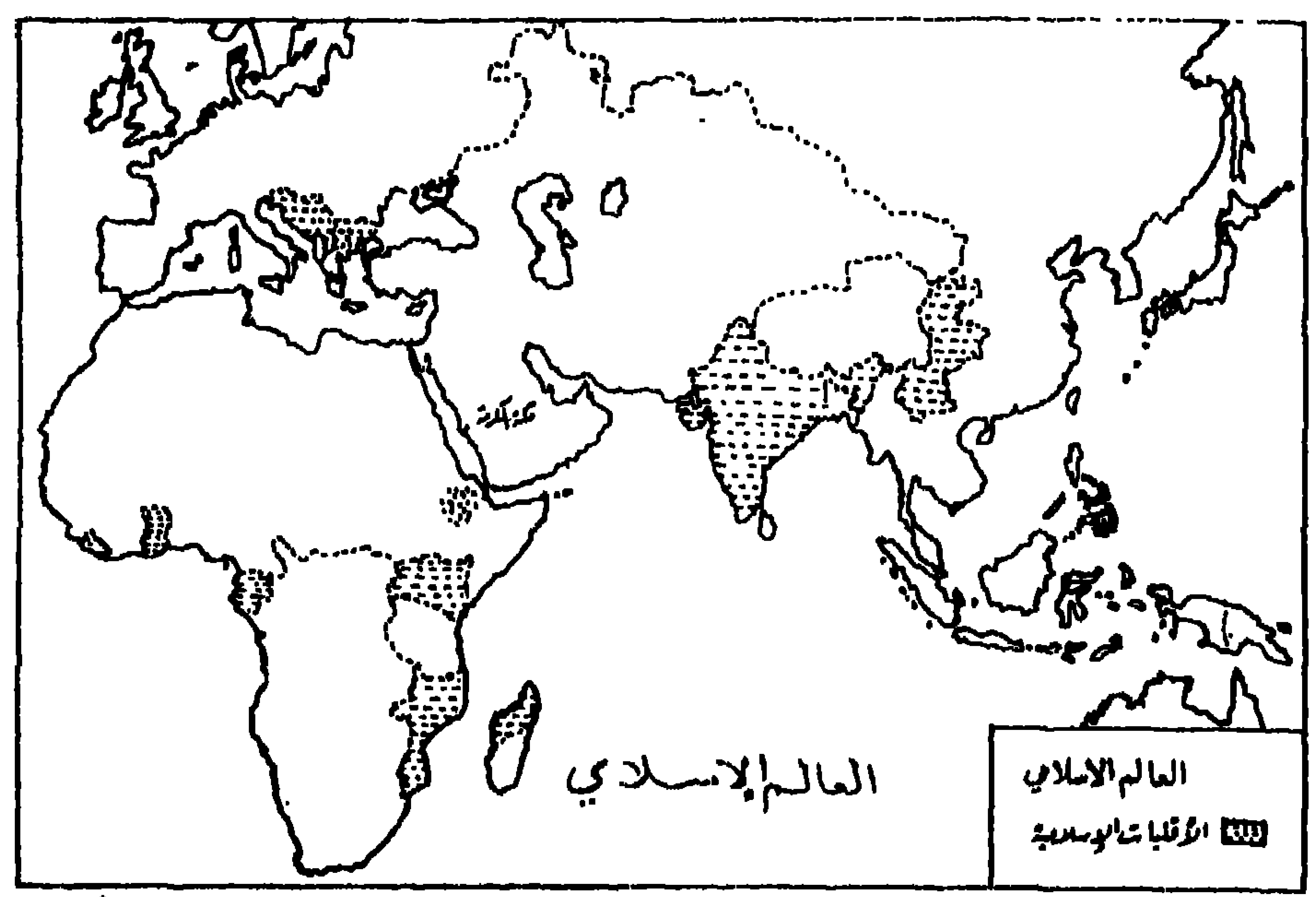


ودخلت دولة الروم الإسلام بعد طول صبر وعناء ،وسقطت الإمبراطورية الفارسية ،وتجاوزت انتصارات المسلمين مضيق جبل طارق إلى الغرب ، لترسي قواعد الحضارة الإنسانية في الأندلس ، وامتدت في العام ذاته إلى بلاد ما وراء النهر، لتشمل أواسط آسيا ومراكز الحضارة الهندية في الهند والسند لتصبغها بصبغة إسلامية.

عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما :

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وصلت جيوش المسلمين إلى بلاد القفقاس ، وفي عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، اجتاحت جيوش المسلمين بلاد أوزبكستان وأراضي التركستان ، وتأصل الوجود الإسلامي في تلك البقاع بعد حادثة فريدة من نوعها في التاريخ الإنساني ، وما كانت لتقع لولا الحرية التي وفرها الإسلام للناس ، ولولا عدل الإسلام الذي شمل الجميع ، مسلمين وغير مسلمين ، وذلك حين خرج أهل سمرقند من أراضي التركستان ، وقدموا على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، ليرفعوا إليه مظلمتهم بأن قتيبة بن مسلم ، قد دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين غدرا.

كتب عمر بن عبد العزيز إلي عامله ، لينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروه ، فإن قضي بإخراج المسلمين أخرجوا ، ويقضي القاضي جميع بن عامر ، بإخراج المسلمين ، وقتئذ هش أهل سمرقند لعدالة الإسلام وسماحة المسلمين وبشوا ، ودخلوا في دين الله أفواجا .



وكتب عمر رحمه الله إلى ملوك ما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلموا وتأصلت جذور الإسلام في تلك البلاد ، وكان من بين أبنائهم دعاة ومجاهدون ، وعلماء ومحدثون ، أمثال البخاري والنسائي ، والترمذي ، والسمرقندي ، وغيرهم . ومن هذه البلاد في آسيا الوسطى امتدت إشعاعات الإسلام إلى ما حولها امتدادا واسعا وعميقا ، واستطاع الحكم الإسلامي أن يسيطر على أهم طريق للتجارة العالمية ، يخترق آسيا ويربط الشرق القديم بالغرب الجديد .

التجار المسلمون والدعوة إلى الله تعالى :

وامتد الإسلام بنفسه ففتح أفريقيا المدارية ، وبعض أفريقيا الاستوائية ، ومد ذراعه فوصل إلى المحيط الهادي ، فضم إلى عائلة الإسلام والمسلمين ، بلاد أندونيسيا وماليزيا، وجزر الفلبين ، فبينما كانت بلاد الإسلام في الشام ومصر تتعرضان لحملات صليبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ، كان ركاب سفينة عربية قدمت من جدة ، ورست في ملقا عند البوابة الجنوبية لشبه جزيرة الملايو ، يقومون بدعوة الملك في الملايو وسومطرة والفلبين وسائر جزر الأرخبيل ، وانتشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمعاملات والسلوكيات الفاضلة مع الآخرين .

وكانت التجارة طريقا إلى الآخرة ، وطريقا إلى الله تعالى ، ودخل الإسلام قلوب الناس واستقر ، وأصبح للإسلام ديار في الشرق الأقصى وفي أفريقيا جنوب الصحراء

في تشاد ، النيجر ومالي والسنغال ، وجزر القمر والحبشة ، وجنوب السودان، وأسلمت القبائل الوثنية والنصرانية ، وكان الإسلام هو الذي فتح قلوب أهلها واستقر.

وتحولت الأقليات إلى أكثريات مسلمة .. وأصبح المسلمون أعزة يحكمون العالم، ويسيطرون على الدنيا.. كان ذلك يوم أن كانت الحضارة الإسلامية في أوج عطائها، وكان أبناؤها يمارسون دور الشهادة، ليكونوا شهداء على الناس، ينشرون دعوة السلام والإسلام، ويخرجون الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن ظلم الدنيا إلى عدل الإسلام.

متى وكيف تحولت الأكثريات إلى أقليات ؟؟

ويوم أن ضعفت دولة الإسلام ، يوم أن خالفوا أوامر ربهم وتناسوا تعاليم نبيهم، فتباغضوا وتحاسدوا وتدابروا وتقاطعوا وتنازعوا ، وتناسوا قوله تعالى : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الأنفال٤٦ وأضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات وغرقوا في الملذات ، فصدق فيهم وعد ربهم: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ مريم٥٩ وصدق فيهم وعد نبيهم (تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها فقالوا : أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله ..؟ قال : لا بل أنتم كثير ولكنكم كغثاء السيل)

لأنهم أصيبوا بالوهن وحب الدنيا وكراهية الموت ، فهانوا على الله ، وهانوا على الناس.

وعندما زالت دولة الخلافة ، وتمزق العالم الإسلامي ، احتل الغرب الصليبي الكافر ، والروس الملحدون ، بلاد المسلمين ، وخسرت الأمة المسلمة بلاد الأندلس وصقلية ، وجزر البحر المتوسط ، وخسرت الهند والقوقاز ، والتركستان وغيرها من بلاد المسلمين .. وتحولت الأكثريات إلى أقليات ، بعد أن تلهى المسلمون بخلافات المصالح ، وصموا آذانهم عما يحدث ، وكأن في آذانهم وقرا !!

وتحولت الأكثريات بفعل القهر والضم والقضم ، ومخاطر التذويب والحرمان إلى أقليات تعصف بها الرياح . . وتضافرت العوامل المختلفة التي أدت إلى ضمور الدعوة إلى الله تعالى ، من ضعف لدولة الخلافة الإسلامية ، وضعف للدور الحضاري الرائد للمسلمين ، وتفشي الجهل ، وركود الإنتاج الاقتصادي ، الزراعي والصناعي والتجاري ، مما أدى إلى انقلاب الموازيين ، وارتباك الحياة العامة في العالم الإسلامي.

لقد تحولت الأقليات إلى أكثريات يوم أن أثمرت الجهود الفردية المخلصة ، فدخلت الملايين من الناس الإسلام ، وخضعت البلدان الكثيرة للإسلام ، وظلت بعيدة عن الخليفة والسلطان .

وبعد ضعف وانهيار الخلافة الإسلامية ، وتمزق العالم الإسلامي ، اشتد الهجوم على الشرق الإسلامي ، عبر محاور فكرية ، وخدمات تبشيرية نصرانية وتشكيك وارساليات ، وجامعات واحتلال صهيوني وسوفييتي شيوعي ، وغيرها.

من هنا تحولت الأكثريات المسلمة في أمصار شتى إلى أقليات !!

واقع الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية :

في الوقت الذي تجاوز فيه الإسلام بالإنسان مرتبة تقديس الحقوق ، التي اعتبرها من الضرورات ، بل أدخلها في إطار الواجبات من مأكل وملبس ومسكن ، ومن أمن وحرية في الفكر والاعتقاد والتعبير ، ومن العلم والتعليم ، بل وصياغة النظام العام للمجتمع ، والمراقبة والمحاسبة لأولياء الأمور ، والثورة لتغيير نظم الظلم والجور والفسق والفساد .. .. الخ .

هذه الأمور التي لم تعتبرها المبادئ الإسلامية حقوقا للإنسان فقط ، من حقه أن يطلبها ويسعى في سبيلها ويتمسك بالحصول عليها ، ويحرم الصد عن طلبها ، وإنما هي ضرورات واجبة .. ضرورات إنسانية لا سبيل لحياة الإنسان بدونها ، والحفاظ عليها .. أي ليس مجرد حق للإنسان ، بل واجب عليه ، ويأثم إذا ما فرط فيها . ذلك كي يتحقق المعنى الحقيقي للحياة .. ذلك لأن العدوان على الحياة جريمة .. وجريمة مؤثمة.

يحرم على الأقليات المسلمة من أن تعيش الحياة الشريفة العزيزة ، التي يري الإنسان نفسه فيها ومن خلالها أنه خليفة الله المستناب في أنحاء الأرض ، وعمارة الكون في الوجود ، وتناضل الأقليات المسلمة دون الحقوق ، وتخوض غمار حرب ضروس في مجتمعات الأكثرية التي أقرت قوانين حقوق الإنسان لتحصل على حدود دنيا من تلك الحقوق !!

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وحقوق الأقليات المسلمة :

جاء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ يتضمن حقوقا وحريات ، يتمتع بها الإنسان كل إنسان دون أي تمييز من الجنس أو اللون أواللغة أو الدين أو الأصل أو الثروة وغيرها ، إلا أن خروقات واسعة له ، تشهدها ساحات الأقليات المسلمة من قبل الأكثريات من خلال مختلف التحديات التي رفعها مجتمع الأكثريات غير الإسلامية ، تتعلق بحرية ممارسة الشعائر الدينية ، وقضايا المال والتعليم والأخلاق والقانون والأحوال الشخصية .

ففي ممارسة العبادات يعاني مسلمو الأقليات من نقص مساجدهم وتهديمها وإغلاقها أو تحويلها إلى متاحف ونواد أو قاعات اجتماعية أوحزبية . وفي قضايا الأحوال

الشخصية أمور تتعلق بمنع تعدد الزوجات ، وإسقاط المانع الديني لزواج المسلمة من غير المسلم ، وإضعاف السلطة الأبوية ، وتوزيع الإرث ، كلها أمور تجرى وفق قوانين بعيدة كل البعد عن الشريعة الإسلامية ، مما يجعل الأقلية المسلمة عرضة للتبدل التدريجي والتغير والذوبان في مجتمع الأكثرية غير المسلم ، ثم يصبحون بعد ذلك أثرا من الماضي!! وفي مجال التعليم هناك مخططات تصطدم بحاجز الإصرار على اللغة القومية، باعتبارها السياج الواقي الذي يحمي المسلمين من الذوبان في عالم الأكثرية. . سعت السلطات الروسية إلى ترويس الشعوب الإسلامية ، وسعت الصين إلى تصيينها ، لعزل الأقليات الإسلامية عن لغتها القومية ، وعاداتها الخاصة ، وتفننوا في ابتكار الوسائل المختلفة لتعميم الثقافات الروسية والصينية .وتهدف هذه السياسات المتبعة بشأن إحلال اللغات القومية محل اللغات الإسلامية إلى إبعاد الأقليات المسلمة عن إخوانهم المسلمين في كل مكان .

كانت اللغة الأوزبكية تكتب بالحروف العربية فقرر ستالين أن تلغي تلك الحروف وتستبدل بها اللاتينية . وكانت جمهورية الشيشان أنجوشيا ذات لغة خاصة تكتب بالحروف العربية ، فأجبرهم الروس عقب احتلالهم لها بتغييرها إلى الروسية .

كل هذا لفصم عرى الشعوب المسلمة وطمس معالم حياتهم الدينية ، للقضاء على إسلام الأقليات ، وهذا يؤكد للمسلمين أهمية التحدي اللغوي التعليمي والثقافي للجاليات والأقليات الإسلامية في العالم . وهذا ما أكده البابا للخائفين على أوروبا من نزوح كثير من المسلمين إليها قائلا لهم : "**أنه طالما أطفال المسلمين في مدارسنا ، فلا خوف منهم ، ولنزوحهم يصبح لصالحنا**"

واقع الأقليات غير المسلمة في دولة الإسلام :

حقوق غير المسلمين في دولة المسلمين :

حين أقام الإسلام دولته الأولى في المدينة المنورة (يثرب) ، أقر الرسول صلى الله عليه وسلم ، للأقليات غير المسلمة من أصحاب الديانات الأخرى كامل الحرية في تحقيق ذاتها وفقا لتراثها ، فكانت لهم المواطنة الكاملة ، ولهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين من حقوق وواجبات .

وجاء الفقه الإسلامي فمنح أبناء تلك الأقليات حرية ممارسة شعائر دياناتهم ، وإقامة مؤسساتهم الاجتماعية ، وأن تكون لهم بيئتهم ومدارسهم التي يربون أبناءهم فيها تبعا لعاداتهم وتقاليدهم ، ونصت الشريعة الإسلامية على مساواة غير المسلمين بالمسلمين في شئون الحياة المختلفة . فحفظ الإسلام لهم كنائسهم ، وأباح لهم بناء الجديد منها، ومنحهم الامتيازات في أمورهم الشخصية ، فتولى نفر منهم بعض المسئوليات الرسمية في

الدولة الإسلامية ، فكان منهم الوزراء والمستشارون ، وبرع منهم العلماء ، والأطباء ، واللغويون ، ولم تقف الدولة من بعضهم موقف المتشدد ، إلا بعد أن ظهر من هذا البعض الإخلال بالأمن والاتصال والتجسس لصالح العدو .

وبقيت المبادئ الإسلامية في العدل والإنصاف وعدم التمييز بين المسلم وغير المسلم كمواطنين لهم حق المواطنة ، بقيت مرعية ومحترمة ، ومتفق عليها طوال عهود الدولة الإسلامية ، وفي سائر القرون.

الامتيازات الأجنبية :

حصل نصارى الروم في أوروبا على امتيازات قانونية وتجارية في دولة الخلافة العثمانية ، وكانت أقوى قوة في العالم حينئذ دون منازع وأصل تلك الامتيازات ، منحة وهبها السلطان العثماني **سليمان القانوني** ، **لفرانسو الأول** ، ملك فرنسا ، كما جاء في خطاب السلطان إليه عندما استنجد به لفك أسره ، وأراد السلطان بالامتيازات تأكيد سلطانه بطريقة ما على فرنسا ، وواضح هذا فيما جاء في خطابه المحفوظ بمكتبة باريس، يقول السلطان لملك فرنسا :" **أنا سلطان السلاطين وبرهان الخواقين ومتوج الملوك في الأراضين** " وأراد بها مجابهة الامبراطورية الرومانية المقدسة ، بعد أن هزم امبراطورها شارلمان . كان السلطان المسلم ينظر إلى الأوروبيين نظرة استعلاء ، وكان يرى في تلك الامتيازات صورة من صور العطف والإحسان إلى تلك الدول ، فقد كانوا يخاطبونه بالسيد الأعظم وامبراطور العالم الكبير الذي يحتاجون إليه ، وكان هو يرى أنه ليس في حاجة إليهم ، وهو في غنى عن سائر الدول ، وهذا واضح من خطابه لهم في قوله : " **على هؤلاء أن يقيموا الممثلين في دار السعادة لتأمين مصالح شعوبهم** " وذلك عندما طالبت الدول الأوربية بتمثيل لها لدى الباب العالي.

أعطى السلطان أوروبا تلك الامتيازات ، بعد طول الحاح وطول تشفع من فرانسوا الأول عبر رسوله لدى الباب العالي ، دا لافورست ، وعلى اثر نجاحه في مسعاه ، عين الراهب أول سفير لفرنسا لدى السلطان .

وحصلت فرنسا على الامتيازات في البداية ، ثم سعت سائر الدول الأوربية للحصول عليها ، فحصلت عليها بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا وهولندا وإيطاليا ثم فيما بعد الولايات المتحدة .

لقد انطلق السلاطين العثمانيون من فرضية أن النصارى أحرار في معتقداتهم في ظل حكم إسلامي ، فأصدروا الامتيازات لتشمل نطاقا أوسع وأكبر من نطاق العقيدة . ولكن أوروبا والغرب الصليبي استغلوا هذه الامتيازات فيما بعد ، بعد أن تعدت نطاق العقيدة إلى شئون التجارة ، والتدخل المكشوف لفرض الحمايات على السكان النصارى

من رعايا الدولة العثمانية ، وبالتخطيط الماكر تمكنت الدول الأوروبية من فرض التدخل لحماية جالياتهم وأقلياتهم ، ثم الانقضاض على الدولة العثمانية وتمزيقها من الداخل .

كان التسامح الديني هو الطابع الأصيل الذي عامل الأقليات غير المسلمة في الوطن الإسلامي ، وحفظ لها حرية العبادة والاعتقاد والكسب والعمل ، وسائر الحريات التي لا تعترف المجتمعات غير الإسلامية بها ، ولم يهمل العنصر غير الإسلامي في الوظائف والتعليم والمعيشة ، ولم يجرد من سائر حقوق الإنسان .

استثمار الأقليات المسلمة في الدعوة إلى دين الله :

تشكل الأقليات المسلمة في العالم حقيقة لا مراء فيها ، ولاشك في إثبات وجودها وأن هذا الوجود مستمر في الاتساع ، وبرغم من كل المعوقات ، فإن التقديرات الإحصائية تذكر أن اجمالي الأقليات الإسلامية في العالم أكثر من ٥٠٠ مليون نسمة ، وهو رقم لايستهان به ضمن العدد الإجمالي للمسلمين في عالم اليوم ، والبالغ ١.٦مليار نسمة ، يمثلون ٢٧% من جملة سكان العالم ، وذلك وفقا للإحصائيات التي أجرتها دوائر تابعة لمنظمة الأمم المتحدة ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي .

هذه الأقليات إذا ما تم استثمارها في نشر الدعوة الإسلامية أينما كانوا ، فإن هذا سيتيح للمسلمين كسب أرضا إسلامية جديدة ، واستقبال أعدادا جديدة تضاف إلى المجتمع المسلم ، وسوف يكون هذا فتحا مبينا ونصرا كبيرا للإسلام ، وللأمة الإسلامية التي ما زالت بخير ، مادام في قلوب أبنائها من الغيرة والحمية لدعوة الحق سبحانه وتعالى . ولنا في انتشار الدعوة الإسلامية في مراحلها الأولى عبرة ، فلقد بدأت الدعوة محدودة في مهدها ، ثم سارت سيرا حثيثا ، ثم انتشرت حتى بلغت أقاصي الدنيا ، من تخوم سيبيريا شمالا واليابان شرقا ، وأوقيانيا جنوبا والأمريكتين غربا ، وفتح الله عز وجل للإسلام قلوبا في مناطق نائية معزولة ، لا يمكن أن يتصور دخول الإسلام فيها . ذلك لأن الإسلام دين فاتح ، إذا ما مس القلوب ، وتعرفت عليه معرفة نقية وبعيدة عن التشويه والتحريف فإنه سرعان ما يغزوها ويفتحها .

هذا ما أكدته حقائق التاريخ ، فتعاليم الإسلام ما تفتأ يمارسها معتنقوها إلا ويقبل عليها غير المسلمين زرافات ووحدانا ، خاصة إذا أخلص معتنقوها في ممارسة الشعائر والتعاليم الإسلامية ، ذلك لأن الإسلام هو دين الفطرة ، الذي تنسجم تعاليمه مع مكونات الوجدان ، وتتوائم معها وتتعاطف مع أسسها وتتربع في منابعها . كما أن الإسلام يشتمل على تعاليم ربانية سامية ، تتضمن حلولا جذرية لمشكلات البشر التي تتفشى يوما بعد يوم ، وتضفي ظلالا كثيفة من اليأس والتمزق والإحساس بالضياع ، تدفع الكثيرين من بني الإنسان إلى التخلص من حياتهم على الرغم مما حققته البشرية من إنجازات فائقة في شتى

جوانب الحياة .. يحدث هذا في ظل أنظمة عديدة أظهرت إفلاسها من خـــلال ممارســـات بعيدة عن دين الله ..دين الفطرة ، الإسلام .

كل هذا يفتح أفاقا رحبة لاحتضان تعاليم الإسلام السمحة التي تكمن فيـــها الحلــول السامية لمشكلات الإنسانية ، ذلك لأنها من وضع خالق الإنسان سبحانه وتعالى .

يكون ذلك من خلال حسن استثمار وضع الأقليات المسلمة أينما كـــانت .. هنـــاك بعض الجاليات المسلمة تعيش في كثير من دول العالم ، وتتمتع بقسط من الحريـــة ، بـــل ولها مكانة مرموقة لدى السلطات الحاكمة ، يمكن أن تساعدها تلك السلطات وتدعمـــها ، بل وتقدم الحماية لها ، على الرغم من وجود الكثير من السلبيات في الممارسات .

هذه الجاليات يمكن توظيفها في نشر مبادئ الدين الإسلامي والدعوة الإســـلامية ، واتساع الرقعة الجغرافية لخارطة الإسلام .

من هنا كان من الضرورة بمكان ، حل المشكلات والتغلب على المعوقات والعقبات التي تعترض مسيرة وجود هذه الأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم ، كي تتحول مـــن موقف الدفاع والضعف الذي تعيشه ، إلى موقف البناء والانطلاق ، والانتشار في شـــتى بقاع المعمورة . عندئذ تنطلق الدعوة من أسارها ، وتتحول من أعباء وهموم ،إلى انطلاقة وقوة دافعة ، ومراكز انتشار للدعوة الإسلامية .

ومن هنا كانت ضرورة التكاتف والتنسيق لدعـــم الأقليـــات ، ولرســـم الخطـــوط الواضحة لمستقبل انتشار الإسلام واتساع رقعة الخريطة الإسلامية .

الباب الثاني

الجذور التاريخية
للعداء الصليبي للإسلام والمسلمين

- **الصراع بين العرب والروم .**
- **خلفية الصراع الإسلامي المسيحي .**
  - بولس وقسطنطين بداية الصدام مع النصارى
- **مقتل الصحابة رضي الله عنهم.**
  - غزوة مؤتة ـ غزوة تبوك
  - في عهد الخلافة الراشدة ـ السلاجقة العثمانيون .
  - المغول والتتار .

الباب الثاني

الجذور التاريخية للعداء الصليبي للإسلام والمسلمين

الصراع بين العرب والروم

تمتد جذور الصراع العربي مع الغرب إلي أبعاد سحيقة في التاريخ ، ففي القرن السابع قبل الميلاد ، قامت امبراطوريتان عربيتان عظيمتان في بلاد الشام ، هما: امبراطورية الأنباط ، وامبراطورية تدمر ـ آل اذينة .

امبراطورية الأنباط (أكلت يوم أكل الثور الأبيض) :

كان الأنباط شعبا شديدا ، وذا مقدرة قتالية فائقة ، فتمكن من الحاق الهزيمة بجيوش الإسكندر الأكبر المقدوني ، التي حاولت السيطرة علي عاصمتهم البتراء عام ٣١٢ ق م. ثم جاء الرومان بعد اليونان ، وحاول أباطرة روما القضاء علي مملكة الأنباط، واحتلال عاصمتهم لتتم لهم السيطرة الكاملة علي الشام ومصر ، فكانت الحرب سجالا بين العرب الأنباط والرومان .

وفي عام ٤٧ ق.م. تعاظم سلطان الرومان في الجهات الشمالية من الشام ، وزحفت جيوشهم الكثيفة لتدمير البتراء ، وجرت المفاوضات التي انتهت بالصلح ثم بتحالف العرب الأنباط مع الرومان ومشاركة القوات النبطية جيوش يوليوس قيصر في حصارها للأسكندرية في عهد ملكة مصر **كليوباترة** ، والتي قضي القيصر عليها وأزال ملكها ، وعلي الرغم من تعاون العرب مع الرومان وإخلاصهم لهم ، زحفت جيوش روما بمساندة الجيوش المصرية علي مملكة الأنباط ، واحتلوا العاصمة الجبلية البتراء في عهد الامبراطور **تراجان** عام ١٠٦ م. ، ولم تنفع الصداقة بينهما وأزال الرومان مملكة الأنباط العربية ، وأكلت يوم أكل الثور الأبيض ، وكان ذلك من نتائج التبيعية ، وفقدان الروح القتالية والركون إلي حياة الدعة والترف !!

امبراطورية تدمر :

وكانت تدمر مدينة عربية عظيمة ، تشهد آثارها الباقية حتي اليوم علي عظمتها وعظمة من قاموا ببنائها ، تأسست تدمر قبل الميلاد بقرون طويلة ، وكانت محطة للقوافل التجارية بين الشرق والغرب ، إلا أنها لم تبلغ أوج مجدها السياسي والتجاري إلا في أوائل القرن الثالث الميلادي ،حين أصبحت مملكة عظيمة تحكم من قبل مجلس شيوخ من

العرب علي الطريقة اليونانية .ولقد حاول الرومان احتلالها وضمها لممتلكــات مــا وراء البحار التابعة لروما ، ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا حتي عام ١٣٠ م. إذ بلغــت تدمــر مــن العظمة والقوة ما جعل ملكتها الزباء _ زنوبيا ـــ تزحف بجيوشها وتعبر مضيق البسفور وتحاصر القسطنطينية قاصدة احتلال روما نفسها ، فصمد لها الامبراطور " أورليــانوس " ونجح في إخراجها من التراب الأوربي عام ٢٧٣ م. بعد أن حاصر عاصمتها تدمر ثـلاث سنوات ، ولكن بعد أن أبدت الملكة زنوبيا ضروبا من الشجاعة والبسالة والثبــات أذلــت فيها مجلس شيوخ روما ، وجعلت الامبراطور الذي كان يحاصرها يكتب لمجلس الشــيوخ في روما حين وجهوا إليه اللوم لعجزه ثلاث سنوات عن اقتحام مدينة تتولي الدفاع عنــها امرأة ، فكتب قائلا :

" **إن الشاهد يري ما لا يراه الغائب .. إنني أحارب وأحاصر امرأة إذا حاربت فهي أرجل من الرجال.** " وفي عام ١٣٠م استولي الامبراطور **هدريان** علــي المدينــة وغــير اسمها إلي **هادريانا بالميرا** وأخضعها لسلطان روما ، وقضي علي حكمها الوطني ، بعــد أن اغتال ملكها أذينة الأكبر لأنه تخلي عن عضويته في مجلس الشيوخ الروماني ، وتـبرم من سيطرة الرومان على بلده وأظهر تحديه لروما وسعي إلــي التخلــص مــن كــابوس الاستعمار الروماني .

الغساسنة :

ويمضي الزمن ويحكم ملوك قضاعة الشام ـــ تحت سلطان روما ـــ ثم يأتي أبنـــاء عمومتهم الغساسنة في أواخر القرن الثالث الميلادي ، ويحكمون الشام ، ويصبحون القــوة الرئيسية التي تعتمد عليها روما في حروبها ضد خصومها في المنطقة . إذ كــانوا رأس الحربة في الجيش الروماني الذي خاض ـــ ضد المسلمين ـــ معركة مؤتة في البلقاء عــام ٨ من الهجرة ، حيث كان قائد العرب المتنصرة في هذه المعركة أحد سادات قضاعة وهو **مالك بن رافلة** ، وقد لقي مصرعه في ساحة الحرب.

كان الغساسنة يأتمرون بأمر أباطرة روما ، ويحكمون مناطق الشام باسمهم ثم قوي أمرهم وتعاظم واحتاج إليهم الرومان في حروبهم مع الفرس في أوائل القــرن الســادس الميلادي حين تغلب الفرس علي الرومان بمساعدة عرب الحيرة المناذرة وقهروهم ، حتي كادوا يحتلون القسطنطينية في عهد الامبراطور جوستنيان الذي كان يعاصر كسري أنــو شروان . سائد الحارث بن جبلة الرومان حينئذ ، وكان لدخوله الحرب إلي جانب الرومان أهم أسباب نصرهم واستعادتهم الأقاليم التي استولي عليها الفرس .

خلفية الصراع الإسلامي المسيحي

بولس وقسطنطين :

حين طمس بولس الذي يسمونه (بالرسول)، نور المسيحية وطعمها بانحرافات جاهلية ، واعتنق قسطنطين امبراطور الروم ، المسيحية وعقد مؤتمرا مجمعا كنسيا في نيقية بآسيا الصغرى عام ٣٢٥م.لم يلتزم فيه بالتصور الحق لله تعالي ، الذي جاء به عيسى عليه السلام والمسيحيون الأوائل ، وأصدر المجمع قرارا له طبيعة الدستور فيما يتعلق بعقيدة التثليث كعقيدة أساسية في المسيحية ، مخالفا ماجاء به عيسي عليه السلام وبشر به . وحرفت المسيحية وقضي قسطنطين على البقية الباقية منها بعد أن أجهز على كافة الآثار والمخطوطات التي عارضتها .

واعتنق الروم البيزنطيون المسيحية بعد أن أصبحت على يد قسطنطين مزيجا من الوثنية اليونانية الرومانية ، وأدخل فيها الكثير من الخرافات والتحريفات والتبديلات ، التي أخرجتها عن جوهر التوحيد .وبدلا من أن تغير تعاليم المسيح من طباعهم ، انطلق الرومان في سياسات الاغتصاب والاجتياح ، والنهب والاضطهاد للشعوب ، وبدلا من أن يؤمنوا بمقولة :" من ضربك علي خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر " انطلقوا يلطمون الوجوه عن اليمين والشمال ، فاغتصبوا بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، بعد صراعهم مع الأنباط وتدمر ، واحتلوا العاصمة البتراء ، وكانت الحرب بين العرب والروم سجالا ، وبدلا من أن يتنصر الروم ، ترومت النصرانية .

بداية الصدام بين العرب المسلمين ونصارى الروم:

حين عم نور الإسلام جزيرة العرب ، على يد محمد صلى الله عليه وسلم ، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك ورؤساء وأمراء الشرق الأوسط ، يدعوهم إلى الإسلام ، وكان ممن دعاهم إلى الدخول في دين الله ، هرقل عظيم الروم ، أرسل إليه رسالة يحملها الصحابي دحية بن خليفة الكعبي رضي الله عنه ، جاء فيها : "**بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله ورسوله.، إلى هرقل ملك الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، اسلم تسلم ، واسلم يؤتك أجرك مرتين وإن تتولى فإن إثم الأكارين عليك ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** "

هذه الرسالة أعلنت أميرة عربية تقيم في لندن أنها تمتلك أصلها وتحتفظ بها ، وأن عائلتها توارثتها جيلا بعد جيل حتى آلت إليها ، وأنها ورثت معها وصية بألا تتصرف فيها إلا لحاكم مسلم ، وقد انتقل إليها الدكتور عزالدين ابراهيم ، المستشار الثقافي لرئيس دولة الإمارات ، وأجرى على الرسالة بعض الاختبارات العلمية عن طريق أشهر خبراء

الجلود الذى أكد على صحتها

والجدير بالذكر أن هرقل أطلع بطاركة الروم على الرسالة ، ودعاهم لقبول الدعـوة ولكنهم رفضوا واستكبروا ، وخاف هرقل على نفسه وملكه منهم ولم يدخل الإسلام.

استشهاد الصحابة رضي الله عنهم:

ويبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، كعب بن عمير وأربعـــة عشـــر رجـــلا مـــن أصحابه إلى ذات أطلاح من أرض الشام خارج جزيرة العرب يدعوهـــم إلـــى الإســـلام ، فيأخذهم متنصرة العرب الغساسنة على غرة ، ويقتلون صحابة رسول الله صلى الله عليـه وسلم غدرا ، ويشق ذلك على النبى والمسلمين معه. ويرسل النبي صلى الله عليه وســلم ، الحارث بن عمير الأزدي ، إلى ملك بصرى والجولان ، الحارث بن أبي شمر الغســاني ، بكتاب يدعوه إلى الإسلام ، فيقتله شرحبيل بن عمرو الغساني من أمراء ملــك بصـــرى ، ويشتد الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخاصة بعد أن هـــدد ملــك غســان المتنصر بغزو بلاد المسلمين ، وقال إني سائر إليه ،أى إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

كانت المنطقة التي قتل فيها الصحابة رضي الله عنهم من ممتلكات الـــروم والتـــاج البيزنطي ، وكانت التهديدات بغزو الجزيرة العربية واحتلال المدينة المنـــورة مـــن قبـل جيوش الإمبراطورية على يد عميلها الحارث بن أبي شمر الغساني .

لذلك كان قرار النبي صلى الله عليه وسلم ، بالتصدي لجحافل الــــروم ومتنصـــرة العرب الذين غدروا بأصحابه ، وصاروا يهددون الدولـــة الإســـلامية ، ويقـــاتل الـــروم المسلمين في مؤتة في العام الثامن من الهجرة ، بعد أن كتب إلي الروم متنصرة العرب!!

يقول صاحب السيرة الحلبية: لقد استمرت هذه المعركة ستة أيـــام ، وهـــزم فيـــها المسلمون هزيمة منكرة بعد مصرع القادة الثلاثة، لـــولا أن قيـــض الله تعـــالى للجيـــش الإسلامي قائدا خالدا ،استطاع بتوفيق الله ثم بمهارته العسكرية من أن ينسحب، ويســـحب معه ثلاثة آلاف مقاتل ، أنقذ رؤوسهم من تحت مطرقة الموت ، التي أخـــذ مائتـــا ألـــف بيزنطي وحليف عربي يهوون بها على رؤوس أفراد ذلك الجيش الإسلامي الصغير الـــذي أنهكته الحرب وفقد قادته الثلاثة ، وسقط لواءه على الأرض وتمزق شمل وحداته تمزيقـــا مريعا .

ثم جاءت **غزوة تبوك** في العام التاسع من الهجرة ، آخـــر غـــزوة غزاهـــا النبـــي صلىالله عليه وسلم ، لتكشف نوايا الروم العدوانية ، ومعهم أعوانهم من متنصرة العرب ، على الحدود الشمالية لشبه الجزيرة العربية .

ويلتحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، ويتولى خليفتـــه الصديـــق رضى الله عنه حمل الأمانة ،فيقضى على المرتدين والمتنبئين ومانعي الزكـــاة ، ويعيـــد الأمر الاجتماعي والسياسي لدولة الاسلام فى ربوع شبه الجزيرة العربيـــة ، ثـــم يتـــابع

المهمة الأساسية التي كلف الله تعالى بها رسوله على ظهر الأرض ، مهمة نشر العقيدة وراء أرض العرب ، ليكون الدين كله لله ، وأن يواجه القوى الطاغية التي تقف في وجه انتشار الدعوة الإسلامية والتي تمثلت في الأنظمة الباغية والسلطات الحاكمة المستبدة التي تقف حاجزا يحول دون انتشار الإسلام وبلوغه إلى عقول الناس وضمائرهم .

أنفذ **أبوبكر رضى الله عنه** ، جيش أسامة بن زيد بن حارثة إلى حيث قتل أبوه وأصحابه فى مؤته ، ونجح فى ردع القوى التى فكرت فى الزحف جنوبا نحو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أعد الصديق رضى الله عنه، الجيوش الإسلامية وزودها بالإمدادات لفتح البلاد وتحرير الشعوب الخاضعة للروم والفرس فى الشام ومصر والعراق ، وأخذ أهل البلاد المفتوحة يدخلون فى دين الله أفواجا ، حتى صاروا جزءا أساسيا فى بناء الدولة الإسلامية ، ولم تستطع الامبراطورية الرومانية ولا الامبراطورية الفارسية الوقوف فى وجه دولة الإسلام الجديدة .

وشهد الإسلام فى **عهد عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ، أشهر المعارك والصدامات العسكرية ضد الروم والفرس ، في اليرموك، وأجنادين، والقادسية، والمدائن، ونجحت الجيوش الإسلامية فى تأدية واجبها، وكان النصر حليفا للمسلمين المؤمنين الذين قاتلوا عن عقيدة وإيمان ، فتفوقوا على ما كان لدى أعدائهم من سلاح وعتاد ودقة تدريب، وحسن تنظيم. وتحررت شعوب مصر والشام ، والعراق وفارس من طواغيت الروم والفرس .

وفى **عهد عثمان بن عفان** رضي الله عنه ، استمرت الدولة الإسلامية في النمو والتوسع على حساب دولة الروم البيزنطيين ، وشهد عهده فتوحات إسلامية في بلاد طبرستان والخزر وأرمينيا ، وبلاد آسيا الصغرى ، فضلا عن برقة وشمال أفريقيا وجزيرتى قبرص ورودس.

لقد جاءت أوروبا النصرانية لتقاتل الإسلام والمسلمين في بلاد الإسلام والمسلمين ، جاء الروم ليقاتلوا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى الشام ومصر والأناضول والمغرب ، وقبل المسلمون التحدي واستجابوا له ، وخرجت الجيوش المسلمة من شبه الجزيرة العربية في وحدة لم بشهد لها التاريخ مثيلا ، نقلت العرب والمسلمين إلى أوروبا.

ولم يكد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى دالت دول ، ودانت بالإسلام دول مثل سوريا وفلسطين وفارس ومصر وأرمينيا وقبرص وشمال أفريقيا . ولم ينته القرن الهجري الأول حتى تجاوزت الفتوحات والانتصارات الإسلامية جنوب أوروبا ، وبلاد ما وراء النهر في آسيا الوسطى ، وبلاد الهند والسند، لترسي قواعد الحضارة الإنسانية ، وشهدت القسطنطينية أول حصار إسلامي كان فيه الصحابي أبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، وكان حاملا للواء الجيش الإسلامي .

هذه الانتصارات العظيمة أزعجت الغرب الصليبي ، ثم جاء السلاجقة وأشعلوا نيران الحروب الصليبية بعد انتصاراتهم الكاسحة على البيزنطيين فى **موقعة ملاذكرد** التي أسر فيها الامبراطور ألب أرسلان ، السلطان السلجوقي المسلم ، امبراطور الروم رومانوس هذه الموقعة التي خاضها المسلمون في عدد لا يتجاوز ربع قوة الأعداء ، واختار فيها **ألب ارسلان** يوم الجمعة للاشتباك فيه مع الروم بعد أن صلى بجنده ظهرا ولبس البياض ، وتحنط استعدادا للموت في سبيل الله ، وزحف على رأس قواته عام ١٠٧١ م.

الأتراك العثمانيون:

ويأتي العثمانيون من بعد السلاجقة ، ليواجهوا الغرب الصليبي بالقوة العسكرية، منتصرين ثلاثة قرون ، ثم مدافعين ثلاثة قرون أخرى ، فنقلوا الحرب والصراع إلى قلب أوروبا أيام عثمان بن أرطغرل ، وأورخان وبايزيد ومراد ومحمدالفاتح الذي نجح في فتح القسطنطينية ، ونجح بنو عثمان في تحويل البحر المتوسط والبحر الأسود وخليج فارس والبحر الأحمر إلى بحار إسلامية ، وهنا بدأت فرائص الغرب ترتعد خاصة بعد أن عبرت الجيوش الإسلامية شبه جزيرة البلقان ووصلت إلى عمق الأراضي الأوروبية بين عامي ١٥٢٩ : ١٦٨٣م. هذه الفتوحات ظلت ذكراها الأليمة عالقة في ذاكرة الأوربيين ، ولم تنس أوروبا وقوف الجيوش التركية أمام أبواب فيينا مرتين .

المغول والتتار :

وجاءت غزوات المغول والتتار في موجات عاصفة على دفعات متتالية طيلة قرنين ونصف من الزمان ، كانت الموجة الأولى بقيادة جنكيزخان ، ثم كانت الموجة الثانية بقيادة هولاكو ، وبعد نحو نصف قرن من حكم هولاكو تحول المغول والتتار من الوثنية إلى الإسلام . فدخل السلطان بركة خان ـ زعيم القبيلة الذهبية ـ الإسلام، واعترف به دينا لدولته ، وتحالف مع السلطان الظاهر بيبرس ، سلطان الدولة المملوكية في مصر ، ضد الصليبيين والتتار الوثنيين ، ثم انضم إليه أوزبك خان أول من جد في نشر الإسلام في انحاء روسيا ، ثم اعتنق تكودار بن هولاكو الإسلام وتحالف مع السلطان قلاوون في مصر ، ونشر الإسلام في أوروبا على حساب امبراطورية الروم البيزنطيين.

عندما أسس جنكيز خان دولته ، واستولى على ما جاوره ، ثم اجتاح أسيا الوسطى وتحرك بجحافله نحو الشرق الأوروبي فأخضع سكانها لهيمنته وبسط سلطانه على القبائل الروسيه التي كانت تقيم في شرق أوروبا ، لتصبح روسيا ضمن امبراطورية المغول والتتار الشاسعة ، يحكمها أبناؤه من بعده باسم الإسلام .

الباب الثالث

أسباب العداء الروسي للمسلمين

- الروس والقسطنطينة .
- الفتح الإسلامي للقسطنطينية .
- استرجاع القسطنطينية هدف استراتيجي للروس .
- تحالف نصارى أوروبا ضد الدولة العثمانية لاسترجاع القسطنطينية.

الباب الثالث

أسباب العداء الروسي للمسلمين

الروس والقسطنطينية :

القسطنطينية هي بيزنطة ، مدينة لها تاريخ لدى الروس[1]، ومن قبلهم الروم والإغريق ، تاريخ المجد والقوة ، كانت عاصمة العالم العظمى وروما الشرقية ، بناها المستوطنون الإغريق ، واشتق اسمها من اسم القائد الإغريقي "بيزاس " وفي موقع بيزنطة ، أقام الامبراطور " قسطنطين " القسطنطينية ،عام ٣٣٠م . ذلك الموقع الحصين حيث تلتقي أوروبا بآسيا على ضفاف البسفور والدردنيل ، ونقلت العاصمة إليها من روما، وانتقل النفوذ إلى أيدى المسيحيين الأرثوذكس ، وبعد أن انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية عام ٣٩٥م . تحولت القسطنطينية إلى حصن ضد الإسلام ، بعد أن جعلها قسطنطين إحدى العواصم العالمية ، وجعلها مركزا دينيا هاما ، لاعتناقه النصرانية على المذهب الأرثوذكسي[2].

حاول السلاف والبلغار غزو القسطنطينية منذ القدم ، وكان ارتباط الروس بها ارتباطا مذهبيا منذ أن دخل الأمير الروسي" فلاديمير " النصرانية ودعى البطريركية البيزنطية كي تبني لها كرسيا أسقفيا في كييف على المذهب البيزنطي ، وارتبطت الكنيسة الروسية بكنيسة آيا صوفيا ، خاصة بعد أن عقد قسطنطين الأول فيها المجامع المسكونية الأولى ، ودارت على أرضها رحى المعارك والخلافات المذهبية في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين . والجدير بالذكر أن تلك المجامع لم تلتزم بالتصور الحق لله عز وجل، وهو تصور عيسى عليه السلام والمسيحيين الأوائل ، وتبنت عقيدة التثليث .

كما يرجع اهتمام الروس بالقسطنطينية إلى موقعها الطبيعي الهام كمنفذ بحري يربط البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق المضائق ، ويوصل البلاد الروسية بالمياه الدفيئة والعالم العربي وأفريقيا والهند .

---

(١) وصفهم المؤرخون العرب من أمثال ابن فضلان، وابن بطوطة، وابن رسته، والمسعودى، بأنهم أمة همجية طبعها التوحش، وشيمتهم الغدر، شقر الأبدان، صفر الشعور، طوال القامات، ضخام الأجسام، أقذر الأمم قاطبة، لا يستنجون من غائط، ولا يغتسلون من جنابة كأنهم الحمير الضالة، يعاقرون الخمر ويشربوها ليل نهار، وربما مات الواحد منهم والقدح فى يده .

(٢) د علي حسون ــ العثمانيون والروس ــ المكتب الإسلامي.

الفتح الإسلامي للقسطنطينية :

استعصت القسطنطينية على الفتح الإسلامي قرون طويلة ، وقد قام المسلمون بمحاولات عدة لفتحها ، بعد أن بشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتحها بقوله :" **لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش جيشها** "

عندما أسس العثمانيون دولتهم لم تلبث أن شهدت عهد قوة وتوسع ، فأحرزوا انتصارات واسعة في أوروبا وآسيا وأفريقيا .ففتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية عام ١٤٥٣م.واتخذها عاصمة للدولة بعد أن غير اسمها إلى "**اسلامبول** "، وغير طابعها النصراني البيزنطي إلى طابع إسلامي ، وتحولت الكنائس إلى مساجد . وأحرز انتصارات هائلة في أوروبا وأصبح البحر الأبيض المتوسط الشرقي تحت سيطرته ، واستطاع من بعده السلطان سليم أن يضاعف بفتوحاته رقعة الدولة العثمانية خلال ثمان سنوات ، هاجم فيها فارس وحارب المماليك ودخل دمشق والقاهرة ، وأصبح العثمانيون سادة الجزيرة العربية وأخذوا منصب الخلافة الإسلامية ، ثم جاء السلطان **سليمان بن سليم** وهدد أوروبا من جديد ، ونشبت العداوة بينه وبين شاركان لعشرات السنين ، واجتاح السلطان سليمان المجر وتوغل في قلب القارة الأوربية المجزأة ، وحاصر فرسان القديس يوحنا حماة جزيرة رودس ، ووصلت جيوش المسلمين إلى أسوار مدينة فيينا ودب اليأس إلى قلب فرديناند ملك بوهيميا ، ودام الحصار الإسلامي للمدينة أربعة أسابيع حاول العثمانيون خلالها اقتحام المدينة أربع مرات ولكنهم أخفقوا بعد اتحاد القوى الصليبية ، وحلول البرد القارس الذي عرقل القتال .

أثار ذلك كله الغرب الصليبي ، فاستنهضت الشعوب النصرانية همم بعضهم البعض ، ورفعوا راية الوحدة في وجه المسلمين الأتراك ، وتزعمت البابوية في روما النضال ضد الأتراك الذين أخضعوا شرق أوروبا لحكمهم . وعقدت الاجتماعات بين ملوك وأمراء أوروبا ، كي يبعثوا حربا صليبية جديدة ، وطرحوا خلافاتهم وعقدوا مؤتمرا في روما برئاسة البابا ، وأجرى الأمير فيليب دوق بورغونديا محادثات تآمرية بين ملوك أوروبا ضد المسلمين ، وأقام تمثيلية في مدينة ليل لاستثارة الحمية والحماس، دعا إليها نبلاء قومه وعرض منظرا يمثل فتح القسطنطينية واستغاثتها بالنصارى ، وبعد انتهاء الحفل أعلن عزمه منازلة الأتراك حتى لو كان وحيدا .

استرجاع القسطنطينية هدف استراتيجي للروس :

شعر الروس الذين كانوا يدينون بالنصرانية أنهم أصبحوا محاطين بالمسلمين من الشرق والجنوب ، إضافة إلى أنهم يتبعون تلك الدولة التي تسيطر على مقدرات شرق

أوروبا . وبعد فتح القسطنطينية تأثر الروس ، إذ أصبحت قاعدتهم الدينية تحت هيمنة المسلمين ، وبعد تقدم العثمانيين في شرق أوروبا ، لاحظ الروس أنهم سيحاطون بالمسلمين من الغرب أيضا ، فبدأت الثورة على المسلمين ، وبدأت قوتهم تزداد واستطاعوا تأسيس إمارتين ، إحداهما في موسكو والثانية في كييف ، وشبت هاتان الإمارتان وتخلصتا من الحكم التتاري المسلم ،ثم اندمجتا في إمارة واحدة لتقاوم المد الإسلامي ، محتجة في ذلك أن مناطقها تزدحم بالسكان في الوقت الذي يقل أهل البلاد التي تقع إلى الشرق منهم ، ولكنهم في الواقع كانوا لا يريدونها إلا حربا صليبية.

تقدم الروس وحققوا انتصارات على التتار في الشرق ، ثم بدأوا حربهم الصليبية بالتوجه نحو الجنوب بغية استعادة القسطنطينية لإعادتها مركزا للأرثوذكس ولوصولهم إلى المياه الدفيئة، وكانت حملاتهم أشد الحملات الصليبية ، ولكنهم حيثما اتجهوا كانوا يصطدمون بالمسلمين ، لذلك جرت الحروب الضروس بين الدولتين الناشئتين الدولة العثمانية في الجنوب والدولة الروسية النصرانية الأرثوذكسية في الشمال.

سعى الروس إلى استرجاع القسطنطينية من أيدى المسلمين ، وإعادتها إلى حظيرة الكنيسة الأرثوذكسية ، لذلك وضعوا استراتيجية ثابتة تقوم على هزيمة المسلمين ، والقضاء عليهم بل وإعادتهم إلى حظيرة النصرانية ، ومن هنا كان توسعهم الاستعماري نحو الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية في بلاد المسلمين .

وصية بطرس الأكبر :

جاء في وصية الامبراطور الروسي ، بطرس الأكبر : " إن على الروس أن ينتشروا يوما بعد يوم شمالا على سواحل بحر البلطيق وجنوبا على سواحل البحر الأسود، كما ينبغي التقرب بقدر الإمكان من استنبول والهند ، لأن من يحكم استنبول يمكنه أن يحكم الدنيا بأسرها ، لذلك فمن اللازم احداث الحروب مع الدولة العثمانية والدولة الإيرانية ، حتى نصل إلى خليج البصرة وبلاد الهند مخزن الدنيا ، وحينما نستولى على استنبول علينا أن نسلط دول أوروبا على دولة النمسا ، وينبغي أن نستميل لجهتنا جميع النصارى وغيرهم من على مذهب الروم المنكرين رئاسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والولايات العثمانية ، ونجعلهم يتخذوا من دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم ، ومن اللازم قبل كل شيء احداث رئاسة مذهبية حتى نتمكن من اجراء نوع من النفوذ ، وحكومة رهبانية عليهم"(١)

---

(١) المرجع السابق

تحالف نصارى أوروبا ضد الدولة العثمانية لاسترجاع القسطنطينية :

سعى الصليبيون إلى طرد العثمانيون من أوروبا واسترجاع الأراضي المقدسة، وتجددت الحماسة النصرانية لقتال العثمانيين في أواخر القرن الثامن عشر ، فدعا فولتير لنصرة الروم ، ونظموا الأشعار الحماسية لمقاتلة الأتراك ، ونادوا بضرورة الوحدة بين الروس والغرب الصليبي لمحو السلطنة العثمانية من الوجود ، ولجأت روسيا إلى تحريك نصارى الدولة العثمانية المشتركين معهافى المذهب ،كي يكونوا ساعدها الأيمن وسلاحا يشهرونه فى وجه أعدائهم المسلمين .

بعد موت "**ماريا تريزا** " عام ١٧٨٠م. انفسح المجال أمام الامبراطورة " **كاترين الثانية** " لتتحالف مع الكنيسة على إسقاط الدولة العثمانية ، وتقسيم أملاكها . وتجددت الحماسة النصرانية ، فى أواخر القرن الثامن عشر ، واتفق نصارى أوروبا على طرد العثمانيين واسترجاع القسطنطينية ، ومكافأة القيصرة الروسية على جهادها لنشر الديانة المسيحية بإعطائها بلاد التتار وأزوف ، وأجبروا الباب العالي على عقد معاهدة مع الروس تخلى بموجبها عن شبه جزيرة القرم .

يقول الكاتب الفرنسي **فولتاى** :" إن الأتراك فتحوا أجمل بلدان العالم وأعظمها في أقل من ٤٠٠ سنة ، ومنذ حوالي المائة سنة الأخيرة ظهرت دولة روسيا قبل هذا التاريخ مجهولة ، فتقدمت وأصبح المستقبل لها .. ثم استطرد قائلا : إن تركيا يجب أن تتقوض ، وأشار على بلاده فرنسا الاتفاق مع الروس لذلك الغرض ، وعدم معارضتهم في استخلاص القسطنطينية ."

أرادت انجلترا التقرب من كاترينا مقترحة تقاسم النفوذ في شرق أوروبا والشرق الأقصى ، فرفضت كاترينا ، ويقول نابليون في منفاه في جزيرة القديسة هيلانة : تذاكوت مرارا مع الروس في أمر السلطنة العثمانية ، وكان ممكنا لولا القسطنطينية التي كانت دائما سببا لمنع الاتفاق ، فقد كان الروس يريدونها ، وأنا لم أكن أرض باستيلائهم عليها لأن القسطنطينية وحدها مملكة ، ومن ملكها أمكنه أن يسود كل الدنيا ، وإذا سقطت مملكة القسطنطينية فلن يمكن لأحد أن يعرف ما يتبع ذلك من المصائب والحروب ، وإن ارتفع تاج هذه البادة على رأس يملك من البلطيق شمالا حتى البحر المتوسط جنوبا ، فليس من المستبعد أن نجد أقواما من البرابرة يهجمون على فرنسا من جهة البحر " وقصد بذلك الروس .

الباب الرابع

المسلمون في الامبراطورية الروسية

- التكوين العرقي للشعوب المسلمة في الامبراطورية الروسية
- التوزيع الجغرافي للمسلمين في الامبراطورية الروسية .
- المسلمون في التركستان وآسيا الوسطى .
- المسلمون في حوض الفولجا وجبال الأورال .

الباب الرابع

المسلمون في الامبراطورية الروسية

التكوين العرقي والتركيب الاثنولوجي للشعوب المسلمة فى الامبراطورية الروسية

جبال آلتاي :

المسلمون فى الامبراطورية الروسية ، قبائل متعددة ،جذورها واحدة ، خرجت من منطقة جبال آلتاى وأراضي الاستبس الجاف ، وانتشرت فى مناطق واسعة فى شرق وجنوب شرق الاتحاد السوفييتي السابق ، فى سهوب كازاخستان ، وفى سهول مرتفعات وسط آسيا ، وفى القوقاز ، وفى إقليم الفولجا الأوسط ومرتفعات الأورال وحوض نهر لينا فى شرق سيبيريا ، وغيرها من المناطق .عاشت تلك القبائل في المناطق الممتدة اليوم من حدود الصين شرقا إلى بحر البلطيق غربا ، وقامت بدور هام في تاريخ الأمم والحضارات ، بعد أن كونت امبراطوريات واسعة على حساب جيرانها ، ولم تلبث أن استقرت فى المناطق التى فتحتها لوفرة أسباب الحياة فيها . شملت تلك المناطق منغوليا والتركستان والأورال والفولجا وشرق أوروبا ، وامتدت أحيانا إلى حوض البحر المتوسط ومرتفعات القوقاز كماحدث مع قبائل السلاجقة والعثمانيين .

اجتاحت قبائل الهون عام ٣٧٠م. جنوب روسيا ، وكان من بين المحاربين قبائل من الترك والمغول ، إذ كان معهم قبيلة البلغار التركية التي استقرت على شواطئ نهر الفولجا ، وفى عام ٥٥٢م. استطاعت قبيلة "ترك " ومقرها جبال آلتاى أن تسيطر على المنطقة الممتدة من حدود الصين شرقا حتى نهر الفولجا غربا ، مكونة امبراطورية عظيمة استمرت قرنين من الزمان ، وأطلق على أحد ملوكها "زعيم السبعة أجناس " وكانت منغوليا عاصمة لملكه ، وكان طريق الحرير الدولي تحت سيطرته .

وفى عام ٧٤٥م. حل **اليوغوريون** ugric فى السلطة محل الأتراك الذين أصبحوا محكومين لهم ، ولكن لم يستمر حكم اليوغورو طويلا ، إذ حل محلهم قبيلة تركية أخرى هي **قبيلة القرغيز** عام ٨٤٠م. بعد أن قضت عليهم ، ولكن سرعان ما استرد اليوغورو السلطة ثانية بعد عشر سنوات ، واستمرت سلطتهم وامبراطوريتهم حتى قضت عليها **قبيلة السلاجقة** التركية ، التي قضى عليها المغول بقيادة جنكيزخان عام ١٢٠٦م. ومنذ هذا التاريخ صعد نجم المغول وأصبح التاريخ يعرف الكثير عن قسوتهم وتخريبهم ، وقبل

جنكيز خان لم يكن التاريخ يعرف شيئا عنهم ، إذ لم يكن لهم دور يذكر في حياة القبائل الاستبسية ، فقد كانوا قبيلة صغيرة في شرق جبال آلتاى في نطاق الامبراطورية التركية، ومن المعروف أن جبال آلتاى هي الموطن الأصلي للأتراك والمغول ، وصارت منغوليا كما كانت من قبل مركزا لحكم الأتراك واليوغوريون UGRIC .

لم تلبث أن تفككت امبراطورية المغول الواسعة ، وحلت محلها في روسيا قبائل التتار TATARS التركية المغولية الذين أصبحوا أصحاب السلطة في قازان واستراخان وشبه جزيرة القرم ، حتى قضى عليهم إيفان الرهيب الروسى عام ١٥٥٢م.

والجدير بالذكر أن تلك الامبراطوريات التركية المتعاقبة ، الواحدة بعد الأخرى ، لم يتعاقب فيها سوى الرؤساء والقيادات والزعامات التى كانت تنظم الجيوش وهم أهل القمة . أما الجسد والجيوش المغيرة فقد كانت من سائر القبائل الرحل في الاستبس الجاف، ففي امبراطورية الهون كانت بعض جيوشهم من القبائل التركية ، وفي امبراطورية الأتراك كانت في الجيش قبائل مغولية ويوغورية وقيرغيزية ، وفي امبراطورية المغول كان الأتراك يمثلون نسبة عالية في جيوشهم ، والجميع كانوا يتكلمون اللغة التركية المختلفة اللهجات في نطاق العائلة اللغوية التائية[1].

التوزيع الجغرافي للمسلمين في الامبراطورية الروسية"

الامبراطورية الرومانية الثالثة "

قبل انفراط الاتحاد السوفييتي السابق في مطلع التسعينات ، كان المسلمون يشكلون نحو ربع سكانه ، إذ بلغ تعدادهم عام ١٩٨٥م. نحو ٦٩ مليون نسمة ، حسب التعداد الرسمي المعتمد لدى الروس - والجدير بالذكر أن الروس يعمدون إلى تسريب معلومات خاطئة عن حجم السكان المسلمين - كما يشغلون من الأرض ٢٧ في المائة من مساحته ، أو ما يعادل ستة ملايين كيلو متر مربع ، تشمل مساحات واسعة من سيبيريا والتركستان وحوض نهر الفولجا والقوقاز وغيرها من أراض شرق أوروبا.

المسلمون في التركستان (آسيا الوسطى)

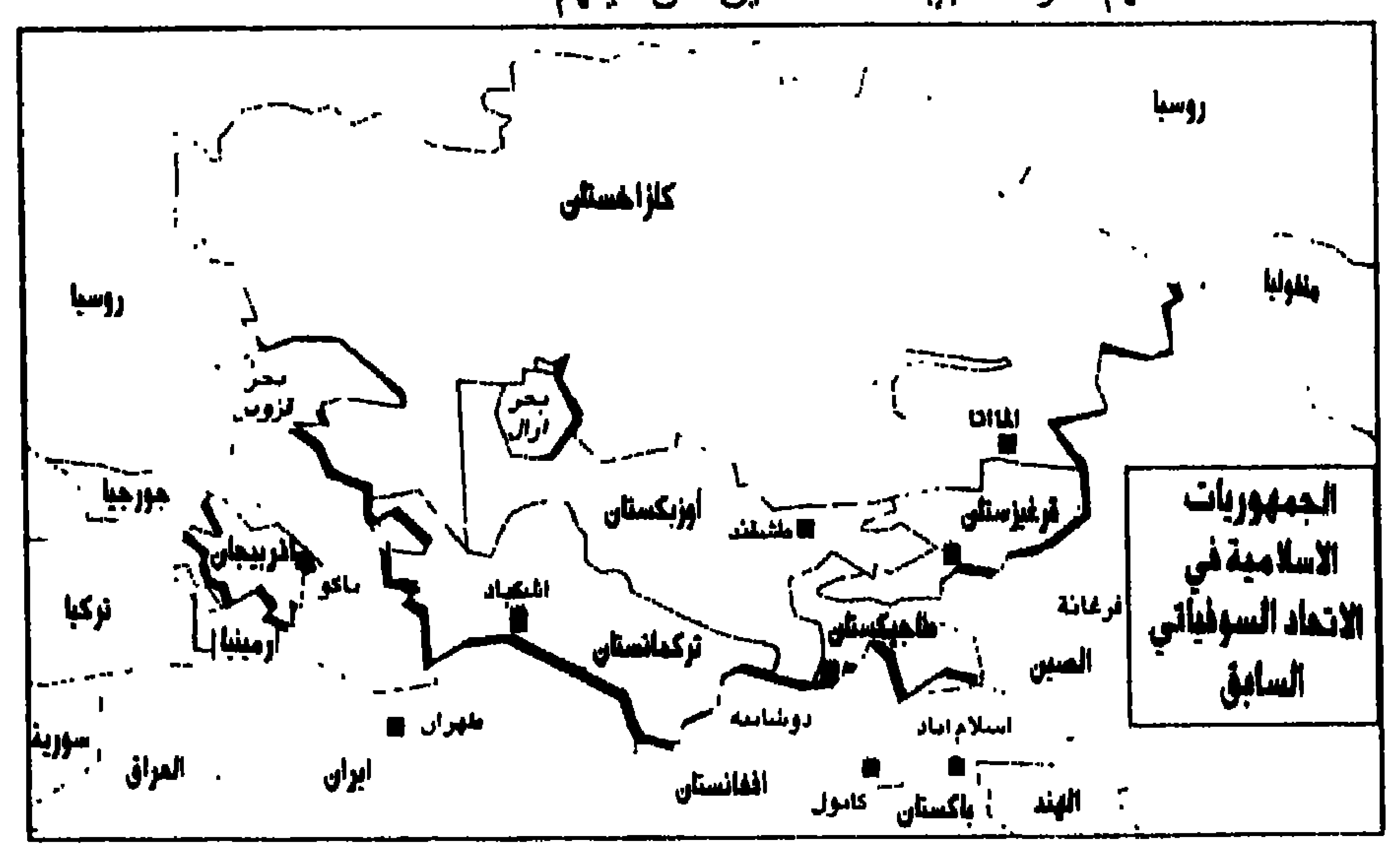
التركستان ــ بلاد الترك ــ بلاد سطع عليها شمس الإسلام ، وعمها نور الإيمان، منذ القرن الهجري الأول ، أيام الخليفة الأموي الخامس ، عبد الملك بن مروان (٧٣-٨٧هـ)، يوم أن تحركت جيوش الفتح الإسلامي عام ٧١٢م بقيادة قتيبة بن مسلم ، صوب سمرقند لتعلن الإسلام فيها ، وسرعان ما انتشر الإسلام هناك ، فكانت بخارى ، وسمرقند، وطشقند ، وفرغانه ، وفاراب ، ونسف ، وخوارزم ، وزمخشر ، ومرو ،

---

(١) د. محمود طه أبو العلا ــ المسلمون في الاتحاد السوفيتى السابق ــ الأنجلو.

وترمز ، وبيهق .. حواضر إسلامية علمية بارزة ساهمت في بناء الحضارة الإسلامية ، وكان منها أئمة العلم الكبار : البخاري إمام الحديث ، المولود في بخارى في أوزبكستان، والمتوفي عام ٢٥٦ من الهجرة ، وصاحب أصح الكتب بعد القرآن ، والترمذي ، المحدث والمحقق وصاحب سنن الترمذي ، المولود في ترمذ ، ولا يزال قبره موجودا هناك ، والنسائي وهو من علماء الحديث ، والفارابي الفيلسوف المسلم الذي كان يطلق عليه أرسطو الشرق ، المولود في فاراب ، والطبري المؤرخ والمفسر، والخوارزمي عالم الرياضيات ، وابن سينا الطبيب والأديب والفيلسوف المشهور ، المولود في أفشنة بالقرب من بخارى ، والغزالي حجة الإسلام ، والزمخشري وهومن أئمة التفسير ، والبيهقي وهومن أئمة الحديث ، وفي مرو – قرية من أوزبكستان قرب بخارى تسمى عرب خانة – ولد الإمام أحمد ، صاحب المسند وصاحب المذهب ..الإمام الذي حج ماشيا خمس مرات ، وصلى عليه يوم وفاته مليون ونصف مليون مسلم ، وبكى عليه المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم كثير.

تمكن الروس من ضم هذه المناطق إلى دولتهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فبعد ابتلاعهم المناطق الإسلامية في إقليم الفولجا – أورال، وغربي سيبيريا، ومنطقة القرم ١٧٧٧م، وجورجيا ١٨٠١م، وقفقاسيا ١٨٦٤م، احتل الروس بخارى وسمرقند ١٨٦٨م واستولوا على خيوه ١٨٧٣م وخوقند ١٨٧٦م وضموا إليها فرغانة ،كما غزا الروس وادي سيحون واستولوا على طشقند ، وتقدموا نحو الجنوب الشرقي حتى وصلوا إلى بامير . وسيطر الروس على المنطقة ، وبدأوا بتطبيق سياسة تهدف إلى بقاء المنطقة خاضعة لهم ، وذلك بإبعاد المسلمين عن دينهم.



وعقب انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م ، بعد بروز سياسة التغيير وإعادة البناء (البروسترويكا) والانفتاح على الغرب ، التي أعلنها الرئيس الروسي جورباتشوف ، برزت إلى الوجود الكيانات السياسية الإسلامية ، التي كانت ضمن جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق المنهار ، وهي جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ، وهي كازاخستان ، وأوزبكستان ، وقيرغيزستان ، وطادجكستان ، وتركمانستان ، اضافة إلى جمهورية أذربيجان في القوقاز الجنوبي .

جمهورية كازاخستان :

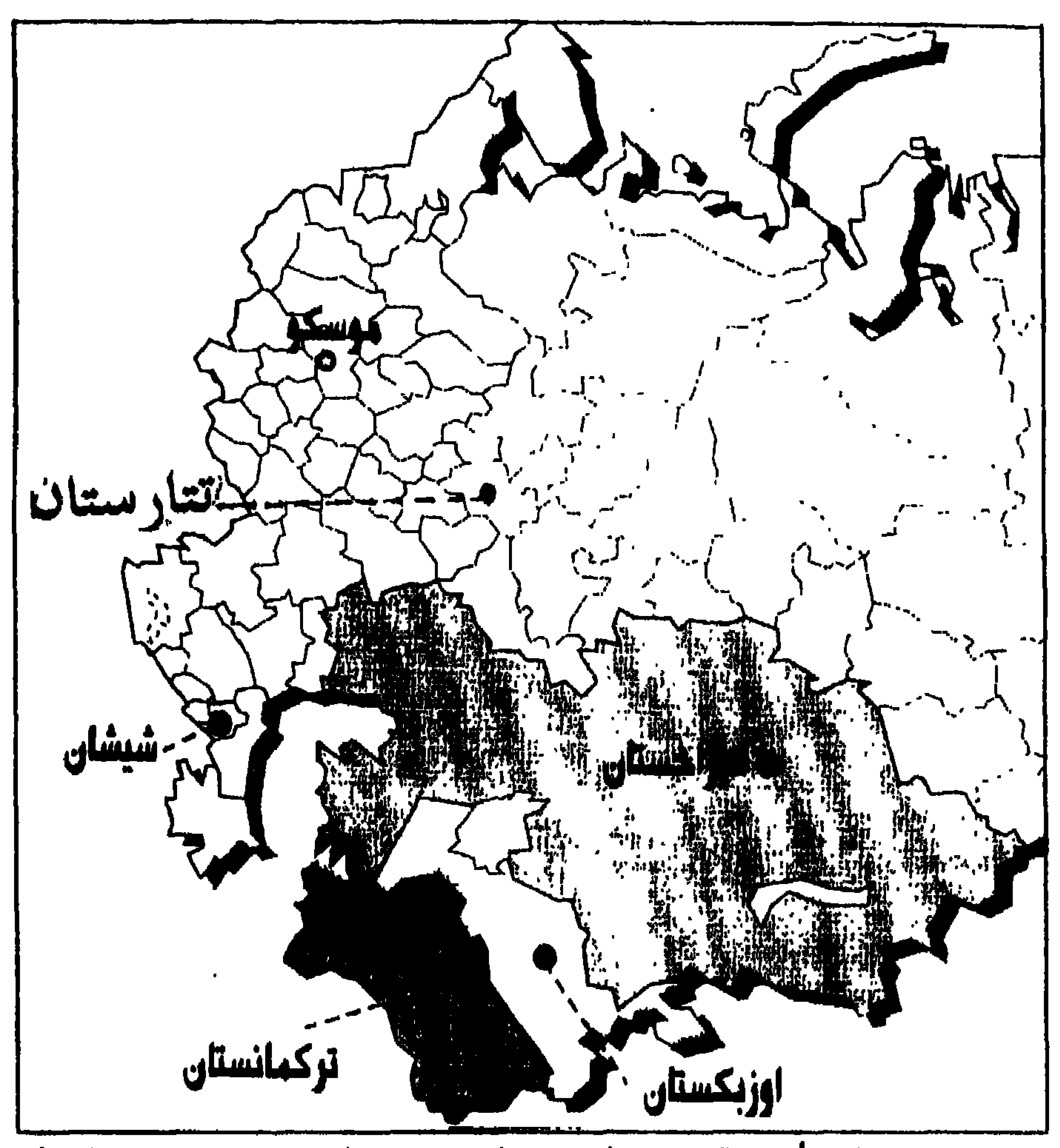
كازاخستان كبرى جمهوريات آسيا الوسطى ، تقع أراضيها جنوب شرق ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي، تبلغ مساحتها ٢،٧١٧،٣٠٠كيلومترمربع ،وعدد سكانها حوالي ١٨مليون نسمة ،وتمتد من دلتا نهر الفولجا في الغرب إلى حدود الصين في الشرق وتقع بين سيبيريا في الشمال وجمهوريات تركمانستان ، وأوزبكستان، وقيرغيزيا في الجنوب ، ويجري بها أنهار سيحون ، وارتيش ، وأورال ، وعاصمتها مدينة آلما آضا ، أي بلد التفاح ، وكازاخستان جمهورية غنية بثرواتها الزراعية والحيوانية والمعدنية ، وكانت تعد مخزنا لمعادن الامبراطورية الروسية ، كالكروم والنحاس والرصاص والفحم والنفط وغيرها . وهي إحدى الجمهوريات السوفيتيه النووية السابقة ، ومن أرضها كانت تطلق سفن الفضاء ، وتعد كازاخستان قاعدة تكنولوجية كبيرة ، بها أكاديمية للعلوم و٢٠٧ معهدا للبحث العلمي و٢٤٧معهدا فنيا ، ويقدر عدد العاملين في المجال التكنولوجي بحوالي ١٧٠ ألفا ، وكان بها نحو ٤١٤٠٠ عالم وخبير في مجالات الفضاء والذرة .

والكازاك هم أول شعب دق أول إسفين في جسد الامبراطورية السوفييتية المترهل، بثوراتهم ومظاهراتهم فى ديسمبر عام ١٩٨٦م.

فى ١٦ ديسمبر ١٩٩١ تغير اسم الجمهورية من الجمهورية الكازخية إلى جمهورية كازاخستان، بعد اسقاط كلمتى الاشتراكية والسوفياتية .

ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتى السابق تستقطب كازاخستان اهتمام العالم بوصفها احدى الدول الأربع التى آل إليها الإرث النووى السوفياتى القديم .

وكازخستان تكاد تكون الدولة الإسلامية الوحيدة التى يشكل أبناء قوميتها الأصلية (الكازاخ) ما يقل عنه نصف عدد سكانها، ويعيش فى كازاخستان ممثلو ما يقرب من مائة قومية، ويبلغ عدد الروس المقيمين فيها ما يقرب من نصف تعداد الجمهورية نتيجة التهجير القسرى إلى هذه البلاد التى كانت نائية إبان العهد القيصرى والسلطة الستالينية فى ما بعد.



والجدير بالذكر أن ممثلى القومية الروسية يعيش معظمهم فى المدن ، بينما يقطن ممثلى القومية الكازاخية فى معظم الريف وسهوب وبرارى كازاخستان .

٣- جمهورية أوزبكستان :

أوزبكستان دولة وسط تشترك في حدودها مع الجمهوريات التركستانية الأربعة الأخرى ، كازاكستان وتركمانستان ، وطادجكستان وقيرغيزستان ، فضلا عن حدودها مع أفغانستان وتبلغ مساحتها نحو ٤٠٨،٠٠٠كيلومترمربع ، ويقدر عدد سكانها بنحو ٢٦ مليون نسمة ، ويعد الأوزبك أكبر مجموعة عرقية بعد المجموعة الصقلبية في الاتحاد السوفييتي المنهار ، وكانت سمرقند عاصمة هذه الجمهورية ، ولما لم يستطع الشيوعيون أن يغيروا من الطابع الإسلامي لها ، نقلت العاصمة إلى طشقند لارتفاع نسبة الروس بها.

وأوزبكستان أكثر دول آسيا الوسطى غنى بالنفط والغاز الطبيعي ، خصوصا في مناطقها الشمالية والشمالية الغربية القريبة من بحر آرال . وتعد ثالث منتج للقطن في العالم ، كما يستخرج منها النحاس والتنجستن والزنك والرصاص ، فضلا عن الألمونيوم والذهب . لذلك بدأت بها الصناعات التعدينية منذ عام ١٩٤٦ ، وبالجمهورية أكاديمية للعلوم و١٨٨ معهدا للبحوث العلمية و٢٤٦ معهدا فنيا ، وعشرات الآلاف من العلماء والخبراء .

ويحكم البلاد الحزب الشيوعي ، وهناك أحزاب أخرى منها حزب النهضة الإسلامي ، وهو فرع لحزب النهضة الإسلامية في كل الاتحاد السوفييتي السابق ، وتصدر تعاليمه من المجلس الأعلى للحزب في القوقاز الجنوبي ، ويدعو إلى توحيد تركستان وإقامة الامبراطورية التركستانية في آسيا الوسطى وأذربيجان .

وتضم أوزبكستان أعرق المدن في التاريخ مثل بخارى ، منبت الإمام البخاري ، وتقع على نهر زرافشان ، وسمرقند وتقع على نهر سيحون ، وخيوه وتقع على الضفة الغربية لنهر جيحون ، وطشقند .

٣-جمهورية تركمانستان :

تقع تركمانستان إلى الجنوب الغربي من مجموعة دول آسيا الإسلامية ، وتطل على بحر قزوين ، وتشترك حدودها مع كازاكستان وأوزبكستان وإيران وأفغانستان ، وتبلغ مساحتها بنحو ٤٤٥،٠٠٠كيلومترمربع ، قدر مساحة فرنسا ، ومعظم سطحها عبارة عن هضبة صحراوية مستوية ، وعدد سكانها يقدر بحوالي ٤،٥مليون نسمة أغلبهم من المسلمين ، ومن أهم مدنها ، عشق آباد ، وتقع جنوبي البلاد قرب الحدود الإيرانية ، ومدينة مرو ، وكانت مركزا لإقليم خراسان أيام الحكم العربي الإسلامي . وقد عرفت تركمانستان في العصور الإسلامية المتقدمة باسم خوارزم ، وقد أنجبت الكثير من العلماء والقادة المسلمين الذين أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية العريقة ، ولعبوا أدوارا مهمة في التاريخ الإسلامي ، ومن أشهرهم الخوارزمي وابن سينا الطبيب المسلم الشهير ، والجدير بالذكر أن تركمانستان قد عاشت في ظل الإسلام عصرا ذهبيا ، إذظهرت فيها دول إسلامية قوية كدولة السلاجقة ، والدولة التيمورية ، والدولة العثمانية في الأناضول ، والتي كان مؤسسها من تركمانستان ، وفي العصور التتارية كانت تركمانستان مركز قوة ومنعة ، وظلت كذلك حتى دب النزاع والشقاق والخلاف بين الإمارات التتارية في القرن الرابع عشر الميلادي ، مما عرضهم لهزائم متتالية على أيدي الروس .

وتعاني الجمهورية من أزمات اقتصادية ، رغم أنها دولة نفطية ويستخرج من أرضها الغاز الطبيعي ، الذي يمكنها من تحقيق التقدم الاقتصادي ، كما يزرع بها القطن ،

وما زال الحكم الشيوعي باسطا جناحيه ، ويتخوف من تنامي المد الإسلامي والذي ينمو ببطء .

وعلى أى حال فمنذ الاستقلال بدأت العودة التدريجية للتمسك بالإسلام والثقافة الإسلامية ، وانتشرت المساجد والجوامع بشكل كبير ، وأنشئت وزارة للشئون الدينية ، وتم افتتاح كلية للشريعة الإسلامية .

٤-جمهورية قيرغيزيا :

وتقع على سلسلة جبال تيان شان ، وتجاور كل من كازاكستان ، وأوزبكستان ، وطادجكستان والصين ، وتبلغ مساحتها ١٩٨،٥٠٠كيلو متر مربع ، ويصل عدد سكانها إلى نحو ٤،٥مليون نسمة معظمهم من المسلمين ، وبدأ الاستعمار الروسي لها بتأسيس القرى الروسية ، واستمر ازدياد الروس ، وتناقص القرغيز نتيجة الثورات ضد الروس ، والهرب من البلاد ، وحروب الإبادة إبان طغيان الحكم الشيوعي . وتسمى العاصمة فرونزي ، نسبة إلى القائد الروسي ، ميخائيل فرونزي الذي قاد الروس في قتال القرغيز واستعمار بلادهم ، وقد استبسل القرغيز في الدفاع عن بلادهم ، وطالب قادتهم بعدم تصدير الخبز قبل شبع القرغيز ، وقاموا بذبح أغنامهم ، ورفضوا تسليمها للمسؤولين الروس ، لذلك كان يطرد من الحزب الشيوعي الأعضاء من القيرغيز ، ولو كانوا في أعلى المراتب .

ولا يزال الحزب الشيوعي يتولى السلطة في البلاد ، وكان رئيسها أول رئيس مسلم يزور إسرائيل بعد زيارة السادات لها عام ١٩٧٧ م .

٥-جمهورية طادجكستان :

تبلغ مساحتها ١٤٣،٠٠٠كيلو مترمربع ، وهي من أصغر جمهوريات آسيا الوسطى ،وتشغل هضبة بامير ــ أعلى هضاب العالم ــ أكثر من نصف المساحة ، وعدد سكانها حوالى ٥,٥ مليون نسمة ، والعاصمة دوشنبيه (ستالين آباد) والسكان من أصل إيراني.

ويبلغ المجموع الكلي للمسلمين فى جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية الست ، أي بما فيها أذربيجان نحو ٦٠مليون نسمة ، يشغلون مساحة جغرافية تقدر ب ٣،٩٥٢،٢٠٠ كيلو متر مربع ، ونسبة المسلمين في هذه الجمهوريات تصل إلى ٧٥% من المجموع الكلي للسكان . وتعد جمهورية طادجكستان من أكثر الجمهوريات اشتعالا بالصراع في وسط آسيا ، إذ هي صاحبة أطول حدود مع أفغانستان ، وشهد أهلها انتصار المجاهدين الأفغان على إمبراطورية الإلحاد السوفيتية ، كما أن لها حدودا مشتركة مع إقليم كشمير

الإسلامي ، ولها حدود مع إقليم سينكيانج الصيني ذي الأغلبية المسلمة الذي طالما تطلع أهله إلى من يشاركونهم في العقيدة في آسيا الإسلامية .

وبمجرد أن ظهرت بوادر الصحوة الإسلامية في طادحكستان عام ١٩٩٢، وأعلن عن تكوين حزب النهضة الإسلامية فى إطار التعددية التي أعلنها جورباتشوف في أواخر الثمانينات ، أسرعت الولايات المتحدة الأمريكية والدول العلمانية لمساندة روسيا وإجهاض الصحوة الإسلامية باستخدام الجيش وقمع الحركة ، وعدم السماح بإقامة دولة إسلامية ، وفرض حالة الطوارئ شبه الدائمة على العاصمة دوشانبية ، وتم استعادة قصر الرئاسة والبرلمان ومطار العاصمة من أيدي المسلمين .

ويصنف المسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى عرقيا إلى :

[١] **المجموعة التركية** وتضم حوالي ٤٥مليون نسمة ، وأهم عناصرها الأوزبك ١٤مليون نسمة ، ثم الكازاك والتتار والأذريون والتركمان والقرغيز والبشكير وغيرها .

[٢] **المجموعة الإيرانية** وتضم ست قوميات ويبلغ تعدادها ٤،٥ مليون نسمة ، أهمها الطاجيك والفرس والبلوش والأكراد .

ويدير شئون المسلمين في الجمهوريات الست ، مراكز دينية ــ قامت على أنقاض دور الإفتاء التي تأسست عام ١٧٨٨م في مدينة أورنبرج ، وفي القرم عام ١٨٣١م ، وفي عام ١٨٧٢م في ما وراء القوقاز ــ مثل الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان، ومقرها طشقند عاصمة أوزبكستان ، وتعد من أكبر الإدارات الدينية وأهمها إذ تشرف على إصدار المطبوعات الإسلامية ، والسفر إلى بيت الله الحرام .

وأهم ما يميز الخط البياني للحركة الإسلامية ، في آسيا الوسطى هو الجهاد ضد الاحتلال القيصري ، وهي مرحلة اتسمت بطابع الدفاع عن السيادة الإسلامية والهوية الإسلامية في مواجهة الإلحاد الشيوعي ، بعد سقوط القيصرية ومجيئ البلاشفة إلى الحكم، حيث ظهرت الجمعيات والمؤسسات الدينية التي ناهضت الثورة البلشفية ووقفت في وجه الإلحاد المنظم ، ودعت إلى التوحيد ، وسرعان ما تحولت إلى أحزاب إسلامية على رأسها حزب النهضة الإسلامي(١).

سياسة التخريب الشيوعية في آسيا الوسطى :

مارست السلطات الشيوعية سياسة التخريب المتعمد لكل ما يتعلق بالإسلام في جمهوريات آسيا الوسطى ، فتركت المساجد تنهار بفعل الزمن ، ومنعت عمليات الترميم

---

(١) مسعود الخوند ــ الموسوعة الجغرافية التاريخية ــ بيروت

والتجديد اللازمة ، كما منعت إعادة ما تهدم منها . أما المساجد التي قاومت تأثير الزمن فقد تم تحويلها إلى قاعات للعروض السينمائية أو دورات للمياه أو اسطبلات للخيول والحيوانات أو أماكن للهو والرقص ، بينما كان مصير عدد من المساجد الأثرية المهمة الإزالة والهدم ، ففي جمهورية كازاخستان تم تحويل أكبر مسجد فيها إلى كوم من الحجارة . كما تم نبش مقبرة الإمام الماتوريدي ، وإعطاء الأرض ليهودي قام ببناء مكان المقبرة ، وتعمد بناء دورة مياه بيته من حجارة المقبرة الأثرية ، وتقع هذه المقبرة في مدينة سمرقند .

ومن المشاهد التي كانت تبعث على الحزن والأسى ، وجود دورات للمياه داخل المدارس الثانوية المختلطة دون سواتر ولا حوائط ولا حواجز ، ويستخدمها الطلبة والطالبات على هذه الحال ، ذلك لطمس وكسر كل قيم الحياء والاحتشام في نفوس الأجيال الناشئة .

ولم تكتف السلطات الشيوعية بذلك ، بل فرضت تدريس مادة الإلحاد في جميع مراحل التعليم في محاولة لتكريس الحرب على الهوية الإسلامية لهذه الشعوب ، وتفريغ العقول من أي قيمة أخلاقية أو دينية وغرس القيم المادية الملحدة .

الإسلام لا يموت :

على الرغم مما قام به السوفييت ، لطمس الهوية الإسلامية والقومية ، فلم تتمكن السنوات السوفياتية من القضاء عليها على الرغم من الإجراءات العنيفة التي استخدمت واعتمدت لهذه الغاية اغلاق المساجد والمراكز الدينية وتحويلها إلى متاحف، وغيرها ، فقد انتهز مسلموا آسيا الوسطى الفرص الأولى المتاحة لهم ليؤكدوا تمسكهم بهويتهم الأصلية الإسلامية والقومية .

كان الإسلام هو الوسيلة الفعالة للدفاع عن أصالة شعوب آسيا الوسطى الإسلامية ، ومقاومة السيطرة السوفييتية ، وبدأت المجتمعات حركة انتشار واسعة للمساجد والجمعيات والأحزاب ، وعودة متسارعة للإسلام ، وبرزت الحركات التي تسعى لتوحيد شعوب المنطقة تحت راية الإسلام ، أبرزها حركة حزب النهضة الإسلامي ، الذي نما بسرعة وافتتح فروعا له في الدول الأسيوية كلها ، وينادي بمشروع تركستان الكبرى .

ومن العجيب أن دراسة علمية اجتماعية سوفييتية ، قام بها علماء قبيل انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وطالت المسيحيين والمسلمين ، أظهرت أن ٨٠% من المسيحيين قد أعلنوا إلحادهم ، فيما تبين أن ٨٠%من مسلمي آسيا الوسطى ما يزالون يتمسكون بالدين الإسلامي . وعلى الرغم من الآثار العلمانية التي خلفها السوفييت طوال العقود الماضية ، تحولت روسيا من قوة عالمية كبرى إلى بلد من بلدان العالم الثالث

يعيش بلا أحلام .. وكل ما يهم هذا الشعب هو الحصول على لقمة عيـش اليـوم وليـس عيش الغد ، ويعز الله من يشاء ، ويذل من يشاء ، ذلك بما قدمت أيديهم ، وما ربك بظلام للعبيد .

المسلمون في سيبيريا :

تعد سيبيريا أكبر صحراء جليدية في العالم ، تبلغ مساحتها ١٢مليون و ٨٠٠ ألـف كيلومتر مربع ، تمثل نحو ٥٧% من إجمالي مساحة روسـيا ، وتمتـد لمسـافة ٨٠٠٠ كيلومتر من جبال الأورال في الغرب إلى المحيط الباسيفيكي في الشرق ، وهي بهذا تفوق مساحة القارة الأوربية كلها ، وتشير التقديرات إلى أن عدد سكانها نحو ٣١ مليون نسمة ، وتقدر ثرواتها من ٦٠% : ٩٠% من إجمالي ثروات روسيا الطبيعية ، وأهم هذه الثروات النفط والغاز الطبيعي ، ومع ذلك فهي ليست جمهورية إنما مجرد إقليـم تـابع لروسـيا الاتحادية .

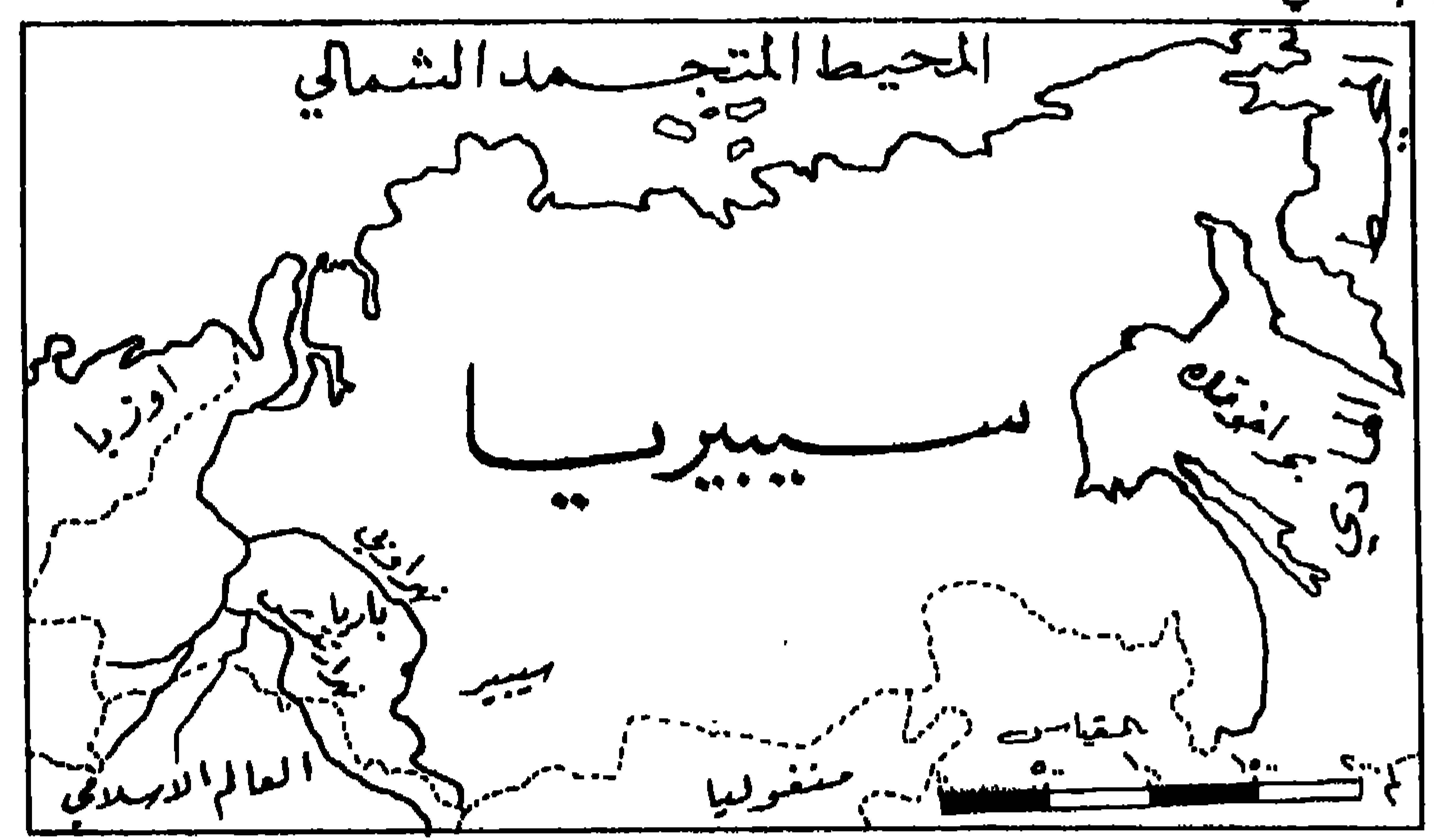
كانت سيبيريا حاضرة إسلامية هامة ، ومن أهم المراكز الإسلامية في هذا الجـزء من العالم ،عرفت الإسلام منذ وقت مبكر منذ القرن الهجري الأول ، حيث هاجر إليـها عدد من الدعاة من آسيا الوسطى ،من بخارى وسمرقند ، وطشقند وقازان ، وغيرها مـن المدن الإسلامية ، بعد أن أصبح المسلمون على مقربة من سيبيريا ، بعد فتح التركسـتان عام ٩٥ من الهجرة .

ويعد الإسلام أول دين سماوي عرفته المناطق القطبية ، ولم تقف الظروف المناخية القاسية عائقا في سبيل نشر الدعوة الإسلامية ، وإن استشهد عدد من الدعاة بسبب صعوبـة المناخ ، وعثر مؤخرا على جثث سبعة من رواد العمل الدعوي مطمورة بيـن الثلـوج ، تشير أيديهم إلى السماء ، كانوا في طريقهم إلى مجاهل سيبيريا للدعوة إلى الله تعالى كمـا تم العثور على بعض المساجد التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري ، والتى شيدها دعاة الإسلام وفقا للعمارة الإسلامية التي اتسمت بالبساطة واستخدام التكنولوجيا المحليـة المتوفرة في سيبيريا .

يعيش في سيبيريا نحو أربعة ملايين مسلم ، وهم خليـط مـن المغـول والتتـار والسيبيريين ، استطاع أحد الأمراء المغول وهو كوتشم خـان أن يغـزو سـيبيريا ، وأن يتولى أمرها عام ٩٨٧من الهجرة ، ١٥٧٠ميلادية ، ويخضعها للحكم الإسـلامي ويبـذل قصارى جهده لدخول رعاياه الدين الإسلامي .

هاجم الروس سيبيريا واستطاعوا دخول قاعدة (كوتشم خان) سيبر عام ٩٨٨ مـن الهجرة ، وأطلقوا على المنطقة كلها اسم سيبيريا ، وبدأ الروس اضطهاد المسلمين بـها ، ومع ذلك استمر قدوم الدعاة من بخارى وقازان لينشروا الإسـلام بيـن قبـائل التتـار

الضاربة بين نهر أوب ونهر أرتيش ، ووضع العلماء القادمون من آسيا الوسطى المؤلفات في التفسير والحديث الشريف وكافة المعارف الإسلامية ، ولكن الروس القياصرة أبادوا هذا التراث الإسلامي الوفير ، وحولوا المساجد إلى مطاعم ومستودعات ومصانع خمور ، واتخذوا من سيبيريا منفى للشعوب المسلمة من منطقة آسيا الوسطى والقوقاز ، وخلال الحرب العالمية الثانية نقل الروس إلى سيبيريا نحو مليون ونصف المليون نسمة من المسلمين ، بعد تعرضهم لصنوف من القهر والتشريد والقضاء على تراثهم الثقافي والإسلامي .



وفي عام ١٩٠٥م تعامل المسلمون في سيبيريا مع قانون التسامح الديني ، فدخلت مدن وقرى بأكملها حظيرة الدين الإسلامي ، وتم إنشاء المدارس ومعاهد تحفيظ القرآن الكريم . وبعد انهيار الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفييتي استرد مسلمو سيبيريا حريتهم فبنيت المساجد وتأسست المدارس والمؤسسات الدينية ، وتم إيفاد الدارسين إلى الدول الإسلامية والعربية ، بالتعاون مع المؤسسات الخيرية الإسلامية .

المسلمون في حوض الفولجا وسفوح جبال الأورال :

انتشر الإسلام فى منطقة حوض الفولجا مع بداية القرن الرابع الهجري بين قبائل البلغار ، نتيجة جهود التجار والدعاة ، وكان مركزهم بالقرب من مدينة قازان . ومن هذه المنطقة انتشر الإسلام في جنوب شرق أوروبا حين بدأت هذه القبائل تهاجر من موطنها وتتجه نحو الجنوب ، وفي منتصف القرن السابع الهجري دخل المغول المنطقة ، ولم تلبث قبائلهم أن دخلت الإسلام واستقرت في مناطق لا تزال ذات أكثرية مسلمة اليوم ،

وتشكل جمهوريات ذات استقلال ذاتي وهي: بشكريا ، وتتاريا ، والجوفاش ، وموردوف، وأدمورت ، وماري ، وأورنبرج ، والقرم.

١- جمهورية بشكيريا :

تقع جمهورية بشكيريا في جنوب مرتفعات الأورال ، وتبلغ مساحتها نحو ١٤٣,٦٠٠ كيلو متر مربع ، ويقدر عدد سكانها بحوالي ٢ مليون نسمة وعاصمتها أوفا، منهم نحو مليون ونصف مسلم ، والبشكير قبائل يوغورية الأصل نزحت إليها ضمن القبائل المغولية التي استوطنت المنطقة عقب الغزو المغولي لها ، ويمثل البشكير اليوم ربع عدد السكان ، بينما تمثل ا لعناصر السلافية ما يقرب من نصف عدد السكان .

أخذ الإسلام ينتشر في المنطقة قبل الغزو المغولي للأراضي الروسية بقرون عديدة، ولما تفككت امبراطورية المغول استولى الروس عليها في عهد إيفان الرهيب، الذى صادر أراضيهم واستولى على ثرواتهم وأرغمهم الروس على التهجير القسري، ودخول المسيحية وإحلال العناصر السلافية محلهم .

قام البشكير بثورات عدة ضد الروس خلال القرن السابع عشر مطالبين بالاستقلال والحكم الذاتي ،فشلت جميعها ، وفي عام ١٩١٧م قاموا بحركة قومية إسلامية ضد البلاشفة ، فقام الجيش الأحمر بإخمادها واستولى على أراضي البشكير ، ولكن الأمر في عام ١٩١٩ م بتحقيق مطالبهم وحصولهم على الحكم الذاتي وقيام جمهورية بشكيريا عام ١٩٢٣م.

٢- جمهورية الجوفاش :

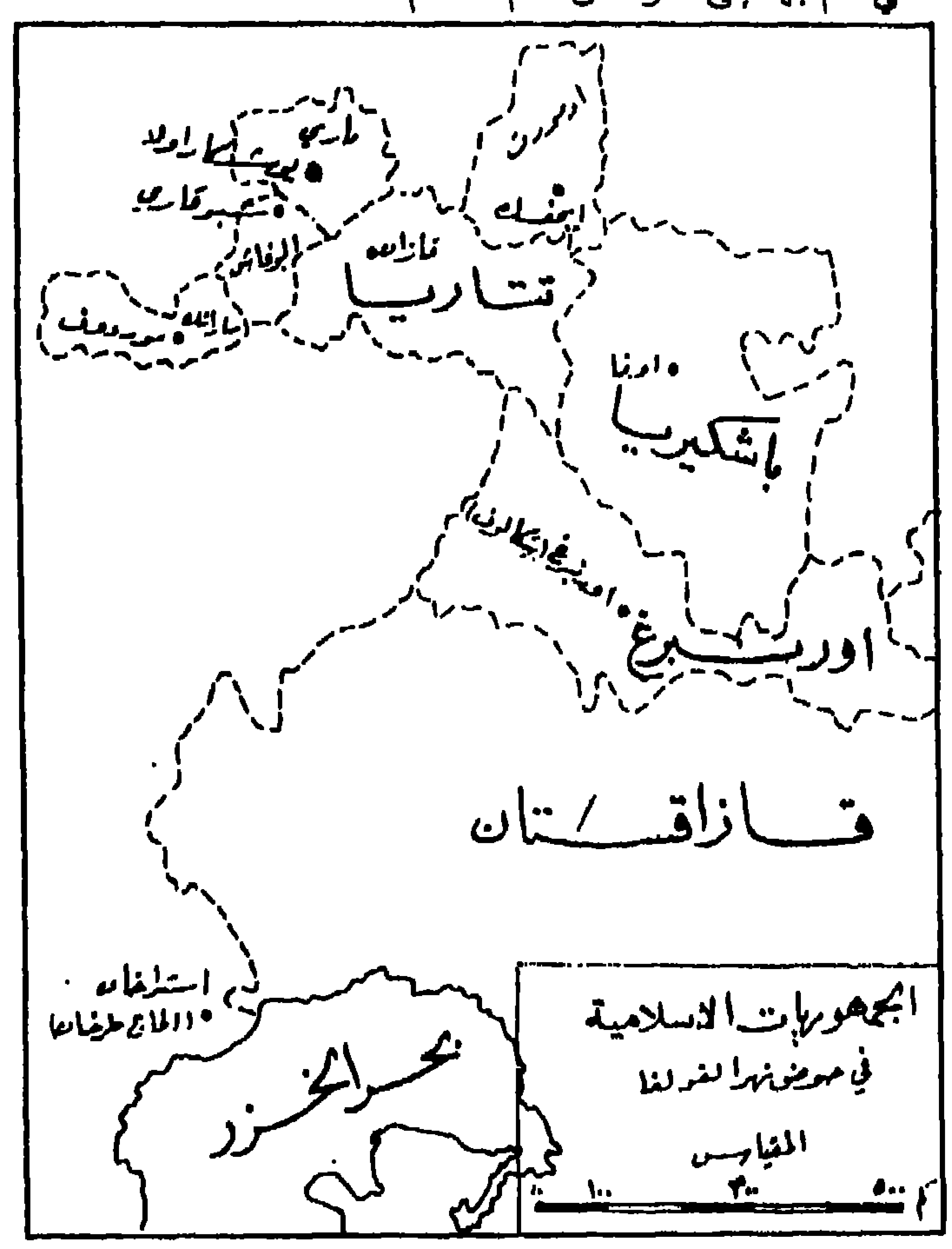
تقع جمهورية الجوفاش إلى الغرب من جمهورية تتاريا وتبلغ مساحتها نحو ١٨,٣٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها حوالي ١,٣٣٦,٠٠٠ نسمة معظمهم مسلمون ، والعاصمة شبرقارى ، والجوفاش في الأصل قبائل تركية عاشت في كنف الامبراطورية المغولية واعتنقوا الإسلام ، ولما تفككت الامبراطورية أصبحت جزءا من إمارة قازان ،ثم سقطت في يد إيفان الرهيب في منتصف القرن السادس عشر وخضعت للاستبداد الروسي الذي جردهم من ممتلكاتهم وضغط عليهم ليتحولوا من الإسلام إلى المسيحية ، وعمل على إذابتهم فى العناصر السلافية التي أصبحت تمثل أكثرمن ربع السكان ،وفي عام ١٩٢٥م أصبحت جمهورية ذات حكم ذاتي ، وحول الروس مساجدها إلى اصطبلات وهدموا المساجد الكبيرة .

٣- جمهورية تتاريا "تتارستان" :

تتارستان احدى جمهوريات حوض الفولجا الأوسط ، تقع إلى الغرب من جمهورية بشكيريا ، وتتميز بأنها تقع بين أوروبا وآسيا ، وتبعد ٧٦٠كيلومتر إلى الشرق من

موسكو، وتبلغ مساحتها نحو ٦٨٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها نحو مليون ونصف نسبة غالبيتهم من المسلمين، عاصمتها قازان، وهى إحدى الإمارات التتارية التى استقل بها حكامها بعد تفكك امبراطورية المغول، وضمها الروس عام ١٧٨٣م ومارسوا تجاهها أبشع الممارسات من اضطهادات وتهجير قسري لسكانها إلى مناطق مختلفة في سيبيريا والتركستان، وتعرضوا لصنوف القهر والتشريد انتقاما لما أنزله التتار المسلمون بالروس أكثر من ثلاثة قرون.

دخلها الإسلام على يد العالم العربي ابن فضلان، وعدد من العلماء الذين رافقوه في الرحلة، التي قام بها إلى تتارستان عام ٩٨٦م.



عن محمود شاكر ـ العالم الإسلامي ـ المكتب الإسلامي

أصبحت تتاريا جمهورية ذات حكم ذاتي في ٢٧ مايو ١٩٢٠م، على إثر إلغاء السلطات الروسية لإمارة تتار قازان، التي كانت تضم البشكير والجوفاش. والتتار شعب

مسلم من أهل السنة على المذهب الحنفي ، يعتزون بإسلامهم ، وأكثر أصولهم تركية . كان عددهم في بداية عهد ستالين يزيد عن ستة ملايين ، تم تشتيتهم في أنحاء روسيا وفي غيرها من الجمهوريات ، ومنذ عام ١٩٩٠ والجمهورية تشهد مسيرات واضطرابات من أجل الاستقلال وإعلان هويتها الاسلامية ، ففي ١٤ أكتوبر من عام ١٩٩٠ نزل الناس إلى الشوارع يرددون شعار الله أكبر ويقرأ مشايخهم القرآن الكريم، وينادون بعودة ملايين المسلمين من التتار إلى بلادهم بعد أن قضوا ستين عاما في المنفى في القرم وسيبيريا وجبال الأورال وموسكو وسان بطرسبرج وغيرها ، هذا ويتكرر مثل هذا الإضراب في منتصف أكتوبر من كل عام (يوم الحزن) للمطالبة بجلاء روسيا عن بلادهم التي احتلوها منذ ٤٤٠ عاما .

قبل استيلاء السوفييت على السلطات ، كان في مدينة قازان عاصمة تتاريا جامعة إسلامية بها سبعة آلاف طالب في مستهل القرن العشرين ، وكان بها مكتبة يزورها عشرون ألف قارئ سنويا ، وانتشرت بها المساجد حتى بلغت مسجدا لكل ألف مسلم ، وانتشر الدعاة وطلاب الجامعة في القرى والفيافي يدعون الناس للإسلام ونشطوا في هذا الأمر بعد صدور قانون حرية الأديان عام ١٩٠٥م ، ونجحوا في بث الدعوة الإسلامية بين تتار سيبيريا .

بعد استيلاء السوفييات على الحكم ، تغيرت الأوضاع وواجه التتار حربا قاسية على معتقداتهم ، فأغلقت المدارس الإسلامية ودمرت المكتبات والمطابع الإسلامية في قازان عاصمة تتاريا وواجه المسلمون مواقف مؤلمة ، وثاروا ضد الاضطهاد الديني ، وقدموا العديد من الشهداء ، حتى الذين كانوا قد تعاونوا مع الشيوعيين في البداية مثل السلطان على أوغلو عاليبيف نادى بتوحيد المسلمين في روسيا في كيان دولة واحدة ، وقبض عليه الروس عام ١٩٢٣م وأعدم عام ١٩٣٧ ، ورفض الروس وحدة أراضي المسلمين ، وأخذوا يفتتونها إلى قوميات ، وقاموا بدمج كل ا لمناطق الإسلامية التي توجد في روسيا الأوربية في إدارة دينية واحدة مقرها في مدينة أوفا عاصمة جمهورية بشكيريا ، وتشرف على مسلمي سيبيريا أيضا ، ولما جردوا الإدارة من كل السلطات أصبحت أمرا شكليا !!

٤- جمهورية أورنبورغ :

تقع جمهورية أورنبرج على نهر الأورال جنوب بشكيريا ، وقد أقيمت هذه الجمهورية بهدف الفصل بين مسلمي تركستان ، ومسلمي حوض الفولجا ، وهي ذات ماض اسلامي زاهر ، يعيش فيها نحو ١٥٢٠٠٠نسمة معظمهم من أهل السنة .

٥- جمهورية موردوف :

تقع جمهورية موردوف فى القسم الأوسط من روسيا الأوربيــة إقليــم الفولجـا ، ضمت إلى روسيا في أواسط القرن السادس عشر بعد سقوط إمارة قازان ، عدد ســكانها ١٢٥٠٠٠٠ نسمة ، نصفهم مسلمون ، وقامت ثورات ضد الحكــم الروســي وأخمـدت بوحشية ، وفقدت صبغتها الإسلامية عام ١٨٩٧م ، إذ كان فيها ١٠٠٠ مســجد ، وآلاف المدارس ،زال معظمها .

نالت الحكم الذاتي عام ١٩٣٠م وأصبح اسمها الجمهورية الموردفية عــام ١٩٩١م في إطار روسيا الفدرالية .

٦- جمهورية أدمورت :

تقع جمهورية أدمورت في شرقي القسم الأوروبي من روســيا ، تبلــغ مســاحتها ٤٢١٠٠ كيلو مترمربع ،ويقدر عدد سكانها بنحــو ١٧٠٠٠٠٠ نســمة ، ٦٠% منــهم مسلمون ، احتلها الروس عام ١٥٥٣م

وأجبروا السكان على اعتناق المسيحية ، وأصبحوا يدينون بالمسيحية ، وفي عــام ١٩٢٥ م. أعلنت الجمهورية ، فقام الروس باضطهادهم بعد إعلان حرية الاعتقاد وإعـلان السكان أنهم مسلمون .

٧- جمهورية ماري :

احتلها الروس عام ١٥٦٠م ، وعدد سكانها يقدر بنحــو ١٠٠٠٠٠ نســمة ، ٥٢% منهم مسلمون ، وصارت جمهورية ذات حكم ذاتي عام ١٩٩١م ذات تبعية لموسكو .

الباب الخامس

المسلمون في بلاد القوقاز

- الجمهوريات الإسلامية في القوقاز .
- جمهوريات ما وراء القوقاز .
- الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لإقليم القوقاز .
- القوقاز عبر العصور الإسلامية .

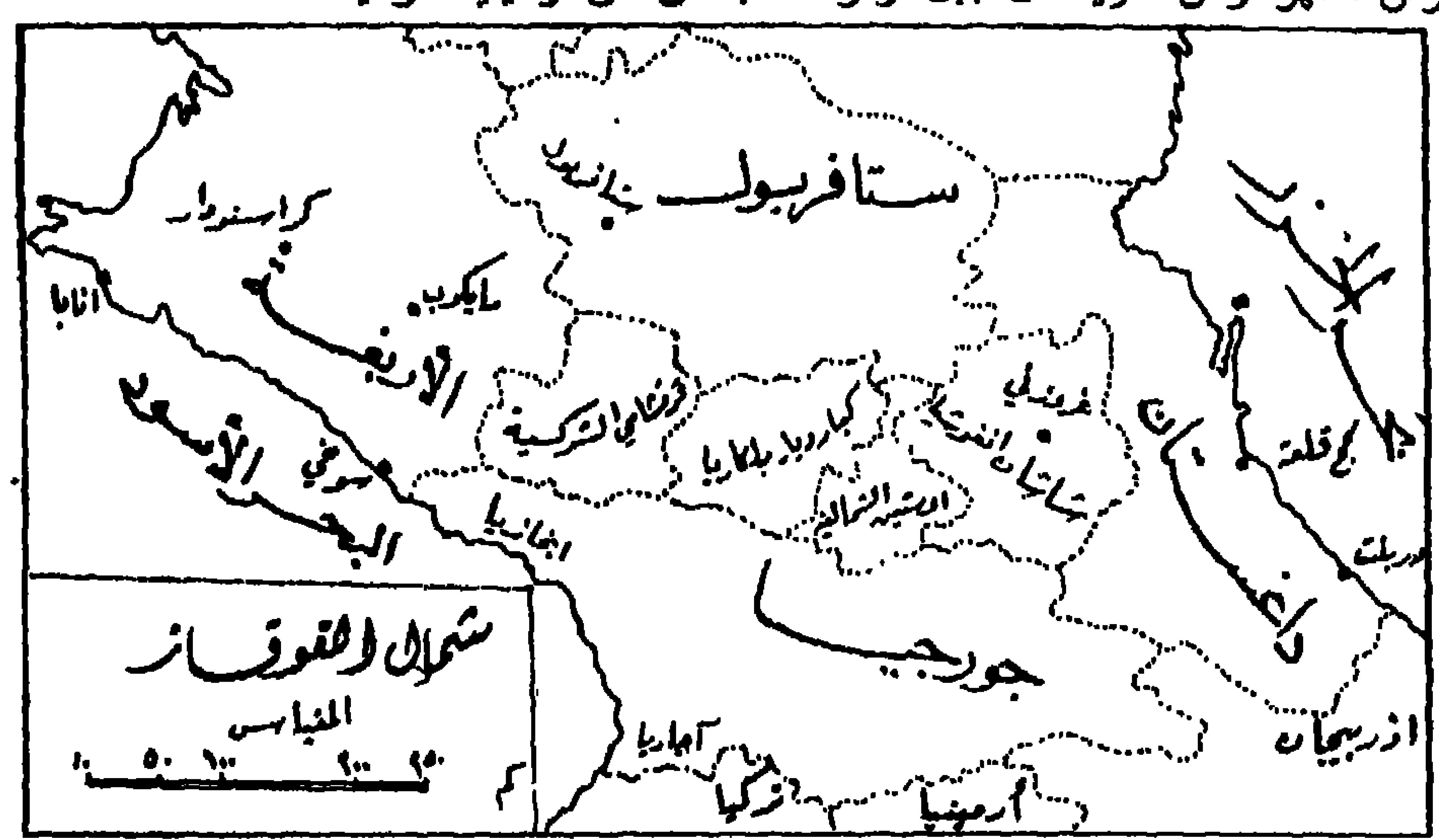
الباب الخامس

المسلمون في بلاد القوقاز

(بلاد الجبال الثلجية)

الأرض والمكان :

بلاد القوقاز هي البلاد المحصورة ما بين بحر قزوين في الشرق والبحر الأسود في الغرب ، أطلق عليها العرب قديما اسم القبجاق ، يفصل بعض أجزائها الجنوبية عن إيران ، نهر أرس ، ويفصل جبل أرارات البعض عن أرمينيا التركية .



عن محمود شاكر ــ العالم الإسلامي ــ المكتب الإسلامي

وإقليم القوقاز عبارة عن مجموعة من المرتفعات والمنخفضات ، نشأت في المنخفض الألبي الذي تعرض للحركات الالتوائية التي نتجت عنها مرتفعات القوقاز العظمى ، وإلى جنوبها مرتفعات القوقاز الصغرى ، التي تنتهي جنوبا بالحدود السياسية مع إيران وتركيا . وتعد هذه السلسلة خطا دفاعيا استراتيجيا قويا عن قلب الأمة المسلمة من جهة الشمال .

تمتد المرتفعات الالتوائية الضخمة بين البحر الأسود وبحر قزوين ، من الشمال الغربي من المضيق الذي يفصل بحر أزوف عن البحر الأسود ، إلى الجنوب الشرقي حيث تمتد شبه جزيرة أبشيرون في بحر قزوين عند باكو ، ويصل ارتفاعها إلى ٥٦٢٩ مترا في قمة البروز في الوسط حيث الحد الفاصل بين قارتي آسيا وأوروبا ، وهو خط تقسيم المياه .

وتنحدر السفوح الشمالية لهذه المرتفعات ، نحو منخفض يجري فيه نهر كوبان الذي يصب في البحر الأسود ، ونهر كوما ويصب في بحر قزوين ، وينتهي هذا المنخفض شمالا حيث الدلتا التي كونها نهر الفولجا . والسفوح الجنوبية لمرتفعات القوقاز أكثر وعورة ، وتنتهي غربا بمنخفض كولخيدا على البحر الأسود ، ويجري فيها نهرا ريوني وانجوري ويصبان في البحر الأسود ، كما تنتهي السفوح الجنوبية في الجنوب الشرقي بمنخفض يشغل نهر كورا ورافده اراكس ، ويصب في بحر قزوين .

والجدير بالذكر أن التركيب الجيولوجي لطبقات هذه المرتفعات يحتوي على النفط والغاز الطبيعي والفحم والحديد الخام والنحاس والمنجنيز والرواسب المحتوية على الأسمنت .

ومنطقة القوقاز غنيه بالأنهار التي تصلح للرى والملاحة ، منها ما يصب في بحر قزوين مثل أنهار كوما وترك وكورا وفرعه اراكس ، ومنها ما يصب في البحر الأسود مثل أنهار ريوني ،وانجوري ، وكوبان وتعتبر المنطقة سلة الخبز للروس لوجود الأراضي الزراعية الخصبة .

الجمهوريات الإسلامية في القوقاز

يضم إقليم القوقاز جمهوريات ذات حكم ذاتي تدخل في نطاق روسيا الاتحادية، وهي: الشيشان ــ أنجوشيا ، وداغستان ، وأوسيتيا الشمالية ، وكباردينا بلكاريا ،وهذه تقع جميعا في القوقاز الشمالي ، أما جورجيا ، وأذربيجان ، وأرمينيا فهي جمهوريات ما وراء القوقاز ، نالت استقلالها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق ، وأصبحت دولا أعضاء في الأمم المتحدة.

داغستان :

وهى بلاد جبلية تقع على الأجزاء الشرقية من جبال القوقاز ، التي تطل على ساحل بحر قزوين الغربي ، وتشكل الجبال نحو ٦٠% من مساحتها ، التي تبلغ نحو ٥٠.٣٠٠ كيلو متر مربع ، وتقطعها عدة أنهار أهمها نهر ترك ، الذي يصب في بحر قزوين قادما من جمهورية كباردينو بلكار ، ونهر صولاق ويمر شمال مدينة محج قلعة العاصمة الداغستانية ، ووديانها شديدة الانحدار ضيقة ، ومع ذلك فهناك سهل ساحلي ضيق بين بحر قزوين وجبال القفقاس .

ويبلغ عدد سكانها ١,٨٠٠.٠٠٠ نسمة حسب احصاء ١٩٨٩م ينتمون إلى عدة قوميات أهمها القوقازي والتركي والإيراني والسلافي ، و٨٥% منهم مسلمون على المذهب السني ، ويمثل الروس الأرثوذكس ١٣% من جملة السكان ، ويتحدثون بلغات

عدة بالإضافة إلى اللغة العربية لغة العلوم الإسلامية التي يتعلمها المسلمون بهدف دراسة أحكام الإسلام وتعاليمه من مصادره الرئيسية القرآن والحديث.

وتطل داغستان بساحل طويل على الساحل الغربي لبحر قزوين ، وتشترك في حدودها البرية مع أذربيجان من الجنوب ، ومع الشيشان ، وجورجيا ، وستافربول الروسية من الغرب ، وتشترك في حدود بحرية مع إيران وتركمانستان ، وكازاكستان.

الفتح العربي الإسلامي :

بعد أن أتم العرب المسلمون فتح بلاد فارس ، توجه سراقة بن عمرو وعبر أذربيجان إلى مدينة دربند التي سماها العرب باب الأبواب ، وفتحها عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي بعد مقتل سراقة بن عمرو رضي الله عنه في عام ٢٢ من الهجرة ٦٤٣م. ثم توالت فتوحات المسلمين في بلاد القفقاس ، ولكن معارك المسلمين مع يهود الخزر استمرت بين كر وفر حتى عام ٣٥من الهجرة ٦٥٦م واستشهد عدد من الصحابة رضوان الله عليهم في المنطقة التي تقع بين دربند وناركو ، وأجبروا الخزر على الخروج من المنطقة .. استشهد أربعون من قادة الفتح العظام ، منهم أمراء الفتح عبد الرحمن بن ربيعة وأخيه الشهيد سلمان بن ربيعة ، وسراقة بن عمرو ، وكذا أسيد بن حضير ، وبكير بي عبد الله ، ودفنوا في مقبرة بالقرب من مدينة دربند ، يزورها المسلمون من شتى البلدان.

الجدير بالذكر أن داغستان ، قام الجيش العربي الإسلامي بفتحها فيما بين عامي ٦٣٦و٦٤٦ م . في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وفي مرحلة لاحقة من الفتح الإسلامي، استقر الحكم الإسلامي في عهد الأمويين بعد أن انتصر المسلمون على يهود الخزر ، وتولي مروان بن محمد أمر القفقاس عام ١١٧ من الهجرة ٧٣٤م وعمل على توطيد حكمه بتعزيز فتوحاته وتوطين المسلمين ،ووصل إلى دربند مسلمة بن عبد الملك ، وأسكن فيها نحو ٢٤ ألفا من سكان سوريا ، وقسم المدينة إلى أحياء للوافدين من الشام وحمص ودمشق وعرب الجزيرة .

وفي عهد العباسيين اذدهرت داغستان خاصة بعد زيارة الخليفة هارون الرشيد وزوجته السيدة زبيدة ، مدينة باب الأبواب، عام ١٧٣من الهجرة ٧٣٩م . وفي فترات لاحقة بسط الأتراك السلاجقة سيطرتهم عليه ، ثم غزتها قوات المغول واحتلت القفقاس عام ١٢٢٣م بعد حروب شديدة ، وأصبحت المنطقة فيما بعد مسرحا للمعارك بين الصفويين الشيعة في إيران والعثمانيين السنة في تركيا ، وقد ارتكب الصفويين مذابح كبيرة ضد سكان بلاد القفقاس السنيين لإجبارهم على التشيع مما دفع القفقاس للاتصال بالدولة العثمانية لإنقاذهم من ظلم الصفويين .

الغزو الروسي والمقاومة الإسلامية :

وبعد أن تخلى عنها الفرس عام ١٧٢٣م ، قام الروس بضمها إلى الدولة الروسية عام ١٨١٣م ، فخاض الداغستانيون حرب العصابات ضد القوات الروسية من عام ١٨١٧م : ١٨٦٤م ودوخوا المستعمرين الروس أثناء حكم القياصرة ، إذ أدى الغزو الروسي لبلاد القفقاس إلى اندلاع حركة وطنية إسلامية ،عرفت بالمريدية تولى زعامتها ثلاثة من الأئمة العلماء هم : الغازي محمد ، وحمزات بك ، والإمام شامل الأفاري ، والتفت الشعوب القفقاسية حولهم ، وكان هدفهم حماية البلاد من العدوان الروسي ، وترسيخ أحكام الإسلام في نفوس المسلمين وتربية روح الجهاد .

واستمرت ثورات الداغستانيون ضد البلاشفة بعد قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ م للدفاع عن القفقاس بقيادة الشيخ سعيد شامل ، والشيخ أوزون حاجي ، فبدأت الحكومة السوفيتية الشيوعية في تطبيق سياسة الترويس بقتل رجال العلم والدين والزعماء الوطنيين، وتنفيذ سياسة الترويس على الثقافة والتعليم ، وعمليات تهجير ونفي المسلمين إلى سيبيريا ، وتوطين الروس بلادهم .

أصبحت داغستان بعد تفكك الامبراطورية الروسية عام ١٩٩١م جمهورية ذات حكم ذاتي في إطار روسيا الفيدرالية .

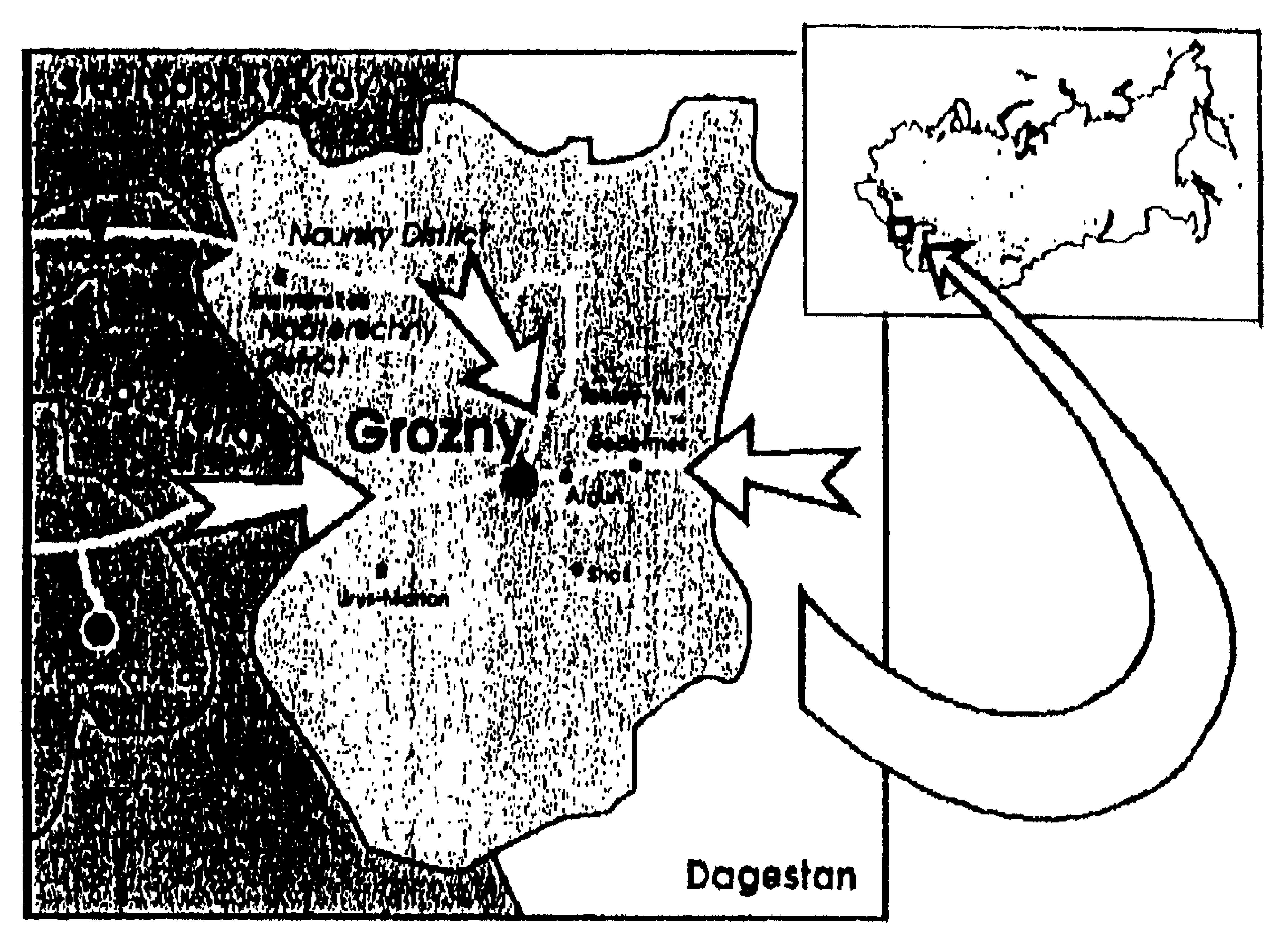
وتشتهر داغستان بزراعة الحبوب والفاكهة والخضروات و تربية الماشية ، وتعد الثروة النفطية والغاز الطبيعي والفحم والثروة المعدنية من أهم الموارد الاقتصادية . وهذه الجمهورية هي بلد الإمام شامل ، البطل الذي قاد حربا ضارية ضد الروس ، وهي مقر الإدارة الدينية لمسلمي ماوراء القفقاز .

جمهورية الشيشان ـ انجوشيا

(إيتشكيريا الشيشانية)

الأرض والشعب :

تقع جمهورية إيتشكيريا الشيشانية في القسم الشمالي الشرقي من جبال القوقاز ، على جانبي نهر تيرك ويحدها من الشرق جمهورية داغستان ، وجيورجيا من الجنوب ،وستافروبول الروسية من الشمال وأوستينيا الشمالية من الغرب .



خريطة جمهورية الشيشان

ساعد موقعها هذا في السفوح الشمالية لجبال القوقاز على جعل الماء يتدفق إليها من الجبال ، وتشكل الأنهار الكثيرة التي ترفد نهر ترك الذي يخترق أرض الشيشان ويعد من أهم أنهار القوقاز ، ولذا فإن أرضها تشتهر بخصوبتها ووفرة الزراعات بها ، بالإضافة إلى وفرة الثروة المعدنية ولا سيما البترول ، الذي تتوفر حقوله بالقرب من جروزني العاصمة ، وتبلغ مساحة جمهورية الشيشان ١٩,٣٠٠ كيلو متر مربع ،أغلبها أراض خصبة تجود فيها زراعة عدد كبير من المزروعات والمحاصيل ، وكان لوفرة المياه أثر كبير في ازدهار الحياة الزراعية ، ويزرع الشيشانيون حاصلات الجهات الدفيئة والمعتدلة والباردة ، فالمناخ بارد شتاء معتدل الحرارة صيفا ، وهذا المناخ جعل الروس يولون عنايتهم لهذه البلاد ، لاستثمارها وإنتاج ما يحتاجون إليه من منتجات زراعية . كما تتوفر المراعي بكثرة في أرض الشيشان في السفوح الجبلية ، لذلك تعد الثروة الحيوانية مصدرا من مصادر الدخل في البلاد ، وتوجد في الشيشان ثروة هائلة من الثروة المعدنية أهمها البترول وتتركز حقوله بالقرب من العاصمة جروزني ويمتد حتى شمال داغستان وينقل بالأنابيب إلى مصانع التكرير في العاصمة . ويبلغ إنتاج الشيشان من النفط حوالي ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ طن سنويا ، ويمثل البترول أعظم مصادر الثروة في البلاد ، وتقوم عليه العديد من الصناعات ، كما تحوي أرض الشيشان كميات كبيرة من احتياطي النفط . وقد

عبر أحد الشيشانيين عن غنى البلاد بالنفط بقوله : " **يكفي أن تضرب بالمعول في أي جزء من أرض بلادنا لتجد النفط يتدفق من تحت قدميك** "

وتقام بالشيشان صناعات هامة منها الصناعات البتروكيماوية والصناعات الحديدية والعسكرية ، وصناعات الأجهزة الطبية والكهربية ، ومعدات البناء والأسمنت والجرارات، وصناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، والصناعات الغذائية وغيرها .

السكان :

ويقدر عدد سكانها بنحو ١،٢٨٩ ٠٠٠ وهذا العدد لا يشمل كل الشيشانيين ، بل هناك مائة ألف نسمة يقيمون في تركيا وأكثر من عشرين ألف يعيشون في بلاد الشام ، ونحو خمسون ألفا في داغستان ، هذا بالإضافة إلى أعداد كبيرة أخرى تعيش في الدول المجاورة لهم ، وهم جميعا من المسلمين السنة ، وتبعا لسياسة الستروبس أصبح غير المسلمين يمثلون نحو ٣٧% من جملة السكان .

الفتح الإسلامي :

شق الإسلام طريقه إلى قلوب الشيشان منذ الفتوحات الإسلامية الأولى ، ورحب به أهل الشيشان لعدله وسماحته وإنصافه ، وانتشر بينهم بعد أن غمرهم المسلمون بكرمهم ، وأحسنوا إليهم .

ارتضى أهل الشيشان بحكم المسلمين العادل ، بعد أن وجدوا أن المسلمين لا يستهدفون امتلاك الثروات والأراضي وغير ذلك من متاع الدنيا ، وإنما كان هدفهم الأسمى تحرير الناس من عبادة العباد إل عبادة رب العباد ، وتخليص البلاد من غاصبيها وإعطائها لأبنائها ، وقبل ذلك إيصال دعوة الحق والهدى والرشاد .

وترك المسلمون أهل الشيشان أحرارا في أن يؤمنوا أو لايؤمنوا ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة٢٥٦ ولم يجبروا أحدا على الدخول في الإسلام ، أو على ترك دينه ، وإنما كانوا يوضحون للناس مزايا الإسلام ومحاسنه وسماحته وعدله ومساواته بين جميع الناس حكاما ومحكومين ،وأنه خير الأديان ، جاء لسعادة البشرية والنهوض بها .

لهذا مال أهل الشيشان إلى الإسلام وتقربوا من المسلمين وارتضوا حكمهم على غيرهم ، ونعم المزارعون بثمار كدهم وجهدهم ، بعد أن كان النظام البيزنطي السائد من قبل قاسيا معهم للغاية ، حيث كان النبلاء والأمراء يأخذون ناتج الأرض ولا يتركون للفلاحين شيئا ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يعاملونهم كعبيد للأرض .

وجد أهل الشيشان أن المسلمين يختلفون تماما عن حكامهم السابقين ، فـــلا إكــراه لأحد على ترك دينه ، ولا قتل ولا مصادرة ثروات ، بل إصلاح وتعمير للبلاد ونـــهوض بالمستوى المعيشي لأبنائها .

ونعم أهل الشيشان بالحكم الإسلامي أحقابا طويلة ، ثم كـــان الاحتـــلال الروســي لبلادهم عام ١٨٥٠م .بعد ملاحم جهادية خاضتها شعوب القوقاز ضد الحكم القيصــــري . ومن بعده الحكم الشيوعي البلشفي .

بعد قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧م وعلى إثر انتصارها نالت الخكم الذاتي ، وفـي عام ١٩٣٦م أصبحت الشيشان جمهورية ذات استقلال ذاتي ضمن روســيا الاتحاديــة ، تسمى باسم الجمهورية الشيشانية الأنجوشية السوفييتية الاشتراكية ، وتتكون من عنصريـن هما الشيشان والأنجوش ، وفي عام ١٩٩١م أعلن الشيشان انفصالهم عن روسيا ، بينمـــا ظل الأنجوش تابعين للروس خوفا من بطشهم . وتشكلت الجمهوريـــة الأنجوشـــية عـــام ١٩٩٢م واعترفت بها روسيا على الرغم من أنه ليس لديها حدود محددة مع الشيشــــان ، وليس لديها برلمان . ويبلغ عدد سكان أنجوشيا حوالي ٣٠٠٠٠٠نسمة ، والأنجوش قوميـة قوقازية وهم على قرابة إثنية مع الشيشان .

حملة التنكيل والتهجير الظالمة عام ١٩٩٤م:

تعرض الشعب الشيشانى عام ١٩٩٤م لحملة تنكيل وتهجير ظالمة ، حيـث.جــرى ترحيله بالكامل إلى سيبيريا وغيرها من المناطق النائية ، مما أدى إلى هلاك ما يزيُد على ثلث مليون شيشانى ، أى حوالى نصف تعداد السكان الشيشانيين حينذاك.

وفى الوقت الذى بلغ فيه قبيل عام ١٩١٨ عدد المساجد ٢٢٣٦ مســـجدا، وكــانت هناك أكثر من ١٤٠ مدرسة عربية ودينية ن شهدت الأربعينات عملية اغـــلاق واهمـــال متعمدة لها ، بهدف طمس تراث ذلك الشعب ، وتمزيق روابطه وصلاته الروحيــــة مـــع شعوب الشرق الإسلامى.

ويشكل المسلمون ــ أبناء القومية الشيشانية ــ أكثر من ٦٠% من تعــداد الســكان فىالجمهورية الأمر الذى يضفى شرعية لا يتنازع عليها من أجل اســتعادة تــاريخ هــذا الشعب وتراثه وروابطه مع العالم الإسلامى والبلدان العربية.

كاباردينا بلكاريا :

تقع على المنحدرات الشمالية للقوقاز الكبير (جبل البروز أعلى قمة فـــى القوقـــاز ٥٦٤٢ متر) وتشغل القسم الأوسط من القوقاز الشمالي وهي منطقة على ثلاثة مســتويات مختلفــة الارتفــاع ، الوديــان وســفوح المرتفعــات ثــم المرتفعــــات ، مســـاحتها

١٢٥٠٠كيلومترمربع ، وعدد سكانها نحو ٧١٥٠٠٠نسمة ، وأصبحت جمهورية ذات حكم ذاتي عام ١٩٣٦م ، ومعظم الكاباردبين مسلمون ، تعرضوا عام ١٩٤٤م للاضطهاد الستاليني الروسي ، وأبعد فريقا كبيرا منهم جمهوريات آسيا الوسطى ، ثم بدأوا يعودون إلى جمهوريتهم عام ١٩٥٧م في عهد خرتشوف ، واضطروا إلى دفع تعويضات لاستعادة بيوتهم وممتلكاتهم.

الأديغيا :

تقع شمال القوقاز السهلي قرب ساحل البحر الأسود ، مساحتها ٧٦٠٠كيلومترمربع، وعدد سكانها نحو ٤٥٠٠٠ نسمة منهم ١٢٥٠٠٠ نسمة من الشركس والباقون من الروس والأوكرانيين والقوزاق والأرمن ، وأصبحت جمهورية ذات استقلال ذاتي في يناير ١٩٩١م .

وتتمثل ثروة أديغيا الرئيسية في الغاز الطبيعي الذي يكمن في أراضيها ، وتنتج نحو ٨٠ مليار متر مكعب ، وتقوم عليه صناعات استخراج الغاز ومعالجته ، كما تقوم صناعات الأسمدة والأثاث ومواد البناء ، ومعدات استخراج النفط والأجهزة الكهربائية ، وتنتج المقاطعة الحبوب والنباتات الزيتية ، والعنب والشاي والتبغ ، وتصدر كثيرا من الخضروات والفاكهة المعلبة .

وقبائل الأديغ من القبائل التي سكنت منذ غابر الزمان ساحل البحر الأسود ، وجبال القفقاز ، ووديانها . فرضت روسيا حمايتها عليها عام ١٥٥٢م ، وبعد مواجهة عنيفة بين الإسلام والأرثوذكسية الروسية ، طردت السلطات الروسية الجزء الأكبر من أبناء الأديغة، فانتقلوا إلى تركيا والدول الإسلامية المجاورة ، واستوطن الروس البلاد ، وبعد الثورة البلشفية أصبحت عام ١٩٢٢م جمهورية ذاتية الحكم .

وبعد أن رفعت القيود التي كانت مفروضة على الدين الإسلامي ، عام ١٩٨٩م انطلقت النهضة الإسلامية ، فبعد أن كانت المساجد تعد بعدد أصابع اليد تحولت المنطقة إلى ورشات عمل لبناء المساجد وترميمها .

كوانشيا شركسيا :

تقع على السفوح الشمالية من جبال القوقاز الكبير جنوب روسيا ، تجاورها من الجنوب جمهورية جورجيا ، ومساحتها ١٤١٠٠ كيلومترمربع ، وعدد سكانها نحو ٤٣٠٠٠٠نسمة ، وينتمون إلى قوميات وأعراق ولغات مختلفة ، وتضم أراضيها ثروات زراعية وحيوانية وغابية متعددة ، وتقوم بها صناعات عدة ، وتتوافر بها منابع المياه

المعدنية ، والطبيعة الجذابة والمناخ الشافي الذي يجعل منها مكانــا للعــلاج والاســتجمام والسياحة.

وأصبحت كراتشيا عام ١٩٩١م جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن روسيا الاتحاديـــة .وكان الكرتشاى ممن اتهمهم ستالين بالخيانة والتحالف مع الألمان في الحــرب العالميــة ونفاهم إلى سيبيريا . وفي عام ١٩٥٧م أعيد الاعتبار لشعب الكرتشاى وعاد أبنــاؤه إلــى مسقط رأسهم.

أوسيتيا الشمالية :

تقع في أول سلسلة جبال القوقاز الكبير في وسط شمال القوقاز ، وتنحصـــر بيــن الشيشان من الشرق وكباردديا من الغرب ، وتبلغ مســاحتها نحــو ٨٠٠٠كيلومــترمربع ، وعدد سكانها ٦٣٤٠٠٠نسمة أكثرمن نصفهم مســلمون ، وهــي اليــوم جمهوريــة ذات استقلال ذاتي في إطار روسيا الفدرالية ، وقد قسم الروس أوستينيا إلى أوستينيا الشـــمالية وتتبع روسيا اللاتحادية ،وأوستينيا الجنوبية وتتبـــع جورجيــا الاتحاديــة ذات الأغلبيــة النصرانية .

جمهوريات ما وراء القوقاز

يطلق ما وراء القوقاز على جمهوريات أذربيجان ، وأرمينيا ، وجورجيا ، وهــي جمهوريات اتحادية كانت تكون مع اثنتي عشرة جمهورية أخرى مـــا يســمى بالاتحــاد السوفييتي ، وعقب انفراط عقده وتفككه وانهياره عام ١٩٩١م ، نالت استقلالها .

جمهورية أذربيجان الاتحادية :

تقع أذربيجان إلى الجنوب من داغستان وجورجيا على الحافة الجنوبية لمرتفعـــات القوقاز الصغرى ، وتطل على الساحل الغربي لبحر قزويــن ، تبلــغ مســاحتها ٨٦٠٠٠ كيلومترمربع ، وعدد سكانها ٧٠٢٩٠٠٠ نسمة والعاصمة باكو ، ومعظم الســكان مــن الأتراك ٧٥% منهم من أهل الشيعة ، والنسبة الباقية من أهل الســنة ويتحدثــون اللغــة التركية .

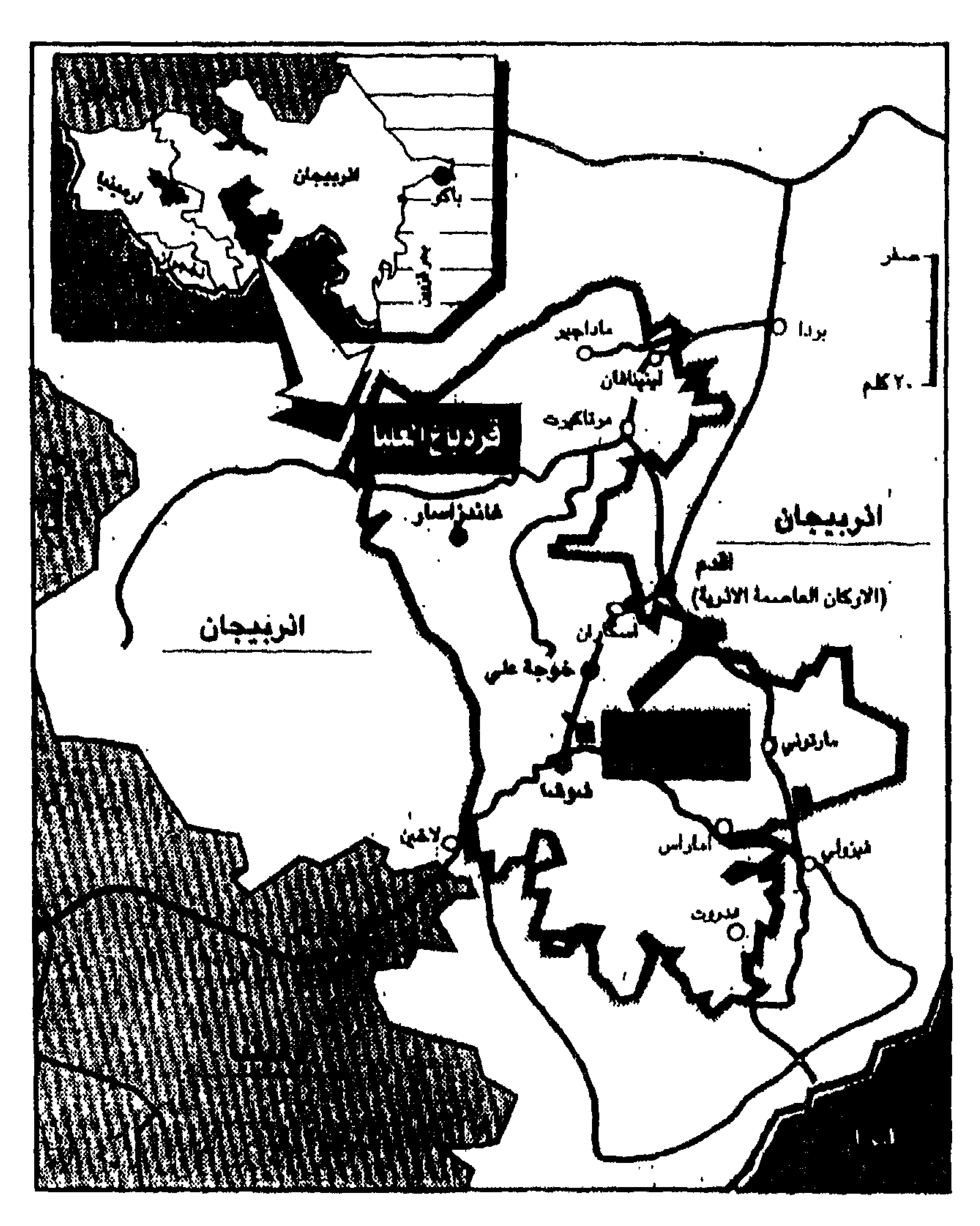
انضمت أذربيجان عام ١٩٢٠م إلى الإتحاد السوفييتي ، بعــد أن أفقدهــا الجيــش الأحمر الروسي استقلالها التام الذي كانت تتمتع به .

مشكلة ناجورنو كاراباخ :

يتبع إقليم ناجورنو كاراباخ جمهورية أذربيجان ، ويفصله عن أرمينيا شريط بــري ضيق ، وتبلغ مساحته ١٧٠٠ميل مربع ، وعــدد ســكانه ٢٠٠٠٠٠نســمة ، ويشــكل

المسلمون نحو ربع السكان _ فقد بوطن الحكم الإسلامي في هذا الإقليم منذ عام ٢٥م من الهجرة ، وظلت هوية الإقليم هوية إسلامية حتى عام ١٩٢٣ م _ والباقون أرمن نصارى، لذلك يقوم الصراع بين أرمينيا وأذربيجان لرغبة أرمينيا في انتزاعه من أذربيجان .

شنت أرمينيا هجماتها على الإقليم واحتلت بمساندة الروس الأراضي الأذربيجانية ، بعد أن أمدت روسيا الأرمن بأحدث الأسلحة ، مما جعل الأرمن يحققون انتصارات كبيرة على الآذريين ، و يعمدون إلى سياسة التطهير العرقي وطرد المسلمين من الأراضي التي احتلوها في أذربيجان ، وما زال التوتر قائما .



وحول أحداث أذربيجان وأرمينيا يقول الشيخ محمد صادق رئيس إدارة مسلمي ما وراء النهر : " إن المشكلة قديمة ، وقد كشف الأرمن عن نواياهم الحقيقية في قره باخ إذ يهاجمون القرى الأرذبيجانية ويقتلون النساء والأطفال .. بعد أن تلقوا دعما كبيرا من جهات متعددة لمحاربة المسلمين"

لم تقتصر الأطماع الأرمينية على قره باخ، التي قتل وشرد المسلمون من سكانها ، ودمر العديد من مدنها وقراها ، وربطهم المقاطعة الجبلية وسط أراضي أذربيجان بأرمينيا بشريط أرضي يصل ما بينهما فقامت ارمينيا بفتح جبهة ناختشيفان التي تتبع لأذربيجان ولا حدود لها معها بل مع ارمينيا وتركيا وإيران .

لقد التقت المصالح الروسية مع الأمريكية في المنطقة، فالعداء الروسي الأذربيجاني عداء موروث عن الشيوعية المنهارة، لذلك كان الدعم العلني والسري الذي تتلقاه أرمينيا من روسيا، ووجدت الولايات المتحدة الأمريكية في أرمينيا حليفا طبيعيا لها، وهي تعمل على إيجاد مرتكزات جديدة في المنطقة ليستمر استنزاف طاقات المسلمين.

جمهورية أبخازيا :

تقع أبخازيا ذات الحكم الذاتي في شمال غرب جورجيا ، وتطل على البحر الأسود على الطريق الساحلية الموصلة إلى جورجيا .وهي إقليم ذات موقع استراتيجي شهير بمنتجعاته واستراحاته السوفييتيه، ضمتها روسيا عام ١٨١٠م وفر الكثيرون منهم إلى تركيا أثناء الغزو الروسي لغرب القوقاز في منتصف القرن التاسع عشر . وتبلغ مسلحتها ٨٦٠٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها ٥٣٧٠٠٠نسمة ، ويشكل المسلمون ٨٠%من جملة السكان وهم من أهل السنة . والأبخاز أصلا من سكان القوقاز القدامي، غزاهم العرب في القرن الثامن الميلادي ونشروا الإسلام بينهم .

بعد قيام الثورة البلشفية عام ١٩١٧م انفصلت أبخازيا عن روسيا وأعلنت ارتباطها باتحاد القوقاز الجبلي الذي ضم الأديغة والقبرطاي والشيشان وداغستان ، وفي عام ١٩٢١م احتلت جورجيا أبخازيا وتحت ضغوط من ستالين ، ثم تحولت إلى جمهورية ذات حكم ذاتي ،وبقي الوضع على حاله حتى انهيار الاتحادالسوفييتي وزوال جمهورياته السابقة ، وفي عام ١٩٩٢م دخلت قوات جورجيا سوخومي عاصمة أبخازيا بحجة القضاء على أنصار الرئيس خمسا خورديا ، فقاوم الأبخازيون وسقط المئات من الجرحى ،وتوافد المتطوعون من كل أنحاء شمال القوقاز لصلات القربى التي تربط شعوب جنوب روسيا بالأبخاز ،لذلك أعلنوا التعبئة العامة لنجدتهم وشاركوا في المعارك ضد الجورجيين وضدالروس ، وشنوا حرب استقلال أدت إلى استرجاع النصف الشمالي من أبخازيا، وتدخل الروس بحجة حماية الأقلية الروسية ، ولكنهم يسعون إلى إرجاع أبخازيا إلى

حضن الاتحاد الروسي لوقوعها على الطريق الموصلة إلى جورجيا ، وتنفيذا لاستراتيجيتها القائمة على إحاطة منطقة القوقاز التي باتت تعيش على فوهة بركان ينذر بانفجار كبير .

جمهورية الآجار :

تقع جمهورية الآجار في جنوب غرب جورجيا ،وتطل على البحر الأسود ، وتبلغ مساحتها ٣٠٠٠ كيلومترمربع ، وعدد سكانها ٣٩٣٠٠٠نسمة ، والآجار ينتمون إلى سكان القوقاز القدامى اثنولوجيا، انتشر الإسلام بينهم عن طريق العثمانيين ، وهم مسلمون على المذهب السني .

جمهورية أرمينيا :

تقع أرمينيا إلى الشمال من إيران ، وتشترك في حدودها الشرقية مع أذربيجان، ومع جورجيا من الشمال ،ومع تركيا من الغرب . تبلغ مساحتها ٣٠٠٠٠ كيلو متر مربع، ويقدر عدد سكانها بنحو مليوني نسمة ، دخلها الإسلام على يد حبيب بن مسلمة الفهرى، رضى الله عنه ، بأمر من معاوية بن أبى سفيان ، في عهد عثمان بن عفان ، رضى الله عنهم ، وشارك فى الفتح كل من سعيد بن العاص ، وسلمان الباهلي، حيث نجحوا في الوصول إلى شواطئ البحر الأسود ، بعد جهاد طويل ضد الصليبيين الروم والأرمن .

عاش الأرمن مع العرب منذ بداية التاريخ ، ويقال أن جذورهم تمتد إلى أيام الفراعنة ، وأن الملكة نفرتيتى وشجرة الدر من أصل أرمنى ، والمعروف أن أرمينيا كانت ضمن الامبراطورية العربية فى القرن السابع الميلادى واستوطن المئات منهم فى البلاد العربية خاصة لبنان وسوريا ومصر .

كانت أرمينيا مملكة قديمة تقع جنوب غرب آسيا ولم تكن لها حدود تاريخية ثابتة ، وقد امتدت هذه المملكة في قمة توسعها من جنوب وغرب جبال القوقاز إلى أجزاء من سوريا والعراق جنوبا ومن البحر الأسود فى الغرب إلى البحر الأبيض المتوسط فى الجنوب الغربي وإلى بحر قزوين فى الشرق إلا أن أرمينيا التاريخية لم تعمر طويلا وسقطت في يد الرومان وظلت بعد ذلك موضع صراعات الإمبراطويات التى تعاقبت على حكم المنطقة حتى عام ١٩٢٠ حين تأسست جمهورية أرمينيا السوفياتية على أجزاء من أراضى ارمينيا التاريخية بينما ضمت تركيا القسم المتبقي من اراضيها .

وتشتهر أرمينيا بأنها بلاد الأنهار العظيمة التى تنساب مع جميع الجهات وأشهرها نهر دجلة والفرات ، ويمتدان إلى العراق ، وتمتلئ أرضها بالثروات.

الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لإقليم القوقاز

تقع منطقة القوقاز بين قارتى آسيا وأوروبا ، وتعد حلقة الوصل بينهما إذ تعتبر الطريق البري الوحيد لقارة أوروبا نحو آسيا والشرق الأوسط من حدودها الجنوبية الشرقية ، كما أن بحر قزوين والبحر الأسود اللذين تقع منطقة القوقاز بينهما ، تصب فيهما معظم أنهار أوروبا مثل الفولجا والدون والدانوب والدنيبر والدنيستر .كما تعد المنطقة بأنهرها وبحارها حلقة الوصل البحرية بين القارات الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا، وبالإضافة إلى أهمية المنطقة الزراعية كسلة خبز للاتحاد السوفييتي السابق ومن بعده روسيا الاتحادية ، فإنها غنية بالنفط خاصة جمهوريتي الشيشان وأذربيجان ، وبعد استقلال أذربيجان ازدادت أهمية بترول الشيشان لكونها تزود روسيا بمعظم وقود الطائرات المدنية والعسكرية ، وبالرغم من أن بترول جمهورية الشيشان من حيث الكمية مقارنة بأذربيجان أو حقول النفط فى كازاكستان ، إلا أن نوعية بترول الشيشان ووجود مصافي النفط فيها يجعلها ذات أهمية كبيرة لروسيا الاتحادية .

ومما يزيد من أهمية القوقاز اقتصاديا ، أن موانى روسيا الاتحادية على البحر الأسود ، وهي منافذ التصدير البحري ، تقع في هذه المنطقة ، وتتمتع جمهورية الشيشان بوضع فريد من هذه الناحية ، حيث تمربأرضها أنابيب تصدير النفط الأذربيجاني وكذلك نفط كازاخستان وسيبيريا وتتارستان عبر موانئ البحر الأسود . كما أن جمهورية الشيشان لديها كميات كبيرة وضخمة من الغاز الطبيعي الذي تفتقر إليه بقية جمهوريات شمال القوقاز ، تنفرد روسيا باستغلاله لتجعل الجمهوريات الأخرى تحت رحمتها من حيث مصادر الطاقة .

أهمية الإقليم في العهد القيصري :

كان الموقع الاستراتيجي الهام لمنطقة القوقاز من أهم الأسباب التي أدت إلى اهتمام القياصرة الروس بالقوقاز ، منذ عهد إيفان الرهيب وبطرس الأكبر ، هذا الاهتمام اختلفت أسبابه وأهدافه عبر التاريخ حسب رغبات القيصر الحاكم ، وكان من أهم الأهداف والاهتمامات التي أدت مجتمعة إلى رغبة القياصرة الروس في ضم القوقاز إلى حكمهم هي أن السيطرة على القوقاز تعطي روسيا القيصرية منطقة عازلة لحدودهم الجنوبية، تفصلهم عن ايران الصفوية في الجنوب الشرقي ، وتركيا العثمانية في الجنوب الغربي ، كما أن السيطرة على القوقاز تعطي الروس قاعدة انطلاق رئيسية نحو الهند ذات الأهمية التجارية والجغرافية الكبيرة لأى امبراطورية عسكرية ذات نزعة توسعية ، هذا بالإضافة

إلى أن السيطرة على القوقاز تسهل الانطلاق نحو آسيا الصغرى والشرق الأوسط لإعادة احتلال القسطنطينية والقدس .

اهتم ايفان الرهيب بالقوقاز لأسباب توسعية بحتة ، بينما اهتم القيصر بطرس الأكبر والقيصرة كاترين الثانية وابنها القيصر بول الأول بالقوقاز كنقطة انطلاق لاستعادة القسطنطينية وإعادة إحياء الامبراطورية البيزنطية القديمة ، وبالتالي احياء الكنيسة الأرثوذكسية التي كانت روسيا القيصرية تتبعها .أما القيصر الكسندر الأول ابن القيصر بول وحفيد الامبراطورة كاترين الثانية فقد أظهر حلمه بشكل علني في أن يرى الصليب قد تفوق على الهلال ،أى انتصار الصليبية النصرانية على الإسلام من خلال استعادة القسطنطينية والقدس من أيدى المسلمين ، وحماية نصارى آسيا الصغرى وشرق أوروبا والشرق الأوسط من وحشية واضطهاد الأتراك العثمانيين وإنقاذ هؤلاء من حكم المسلمين وضمهم إلى بقية روسيا كما فعل والده مع جورجيا عام ١٨٠٠م حين استنجد به ملك جورجيا ضد إيران الصفوية التي اجتاحت تفليس عاصمة جورجيا عام ١٧٩٥م .

وبدأ القياصرة في ضم القوقاز ، ورغم أن شروعهم الحقيقي في ضم المنطقة قد بدأ في الربع الأول من القرن الثامن عشر في عهد القيصر نيكولاس ، فقدتم الضم النهائي لها إلى روسيا القيصرية عام ١٨٥٩م في عهد القيصر الكسندر الأول ، وقد بدأ التمهيد لذلك منذ عهد بطرس الأكبر من خلال قيامه بحملة في بحر قزوين واحتلال دربند (باب الأبواب)

القوقاز عبر العصور الإسلامية

كانت المناطق الجنوبية من القفقاس عرضة لحملات مختلف الأقوام والشعوب ، فضمتها فارس لفترة من الزمن ، ثم دخلتها جيوش الاسكندر الأكبر المقدوني ، ثم ألحق الفرس الساسانيون أغلب الأجزاء الشرقية إلى إمبراطوريتهم ثانية ، وأعقب ذلك عزم أباطرة القسطنطينية الاستيلاء عليها .

الفتح العربي الإسلامي للقفقاز :

شق الإسلام طريقه إلى شعوب القوقاز منذ الفتوحات الإسلامية الأولى، فبعد انتصار الإسلام على الامبراطورية الساسانية الفارسية بسقوط عاصمتهم المدائن عام ١٦ من الهجرة ، ٦٣٧م وفتح نهاوند الذي يسمى (بفتح الفتوح) عام ٢٠ من الهجرة . توجهت الجيوش الإسلامية صوب الشمال ، وقد اشترك ثلاثة قواد من الصحابة ، في فتح أذربيجان وهم حذيفة بن اليمان ، وسراقة بن عمرو ، وعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ،

ومن بعدهم جاء المغيرة بن شعبة ، والأشعث بن قيس ، ثم الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص رضى الله عنهم .

فتح سراقة بن عمرو ، باب الأبواب (دربند) في داغستان ٢٢هجرية ٦٤٣م ، وانتشر الإسلام في الإقليم في عهد كل من : عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، رضى الله عنهما ، ووصل المسلمون إلى أرمينيا وجورجيا وأذربيجان وشروان وتوسعوا على السواحل الغربية لبحر الخزر (بحر قزوين) وشمالا إلى بلنجر (استراخان) التى أطلق عليها قديما اسم (آتل) ،وهناك أصيب عبد الرحمن بن ربيعة، وسقط شهيدا عام ٦٥٢م . وصار أخوه سليمان بن ربيعة ، واليا على المنطقة . والجدير بالذكر أن المسلمين قد بذلوا جودا كبيرة في فتح هذه المناطق .

لم يستقر الوضع للمسلمين في هذه البلاد حيث كانوا في حرب مستمرة مع يهود الخزر ، الذين هاجموا المسلمين في المنطقة أيام الأمويين ، ووجه إليهم يزيد بن عبد الملك بن مروان حملاته ، واستمر ا لصراع مع الخزر مدة الحكم الأموى والحكم العباسي، واستقر الأمر للمسلمين أيام القوة ، وتدفق العرب للحياة في هذه البلاد ، ورحلت إليها خمسون ألف أسرة من البصرة والكوفة واستوطنوها. وحين ضعف أمر العباسيين غزا يهود الخزر المنطقة عام ٤١٧ من الهجرة ، ودخلوا مدينة تفليس ، ولكن لما جاء السلاجقة وسيطروا على الدولة العباسية دانت لهم بلاد القفقاس والأجزاء الشرقية منها عام ٤٥٩ من الهجرة ١٠٦٦م.

القوقاز في عهدالمغول والتتار :

جاء المغول ودانت المنطقة لهم ، وسيطروا على كل أجزاء القوقاز ، التى كانت من نصيب أسرة جوجى بن جنكيزخان ، فبعد أن أسس جنكيزخان دولته وتغلب على جيرانه ، اجتاح بجحافله شرق أوروبا وأخضع سكانها لهيمنته ، وبعد وفاته تقاسم أبناؤه امبراطورية شاسعة ، وكانت بلادالقفقاس والبلغار وروسيا من نصيب ابنه الكبير جوجي ، وكانت بلاد الأيغور وتركستان من نصيب ابنه جغطاى .

فتح أبناء جنكيز خان بلاد الروس ، ودخلوا خاركوف وكييف وبساربيا والأفلاج والبغدان (بلغاريا ورومانيا) ثم اتجهوا نحو كرواتيا وبلاد البوسنة والهرسك وألبانيا ، ووصل باتو ابن جوجي إلى تخوم النمسا .

ومع أن اسم المغول قد ارتبط في أذهاننا بالبربرية والفظاظة والقسوة وسفك الدماء وهتك الأعراض وتخريب المدن والقرى ، حتى رفض ابن الأثير كتابة تلك الأحداث بعد أن ظن أنها نعى الإسلام وانتهاء أمره . غير أن هذا الشعب لم يلبث أن دخل الإسلام ، إذ

لم ينقض على اجتياحه بلاد الإسلام أكثر من نصف قرن من الزمان حتى غدا كله مسلما يدافع عن الإسلام وبلاد الإسلام التي سبق له دمرها وأشبعها تخريبا .

أسلم من أبناء جنكيز خان ، السلطان أبو المعالي ناصر الدين بركة خان ، أثناء عودته من بلاده حين التقى بأحد علماء الإسلام في مدينة بخارى ، وأسلم معه عدد كبير من قومه ،وعد نفسه حامي القرآن الكريم والشريعة الإسلامية ، وراسل الخليفة العباسي في بغداد ، وبايعه وهاداه ، ودعا العلماء والفقهاء وأغدق عليهم ، كما وقف يقاتل ابن عمه هولاكو الطاغية الذي ظل وثنيا ، واجتهد في تعويض الإسلام عما لحق به من الأذى على أيدى أجداده. ثم بنى مدينة سراى على نهر الفولجا واستدعى فيها العلماء كي يوقفوا الناس على معالم دينهم ويبصرونهم طريق التوحيد ، ولقد كانت هذه المدينة بحق من أعظم مدن العالم ، كتب عنها ابن بطوطة وأسهب في وصفها وذكر أن فيها ثلاثة عشرمسجدا لإقامة الجمعة ، وأن المغول هم أهل ا لبلاد وأن منهم القفقاز والجركس والروس والروم

ولم يمض على دخول المغول البلاد ، ودخولهم الإسلام أكثر من مائة عام حتى فوجيء الناس بسيل جارف من أبناء عمومتهم التتار ، بقيادة تيمورلنك ، وقد اعتنقوا الإسلام ، ولكنهم فعلوا الأفاعيل بالمسلمين وحرقوا الأخضر واليابس وذاق المسلمون على أيديهم الويلات ، ومع ذلك فقد انتشر الإسلام في عهده في المنطقة وأرسى دعائمه ١٣٨٥م. بشكل نهائي ،لأنه أبدى اهتماما شخصيا بالقضاء على الديانات الأخرى ومنعها في مناطق حكمه ، وأصبح الإسلام فيها ديانة قوية الجذور ، وتأثر الغالب بحضارة المغلوب ، ثم تبناها وعمل على نشر ها و الحفاظ عليها[١].

---

(١) محمود شاكر ــ موسوعة التاريخ الإسلامي ــ المكتب الإسلامي.

الباب السادس

الامبراطورية الروسية
البداية والنهاية

- نشأة الدولة الروسية .
- دولة كييف ـ موسكو .
- دولة المغول والتتار (دولة القبيلة الذهبية)
- أول دولة روسية موحدة .
- الزحف الروسي الاستعماري على أراضي المسلمين .
- الصراع على القفقاز ومخططات القياصرة لاسترداد القسطنطينية .

الباب السادس

الامبراطورية الروسية ..البداية .. والنهاية

نشأة الدولة الروسية

دولة كييف ـ موسكو:

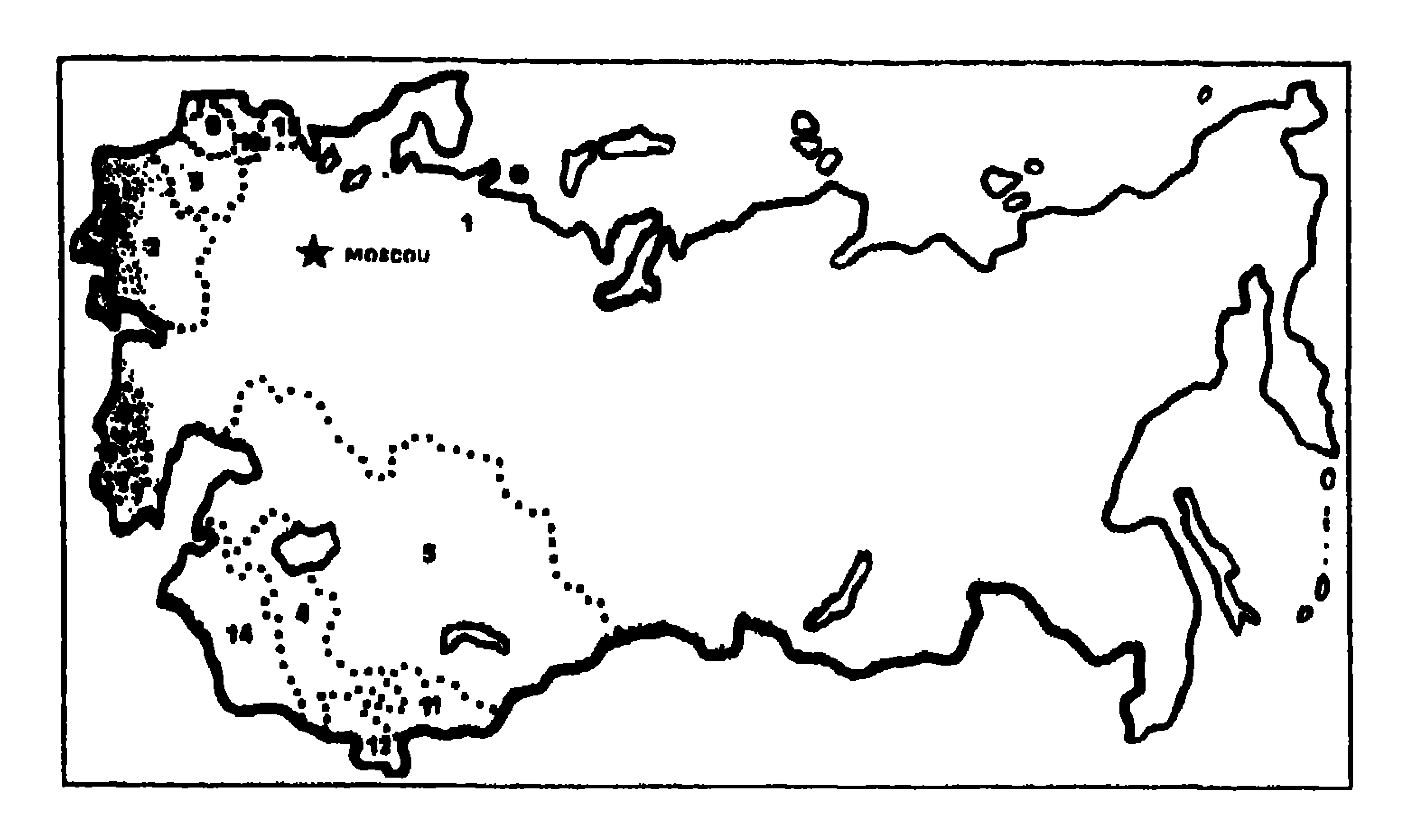
قامت في منطقة كييف في القرن العاشر الميلادي أول دولة روسية ،اعتلى إمارتها سيفاتوسلاف الأول ٩٣٦- ٩٧٢ م . واعتنقت أرملته أولجا الدين المسيحي ، وفي عام ٩٨٠م . اعتلى الإمارة فلاديمير الأول الكبير الملقب بالشمس المضطربة ، وبعد وفاته عام ١٠١٥م . كرس قديسا .

كانت الإمارة تضم عددا من الشعوب السلافية التي كانت تسكن حول هذه المنطقة، ومنطقة موسكو والمناطق المجاورة لها من جهة الغرب ، وشهدت هذه الإمارة ازدهارا كبيرا وجرى تأسيس نحو ٩٠ مدينة بها ، وبقيت هذه الدولة تدار من قبل حكومة مركزية قوية حتى القرن الثاني عشر الميلادي ، ولكن في نهاية ذلك القرن انقسمت هذه الدولة الروسية إلى عدة دويلات مثل إمارة موسكو و إمارة كييف .

الغزو المغولي التتري (دولة القبيلة الذهبية)

كان هذا الانقسام سببا في نجاح المغول و التتار في اجتياحهم لهذه الإمارات وإخضاعها لحكمهم الذي استمر ثلاثة قرون من أول القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلاديين .ففي عام ١٢٢٣م. غزا المغول بقيادة جنكيز خان البلاد ، وهزم الروس عند نهر كالكا ، وفي عام ١٢٤٠م. اجتاح باتو خان بن جنكيز خان كييف ، ودارت حروب طويلة بين الروس ، وبين المغول القادمين من الجنوب الغربي ، وبين الروس و الكاثوليك القادمين من جهة بحر البلطيق في الشمال الشرقي .

كان العداء مستمرا بين الحكام المسلمين ، ورعاياهم من الروس النصارى الحاقدين على الإسلام ، لذلك استغل الروس الصراعات الداخلية بين الأمراء المسلمين، وحاكوا لهم الدسائس ، وبدلا من هيمنة الحكام المسلمين علي رعاياهم ، اعتمدوا عليهم في صراعاتهم التي مزقت دولتهم .



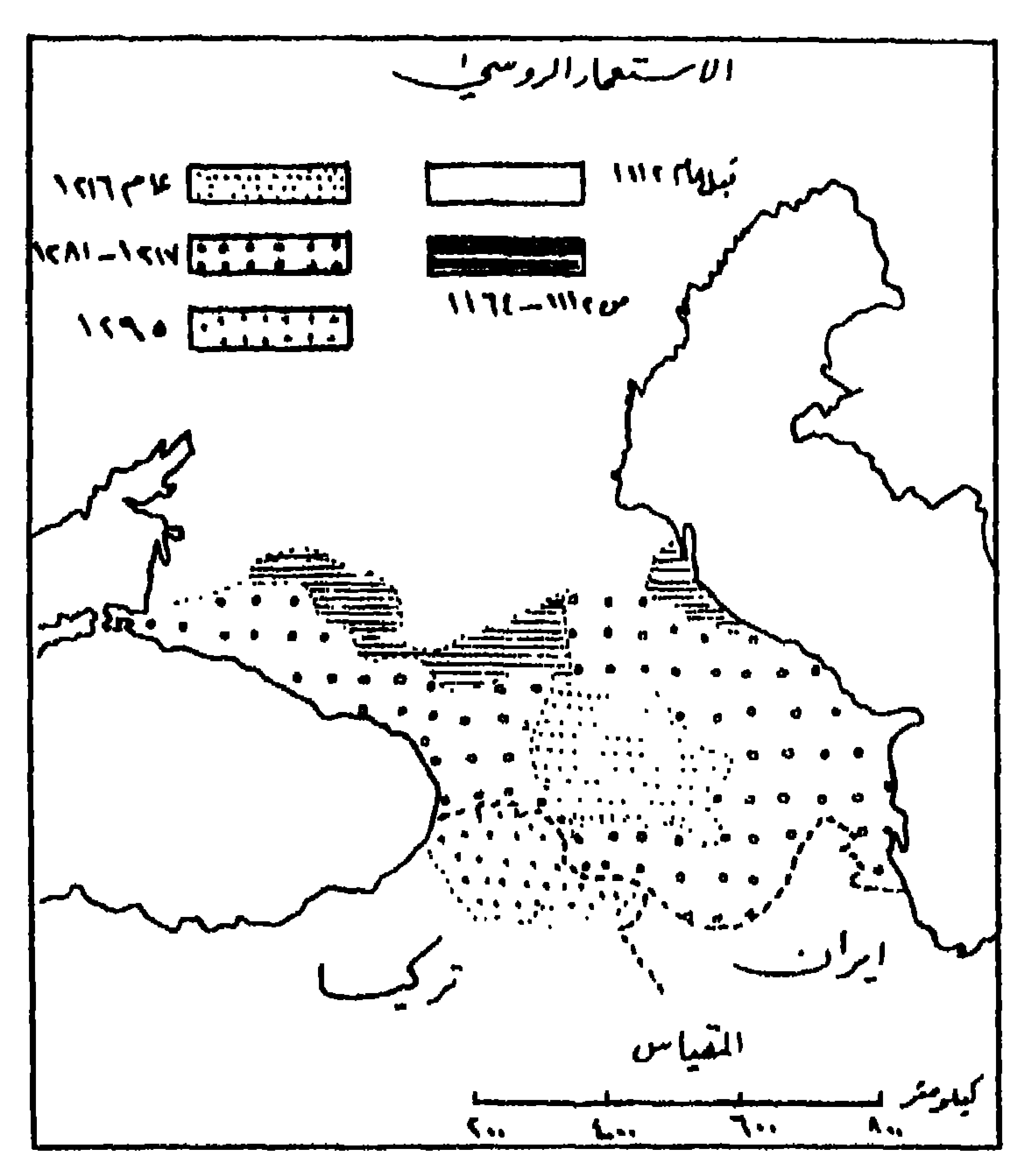
أول دولة روسية موحدة :

في أوائل القرن الخامس عشر ظهرت إمارة موسكو كأقوى إمـــارة ، واســتطاعت السيطرة على بقية الإمارات السلافية الروسية ، وتمكنت من توحيدها تحت حكم مركـزي هو حكم قيصر روسيا ، ونشأت أول دولة روسية قوية موحدة ، ابتدأت مع ضعف سيطرة التتار بتصفية دولتهم بعد أن انقسمت إلى دويلات القرم واستراخان وقـــازان ، ورفــض القيصر ايفان الثالث دفع الجزية التي فرضها عليهم الحكام المسلمين بعد فتحهم تلك البلاد، وتمكن الروس من احتلال مواقع حصينة ، ونجح القيصر ايفان الثــالث ، بعــد أن كــون جيشا قويا في أن يؤكد على أهمية دور موسكو كوريثة للامبراطورية البيزنطية ، وبـــرز دور مطران موسكو بوصفه رئيسا للكنيسة الأرثوذكسية ، وزاد من أهميـــة دور الـــروس زواج ايفان الثالث من صوفيا ابنة آخر امبراطور بيزنطي .

الزحف الروسي القيصري الاستعماري

إيفان الرهيب (١٥٣٣: ١٥٨٤م) واضطهاد المسلمين :

شن القيصر ايفان الثالث ٨٥٥هــ ــ ١٤٨٠م، حربا صليبية جديدة ضد المســلمين التتار، ونكل بهم ثم جاء فاسيلى الثالث وقد توطدت العلاقات بينه وبين البابا الذى طلـــب منه أن يعجل بطرد المسلمين إلى ســـيبيريا وتشــتيتهم واعــدا إيـاه بملكــوت الســماء وبالقسطنطينية، وجاء من بعده ايفان الرابع ٦٩٠هــ ــ ١٥٥٣م الذي سمي بالرهيب لشـدة ما لحق المسلمين من أذى على يديه، بين قتل وذبح وتشريد وإبادة.



التوسع الاستعماري الروسي في أراضي المسلمين

في عام ١٥٥٢م تحرك ايفان الرابع بجيش قوامه ١٥٠ ألفا ، حاصر بـه قـازان واستراخان واستولى عليها ، ونجح في ضم الإمارات الإسلامية الواقعة ما بيـن موسـكو غربا وجبال الأورال شرقا ، وألحقها بموسكو ، ثم أرغم الباشكير على التجنس بالجنسـية الروسية ، وأخضع الشركس للحماية ، وأشرف بذلك على كامل حوض الفولجا ، ثم امتـد النفوذ الروسي إلى جبال ألتاى شرقا ، وبحر البلطيق غربا.

خاض إيفان الرابع حروبا وسع بها أراضي روسيا ، وجعـل منـها امبراطوريـة مترامية الأطراف ، وبعد وفاته عاشت روسيا ثلاثة عقود عانت فيها مـن الاضطرابـات الداخلية ، والتي انتهت بوصول أسرة رومانوف إلى العرش القيصري .

ونجحت روسيا القيصرية في الفترة من عام ١٥٥٣م إلى عام ١٦٨٩م من احتـلال المناطق الشمالية لبحر الخزر والأجزاء الشرقية من كازاخستان ومعظم سيبيريا .

بعد سقوط قازان عاصمة إمارة التتار عام ١٥٥٢م . قام الروس باضطهاد التتار المسلمين ، فعملوا على محو آثارهم من الأقاليم التي شغلوها في روسيا ، انتقاما للاضطهاد الذى أنزله المغول بهم أكثر من ثلاثة قرون ، كانوا فيها حكام روسيا ، وبعد هزيمة التتار في قازان وفي استراخان ، انقلب الحال
من حكام يضطهدون الروس إلى رعايا يستذلهم الروس ، بعد أن كان التتار يبيعونهم كالعبيد في أسواق القرم والأناضول .

الصراع على القفقاز[١]:

في نهاية القرن الخامس عشر ظهرت قوتان إسلاميتان في منطقة القوقاز ، هما الدولة العثمانية والدولة الصفوية ، تنافستا في التوسع ، فانحصر نشاط الدولة الصفوية في منطقة بحر قزوين وأذربيجان ، وتركز نشاط الدولة العثمانية في منطقة البحر الأسود وشمال غرب القوقاز ، وكلتاهما امتدت آمالهما إلى جورجيا وأرمينيا .

بعد سقوط القسطنطينية ، معقل الكنيسة الأرثوذكسية ، في أيدي المسلمين عام ١٤٥٣م. حرك عامل الجهاد العثمانيون في توسعاتهم وفتوحاتهم شرقا وغربا وجنوبا ، فوصلت قواتهم بقيادة سليمان القانوني أسوار فيينا ،وحاصرها أربعة أسابيع لولا أن عاكس الطقس الفاتحين .

اجتاحت جيوش العثمانيين أوروبا ، وتوغلت في القارة ، وحققت انتصارات عظيمة و بدأ العثمانيون في مد نفوذهم إلى بلاد القوقاز والقرم ، بعد أن استفحل الخطر الروسي وأخذ يبتلع بلاد التتر واحدة بعد الأخرى ، وبعد أن دب الضعف في الفرس الذين كانوا يضمون أكثر جهات القوقاز ، واستغل الروس الفرصة في عهد بطرس الأكبر عام ١٧٢٢م. ، لاحتلال القوقاز واستخدامها كمنطقة عازلة بين الامبراطورية الروسية والدولة العثمانية والدولة الصفوية ، واللتين كانتا أكبر قوتين في العالم الإسلامي حينئذ ، واحتلوا داغستان وشروان ، وأجبروا طهماسب الثاني ، آخر من حكم من شاهات الفرس الصفويين ، على أن يتنازل عنها لهم ووصل الروس لأول مرة إلى بحر قزوين.واستنجد السكان بالعثمانيين ، واشتد الصراع في المنطقة ، لذلك دخل العثمانيون في صراع مع الفرس على القوقاز ، وأخذوا ينتزعونها من الصفويين وخاصة أن الصفويين كانوا يجبرون السكان في بعض الأحيان على اعتناق المذهب الشيعي ، وقد تمكنوا من ذلك بالفعل في أذربيجان ، ووقف العثمانيون للمد الشيعي في القوقاز ، وعملوا على تقريب السكان إليهم ، فازداد القوقازيون ميلا إليهم وفضلوهم على الروس النصارى والفرس

---

(١) القفقاز هى القفقاس هى القوقاز

الشيعة ، وأصبح المسلمون في القوقاز أكثرهم من السنة . ودخلت قبائل كثيرة الإسلام لـم تكن قد أسلمت في الشيشان والأنجوش والشركس والقبرطاى والأديغة والأبخاز والأوستين . بينما احتفظ أكثر الأرمن بنصرانيتهم .

مخططات القياصرة لاسترداد القسطنطينية :

في القرن السابع عشر الميلادي ظهر بطرس الأكبر ١٦٧٢:١٧٢٥م وتسلم السلطة عام ١٦٨٨م، أسس مدينة بطرس سبرج (لينينجراد سابقا) عام ١٧٠٧م ، بقيت عاصمـة لروسيا على مدى ٣٠٠ سنة تقريبا وشارك القيصر بطرس الأكبر المسـلمون ـ الذيـن كانوا يشكلون نسبة كبيرة ـ فى بنائها وتعميرها فى مطلع القرن الثامن عشـر وأسـهموا برصيدهم فى تطويرها ، ويقطنها اليوم حوالى ٨٠ ألف مسلم ينتمون إلـى ٢٠ قوميـة . وعمل بطرس على زيادة القوة الاقتصادية والعسكرية لروسيا باتباع الأساليب الحديثـة ، واستعمال هذه القوة في توسيع الامبراطورية الروسية ، فقام برحلات إلى أوروبـا وزار أكاديمات انجلترا وهولندا وألمانيا ، وفي فيينا حاول إقناع الامبرطور ليوبولـد بخصوص حرب صليبية جديدة ضد الأتراك عام ١٦٩٨م وقام بمفاوضات مع الانجليز والـهولنديين بهذا الشأن ، بعد أن رأى أن روسيا لايمكنها الوقوف أمام الدولة العثمانية بدون حلفـاء ، وخاض بطرس الأول الأكبر بالفعل حربا حركتها الأحقاد الكامنة في استرداد القسطنطينية من أيدي العثمانيين المسلمين ، واشترك القيصر في الحرب كجندى عادى تحـت إمـرة جنرالاته وكاد أن يقع أسيرا في أيدى الأتراك .

لفت بطرس الأكبر بقوته أنظار الشرق والغرب، وفتح أمام روسيا أبواب الفتوحـات الاستعمارية، فقد جاء في وصيته السياسية: " ينبغي الاقتراب من القسـطنطينية، وممـالك الهند وبذل أقصى ما يمكن في سبيل ذلك ، لأن حاكم هذه المناطق سيكون حاكمـا للعـالم برمته ، لذلك ينبغي أن تظل الحرب قائمة مع الأتراك حينا ومع الإيرانيين حينـا آخـر ، ولهذا ينبغي أن تقام معامل صناعة السفن على سواحل البحر الأسود ، لكي يتم الاسـتيلاء على هذا البحر بالتدريج ، وعلينا أن لاننسى بحر البلطيق لأنه في هذين الأمريـن سـبب نجاحنا ، ويجب الاستيلاء على إيران من أقصاها إلى أقصاها في أسرع وقت والوصـول إلى الخليج الفارسي ، ويجب إعادة الطريق التجاري القديم بين الشام والهند إذا كان ذلـك ممكنا في سبيل الهجوم على الهند ، لأن فيها خزائن الدنيا ، وإذا ما وصلنـا إلـى هنـاك فحينئذ سنكون في غنى عن الذهب الانكليزي "

وطبق الروس المسار الذى حددته الوصية بحذافيره خطوة بخطوة .

أدرك بطرس الكبير بحدة ذكائه مدى العظمة التى يمكن أن ينالها الروس بـاحتلال القوقاز ، وكان يدفع روسيا إلى التطور ، وكان يرى أن أهم عوامل الرقى والازدهار هى

العوامل الاقتصادية ، لذلك حاول أن يفتح طريقا تجاريا مع إيران عام ١٧١٦م على أمـل الوصول إلى التجارة مع الهند .

كاترين الثانية :

وجاءت الامبراطورة كاترين الثانية ١٧٢٩: ١٧٩٦م. وسارت على نفس مخطـط بطرس الأكبر ، فور اعتلائها العرش ، وأثمرت جهود بطرس التوسـعية فـي عـهدها، فبدأت عمليات الاستيطان الواسعة تجاه الجنوب حيث بلاد المسلمين ، فاستولت على القـوم وما وراء الأورال في سهوب آسيا الوسطى وعلى طول بحر قزوين ، وجـاء مـن بعـد كاترين ابنها القيصر بول ، وحققت روسيا انتصارات فـي كرجسـتان (جورجيـا) ثـم وضعت الخطط لإلحاق جميع أراضي القفقاز ، وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية عـام ١٨١١م خسر فيها العثمانيين جميع القلاع والأراضي التابعة لها فـي غـرب القفقـاز ، وتمكنت روسيا خلال الفترة من ١٨٠٠: ١٨٢٩م من استئصال النفوذ الإيرانـي والنفـوذ العثماني في القفقاس ، وصرف الروس جهدهم في إخضاع السكان ، واستطاعت روسـيا سحق مقاومة أمراء وزعماء كرجستان وقبائل الصحراء، ولكنها لم تسـتطع أن تخضـع لسلطتها قبائل القفقاس الجبلية ، إذ استمرت مقاومة المقاومة الجبلية لفترات طويلة حتـى عام ١٨٧٤م . وسطرت فيها ملاحم بطولية في أبخازيا والشيشـان وداغسـتان ، وطـال صمودهم لأكثر من أربعين سنة ، شنتوا فيها شمل القوات الروسية التـي كـانت تشـن حملاتها دون انقطاع بقيادة أبرز القادة الروس" يرملوف" قائد قواتهم في القفقاس ، الـذي استعمل وسائل الدس والفتنة والوقيعة بين القبائل .

ظهر الانجذاب الروسي نحو آسيا قويا في القرن التاسع عشر للوصول إلى الميـاه الدفيئة ، والسيطرة على المدينة الإغريقية القديمة ، لاعتقادهم أنهم أصحـاب حـق فيـها باعتبارهم ورثة الامبراطورية البيزنطية ، وبناء على ذلك نظروا إلى العثمانيين على أنـهم الدولة التى تحول بين روسيا والشمس ، وأن أصدقاء الأتراك أعداء لهم ، وأعداء الأتـراك أصدقاء لهم . وكان هذا ما أدركته كاترينا على الرغم من كونها ألمانية الأصل وفرنسـية التربية

الباب السابع

المقاومة الإسلامية في العهد القيصري

- الإمام منصور الشيشاني.
- الخليفة العثماني يستنجد بالإمام منصور.
- خط القوزاق العظيم ـ ألكسندر ويرمولوف.
- حرب القفقاز الأولى ـ الإمام غازي محمد.
- الإمام الأسطورة محمد شامل الداغستاني ١٧٩٥: ١٨٧١ م ـ من المشيخة إلى الإمارة.
- جنود شامل يقاتلون الروس وهم يرتلون القرآن الكريم.

نتائج حرب القفقاز الأولى.

الباب السابع

المقاومة الإسلامية ضد الروس في العهد القيصري

الإمام منصور الشيشاني :

كانت استعادة القسطنطينية عاصمة النصرانية الأرثوذكسية من أيدى المسلمين ، أحد الأهداف الرئيسية للقيصرة كاترينة الثانية ، لذلك كان الغزو المنظم لمنطقة القوقاز في نهاية القرن الثامن عشر . قامت كاترين قيصرة روسيا بطرد الأتراك من جورجيا وأبخازيا وشبه جزيرة القرم ، ثم أرسلت قواتها لاحتلال بلاد الشيشان والأنجوش والقبرطاى ، ولكن قواتها التي وصلت إلى بلاد الشيشان عام ١٧٨٥م منيت بهزائم ساحقة على يد قوات الإمام منصور الشيشاني ، الذي ما إن سمع بوصول القوات القيصرية الروسية لشمال القوقاز ، حتى خرج من قريته في بلاد الشيشان ، يدعو إلى الجهاد المقدس ضد الغزاة الروس.

كان الشيخ منصور الشيشاني ، قد درس القرآن والعلوم الدينية في الداغستان ، ثم عاد إلى بلاد الشيشان يدعو إلى التمسك بالشريعة الإسلامية ، مناديا بأن فيها فلاح المسلم في الدنيا والآخرة ، وكانت معرفة الشيخ بقراءة القرآن ، وإلمامه بالشريعة الإسلامية من خلال العلوم الدينية التي تلقاها ، وراء مكانته في القوقاز ، خاصة أن هذه المعرفة قد صاحبها أخلاق نبيلة مثل التواضع والصدق والأمانة في التعامل وبساطة العيش .

لقيت دعوة الجهاد التى أطلقها الإمام منصور الشيشاني ، للقتال ضد الروس تجاوبا كبيرا من شعوب شمال القوقاز ، فانضمت إليه شعوب الداغستان والشراكسة والنوغاى التترية الأصل . استطاع الإمام بقواته هذه إلحاق هزائم عدة بالقوات الروسية القيصرية ، طوال ست سنوات من عام ١٧٨٥: ١٧٩١م. ولم يمكنها من احتلال أى منطقة في شمال القوقاز .

الخليفة العثماني يستنجد بالإمام منصور :

وفي عام ١٧٩١م كانت الجيوش القيصرية تحاصر الأتراك في ميناء أنابا على البحر الأسود ، فأرسل الخليفة العثماني ، إلى الإمام منصور يطلب منه نجدة الأتراك المحاصرين في أنابا ، فتقدم الشيخ منصور بقواته ، وهاجم القوات الروسية من الخلف واستطاع فك الحصار عن أنابا ، مما سمح للخليفة بإرسال قوة عسكرية قوامها ثلاثون ألفا دعمت الصمود التركي أمام القوات القيصرية .

أساء القائد التركي معاملة الإمام منصور ورجاله ، لغيرته الشديدة من الشعبية الجارفة التي كان الإمام يتمتع بها بين شعوب القوقاز بما فيهم الشراكسة الذين كانت تركيا تعتبرهم من رعاياها . أرسل الإمام منصور ، رسالة احتجاج إلى السلطان العثماني ، فأرسل إليه رسالة اعتذار ، وطلب منه العودة لأنابا التي عاد الروس لمهاجمتها بعد أن حشدوا جيشا كبيرا لفتحها . وعاد الشيخ منصور على رأس قواته لمحاربة الروس ، ولكن القائد التركي ارتكب جريمة الخيانة العظمى ، وخرج سرا من القلعة التى تحصن فيها مع أتباعه وحاشيته حاملا معه الذهب والأموال الوفيرة ، وانضم للقوات الروسية ، وكان لهذه الخيانة أثر كبير على المدافعين الأتراك رغم محاولات الإمام منصور لرفع الروح المعنوية والقتالية .

اندفع الروس إلى داخل القلعة بعد أن استسلم القائد التركي لهم وفتح أبواب القلعة، وبقي الإمام يقاوم مع رجاله ، إلى أن وقع في الأسر بعد أن سقط جريحا وسقط منه سيفه، ونقل مقيدا بالسلاسل إلي بلاط كاترين في سان بطرسبرج عاصمة القياصرة حيث طلبت القيصرة مشاهدته أسيرا، وهو الذي ألحق بجيوشها الهزائم المنكرة في شمال القوقاز، وبعد أن نظرت كاترين إلى الإمام منصور مكبلا بالسلاسل الحديدية ، أمرت بسجنه في جزيرة نائية حيث تم قتله عام ١٧٩٤م. بعد أن هاجم حراسه ، وطعن أحدهم بخنجر خطفه من بعضهم.

خط القوزاق العظيم:

أقامت القيصرة الروسية كاترين ، القلاع والمستوطنات على امتداد نهر تيرك ونهر كولان ، ولم يتم لها احتلال القوقاز الشمالي إلا بعد بناء هذا الخط الذي أطلق عليه اسم خط القوزاق العظيم ، والذي امتد من بحر قزوين شرقا إلى البحر الأسود غربا .

وبعد وفاة كاترين تسلم حكم روسيا القيصرية ابنها بول الذي أمر بسحب الجيوش الروسية من شبه جزيرة القرم ومن أذربيجان وداغستان الشرقية ، ولذلك لم يعمر طويلا، فقد قتل خنقا بعد مؤامرة ضده ، لأنه كان ينوي التحالف مع نابليون امبراطور فرنسا ضد انجلترا لكي يقوما الاثنان بغزو الهند وانتزاعها من الانجليز ، ثم غزو تركيا العثمانية واستعادة القسطنطينية التي وعد نابليون أن يقدمها هدية للقيصر بول .

جاء بعد القيصر بول ابنه الكسندر الأول ، وكان مثل جدته يحلم باستعادة القدس من المسلمين ، وإحياء الأرثوذكسية في القسطنطينية ، ولكن بدون التحالف مع نابليون الذي قام بمهاجمة روسيا ، فانشغلت روسيا في عهده بالحرب مع نابليون ، وتركت القوقاز الشمالي والجنوبي خارج سيطرتها ، ولكن بعد انتصارها عليه ، أصبحت أقوى دولة في أوروبا ، لذلك طمع القيصر في غزو الهند ثم استرجاع القسطنطينية والقدس من المسلمين .

الكسندر الأول ويرملوف :

شرع الكسندر الأول بتحقيق هذه الأطماع عام ١٨١٨م. وقام بتعيين " يرملوف " قائدا عاما على القوات الروسية في القوقاز ، وكانت أول أعماله بناء مدينة " غروزني " عاصمة الشيشان الحالية على أنقاض بلدة سونجا غالا الشيشانية ، وأطلق عليها هذا الاسم، ويعني المهدد أو المرعب ، و الذي كان لقبا للقيصر الروسي إيفان الرهيب أو المرعب، وهو أحد القياصرة الأوائل الذين أرسوا دعائم روسيا القيصرية في سنواتها الأولى، وسونجا هو اسم النهر الذي يخترق بلاد الشيشان في مدينة غروزني ، وغالا بالشيشانية تعني القلعة أو الحصن .

وبعد بناء غروزني بدأ يرمولوف في اخضاع الشيشان لأنهم كانوا ألد أعداء روسيا القيصرية في شمال القوقاز منذ أيام كاترين الثانية ، واستخدم القادة الروس سياسة الأرض المحروقة ، فدكوا القرى والبلاد الشيشانية ، وسيطروا على الأجزاء السهلية منها، وهرب الشيشانيون إلى الجبال التي تشكل القسم الأكبر من البلاد ، وشنوا من هناك حروب عصابات ، أطلق عليها الروس اسم حرب الخارجين على القانون .

وأنهكت الحرب يرمولوف ، ولم يستطع إخضاع المنطقة ، وتكبدت قواته الخسائر الفادحة ، بعد أن استمرت المقاومة من الجبال ، ولم يستطع إيقافها ، فعزله القيصر نيقولا الثاني عام ١٨٢٧م.

فيما بين عامي ١٨٢٦و ١٨٢٩م. تمكنت جيوش القياصرة من السيطرة على المناطق السهلية ، وتم طرد الإيرانيين والأتراك من أذربيجان وجورجيا وأرمينيا وشبه جزيرة القرم ، بل لاحقت الإيرانيين إلى تبريز ، والأتراك إلى الأناضول ، واستعدت روسيا لغزو الهند بعد نزهة عسكرية في بلاد الشيشان استغرقت ثلاثين سنة متواصلة من الحرب الضروس، فقد الروس خلالها أكثر من نصف مليون جندي وضابط وجنرال. هذه الحرب الضروس سميت بحرب القوقاز الأولى، كان خصم روسيا القيصرية فيها هو الحركة الإسلامية التي نشأت في قرية غمري بإقليم أفاريا بالداغستان، والتي أسسها الإمام غازي محمد الداغستاني عام ١٩٢٨م.

حرب القوقاز الأولى :

عندما تراجع الفرس والعثمانيون أمام تقدم الروس ، اعتمد المسلمون في القوقاز على أنفسهم ، واستلهموا عقيدتهم الإسلامية ورغبتهم في الجهاد ، واندفعوا للموت في سبيل الله ، فقوى أمرهم ، وشكلوا حكومة في بلاد الداغستان كان على رأسها العلماء الذين استنهضوا همم المسلمين . بعد أن أعلنوا التزامهم بأحكام الشريعة الإسلامية، وبأن

المعاملات بين الناس ستكون على أساس منها ، وليس على أساس العادات والأعراف القديمة المعمول بها من قبل .

الإمام غازي محمد :

تصدت الحركة الإسلامية للقوات الروسية ، وأعلن الإمام غازي الداغستاني الجهاد المقدس ، بعد أن دعا القفقاسيين لنبذ الخلافات ،وانطلق بدعوته من داغستان والقبائل المجاورة ، حتى انتشر خبره بين القبائل المجاوره ، فالتفت حوله وهو يدعو للجهاد ، وكان نائبه ومساعده الشيخ شامل المعروف بشجاعته وجلادته وصلابته .

استمر الإمام غازي، يصطدم بالقوات الروسية ، يلحق بها الهزائم تلو الهزائم، إلى أن تمكنت قبيلة من قبائل الأنجوش المشايعة للروس من فتح طريقا أمام القوات الروسية، وانتهى الأمر بمحاصرة الإمام غازى ومن معه، واستمر الحصار أياما والمدافع الروسية تدك مواقعه حتى أتت عليها جميعا ولم يبق معه في اليوم الأخير إلا ستون مجاهدا، دارت بينهم وبين القوات الروسية معركة شرسة من بيت لبيت ، وفي النهاية تمكن الروس من القضاء عليهم عدا اثنين أحدهما الشيخ شامل الذي استطاع الإفلات بعد أن أصيب بجرح بالغ، اما الإمام محمدغازي فقد استشد في المعركة وسيفه بيده .

وحمل راية الجهاد من بعده حمزه بك ، وبينما هو يصلي في قرية خمزاخ اغتاله أحد الخونة بعد أن قاد حركة الجهاد قرابة السنتين . وجاء بعده الشاب الجبلي الشيخ محمد شامل ليتحمل أعباء الجهاد ضد الروس .

الإمام الأسطورة محمد شامل الداغستاني :(١٧٩٥:١٨٧١م.)

ولد الشيخ محمد شامل ، في إحدى قرى داغستان ، وينتمي إلى قبائل لزكي الداغستانية الذين يتكلمون ويكتبون العربية ، نشأ في قرية أوار من بلاد الكرج بالقفقاس ، ودرس النحو والشريعة الإسلامية والخطابة واللغة العربية ، وبرزت أهميته في الحركة الإسلامية بعد الاشتباك مع الروس ، بقيادة الإمام محمد غازي ، في حرب مقدسة ، وانتخب إماما وقائدا وسرعان ما وحد القوى المجاهدة ، وقادها في حملة ضد الروس في الشيشان والقوقاز .

من المشيخة إلى إمارة الجهاد الإسلامي :

يقول عنه الأمير شكيب أرسلان : أنه كان على نمط المجاهد عبد القادر الجزائري، كلاهما خرج من المشيخة إلى قيادة الجيوش وإمارة الجهاد . وكما يذكر برنارد لويس أن الإمام شاملا بطل المقاومة القفقاسية هو ثالث ثلاثة ، برزوا في عصر واحد، تجمع بينهم كثير من الملامح المشتركة ، فكلهم قادوا حركة شعبية ضد المشركين، وثلاثتهم كانوا زعماء دينيين و هم أحمدبريلوي في الهند ، وشامل في داغستان ، وعبد

القادر في الجزائر ، ولقد غلبوا على أمرهم للفرق الهائل بين قوتهم الصغيرة وقوة أعدائهم الضخمة.

دعا الشيخ محمد شامل، جميع رؤساء القبائل، وكبار القضاة إلى اجتماع في منطقة وسط جبال القوقاز، عام ١٨٣٤م. وتباحثوا في الأمر، وكان دور الشيخ شامل أكثر أهمية، إذ كانت القبائل حتى ذلك الحين تعيش كل قبيلة منفصلة عن الأخرى، ولا تربط بينها سوى وحدة الدين الإسلامي، فبادر بوضع القوانين والقواعد اللازمة للارتقاء بالمقاومة الاسلامية ضد الروس، وحول القبائل إلى شعب واحد ، ثم قسم مناطق نفوذه إلى أقسام عدة ، بلغت في أوج قوته إلى خمسة وعشرين قسما ، ثم وضع لكل قسم نائبا لحكومته يأخذ على عاتقه الأمور الشرعية والعرفية والعسكرية ، وجباية الضرائب وتنفيذ القوانين ، وأنشأ ديوانا أعلى للقضاء كان مقره في الشيشان ، مهمته تنفيذ القوانين الشرعية ، وأنشأ المصانع لإنتاج الأسلحة والذخائر .

وضع الشيخ شامل تنظيما لحكم البلاد تحت رئاسته ، والتفت شعوب القوقاز كلها حوله بعد أن نجح في ترسيخ أحكام الإسلام في نفوس المسلمين ، وتربيتهم التربية الروحية الجهادية في سبيل الله .

لذلك انطلق المجاهدون في حروبهم ضد الروس من خلال فهمهم لعقيدة الجهاد في سبيل الله الذي يعتبر ذروة سنام الإسلام .

الجنود يرتلون القرآن الكريم وهم يقاتلون الروس :

كان المقاتلون يتجهون إلى المعارك مع الروس وهم يرتلون القرآن الكريم ، وينشدون الأناشيد الدينية ، تقول الكاتبة الأمريكية لزلى بلانش في كتابها "سيوف الجنة" : (حرب المجاهدين هي حقبة الشريعة الإسلامية التي قام بإحيائها "شامل"وفرضها في شمال القوقاز واستخدمها كمصدر ضد الغزو الروسي ، إنها حرب شارك فيها جنود " شامل " من أجل الله ، وساروا لقتال الروس وهم يرتلون القرآن الكريم وأناشيدهم الدينية ، وكانت سيوفهم بالنسبة لهم مفاتيح الجنة).

وضع الإمام شامل خطة هجومية لمحاربة الروس ، كبدت الروس خسائر فادحة، استمرت أكثر من ثلاثين عاما ، فتح فيها الحصون وغنم عتادهم ومؤنهم وذخائرهم ، وأخذ العديد منهم أسرى ، وقرر الروس إخضاعه خاصة بعد انتشرت أخباره إلى أرجاء أوروبا وأصبحت بطولاته رمزا ، ونظم فيها الشعراء القصائد ، ونجح الإمام شامل في إجلاء الروس من معظم بلاد القوقاز وأنزل بالروس هزائم ساحقة، مما أثار الروس فدفعوا بقواتهم وحشدوا له جيشا قوامه ثلاثمائة ألف جندي ، وبدأوا بالهجوم عليه ، واستمر الهجوم من جميع الجهات طويلا الأمر الذى أدى إلى استنزاف قوات الشيخ شامل تدريجيا إلى أن سقط أسيرا عام ١٨٥٩م.، وعند ذلك أعاد الروس سلطة الأمراء العملاء

كي يتمكنوا من التغلب على العلماء الذين كانوا أساس المقاومة، وسرعان ما خلعوا الأمراء ونصبوا أنفسهم ، وأضاع الحكام الخونة ثمرة جهاد الإمام شامل ، بعد أن نال الإعجاب والتقدير من ألد أعدائه .

قال أحد القادة الروس الذين قاتلوا هذا الإمام المجاهد وأسروه :" **لولا وقوف هذا الشعب المقاتل في طريقنا ، لكنا وصلنا إلى النيل غربا ، وبحر اليابان شرقا بفضل القوات التي خصصناها للحروب القوقازية** " وكتب كارل ماركس عن بسالة الشيخ شامل، قائلا: " **أيتها الأمم اعتبري بما يمكنه أن يفعله الرجال في الحالات التي ترغب أن تبقى فيه حرة** ".

في مقالة نشرت عام ١٨٥١م يصف شاعر القفقاس الروسي لرومنتوف ، الذي شارك القوات الروسية في حروبها للقوقازيين ، ومكث في بلاد القوقاز أربع سنوات ، فيقول :" **القوقازي جسور كالجبل ، وجنتلمان كالإنجليزي ، ومعصوم كالولد** " .. ويقول في موضع آخر : " الروس يبررون فشلهم في حروب القوقاز بقولهم بأن أمامهم ثلاثة أعداء يصعب التغلب عليها : **المناخ ، والجبل ، والقوقازي** " .. ويستطرد في القول عن دفاعات الروس : " **أما عن وضعية القلاع المقامة على حدود البلاد فهي يائسة جدا ، ويحاصر القوقازيين هذه القلاع ، من كل جانب فلايوجد نجم واحد أو كومة حشيش أو التواء أرض إلا وتخفي قوقازيا باركا أو نائما ، وبندقيته على خده وإصبعه على الزند متهيئا لإرسال رصاصة إلى بعيد لا تخطئ أبدا أهدافها.**"

ويجسد لرومنتوف ، حب القوقازيين للجهاد المقدس ضد الروس ، وذلك في قصيدة، صاغها على صورة حوار بين نهر الترك الذي يصب في بحر الخزر وبحر الخزر فيقول : " افتح صدرك الرحب لأمواجي ! وها هي العطايا التي جلبتها لك .. اقتطعتها وأنا مار من ممر داريال فهي مليئة بالغرانيت لتسلي بها أولادك .. ولكن البحر يظل هادئا ، فليست هذه الهدايا التي ينتظرها البحر ، لذا فيردد له النهر ويقول : خذ هدية أخرى لعلها تعجبك أكثر .. هذه هي جثة شاب شيشاني من شباب كاباردينا الأبطال ، مات وهو يحارب الروس .. إن أسلحته غنية وذات قيمة عظيمة ، وطرزت على أطراف سترته آيات من القرآن .. أنظر إليه آثار البغض تلمع إلى الآن في عينيه .. (البحر لا يجاوبه) وهو بانتظار العطية التي يريدها ..عندئذ يقول له الترك : "ستكون مسرورا في هذه المرة ..هذه جثة امرأة قوزاق ..كم هي جميلة ..أنظر كيف يغطي شعرها الذهبي كتفها أنظر هذه الفتحة الصغيرة في صدرها والدم الأحمر يخرج منها حتى الآن .. إن القوزاق الذي كان يحبها لم يعد يبكيها فقد ركب حصانه وذهب مسرعا يرمي بنفسه مابين الشيشان محاربا للروس ."

وكتب كوبيفر رئيس البعثة العلمية التي كانت ترافق الجنرال عمانويل في غزوه لبلاد القفقاس تقريرا جاء فيه : " **لقد استولى الرعب علينا ، وتأكدنا من الخطر الذي سيهدد روسيا الجنوبية فيما لو اتحدت شعوب القوقاز يوما تحت قيادة واحدة** ".

لقد قاوم الشيخ شامل الطغيان والاستعمار الروسي في القوقاز من عام ١٨٣٤:١٨٥٩م. وأبدت شعوب القوقاز صلابة ورباطة جأش منقطعة النظير في التاريخ الحديث ، لذلك يعد جهاد المسلمين في القوقاز بعد اتحاد قادتهم ، ضد سيطرة النظام القيصري الدخيل من أعظم المفاخر التى سطرها تاريخ المسلمين ،لما لاقاه الروس من صعوبات لفرض سيطرتهم عليها ، وحين جعل الروس ضباطهم مستشارين عند الأمراء القوقازيين بعد فرض سيطرتهم واستسلام الأمراء مرغمين للسيادة القيصرية ثار الشعب القوقازي ضد أمرائه والروس معا ، وعندئذ تولى كبار العلماء زمام الأمور ، وتبنت الحركة الإسلامية شعار التحرر من ربقة السيطرة الروسية من جهة وشعار الاصلاح الاجتماعي والعودة إلى الأصول الإسلامية السليمة واستبعاد ما علق بها من الأدران الجاهلية الدخلية .

نتائج حرب القوقاز الأولى :

كانت حرب القوقاز الأولى أطول حرب استعمارية خاضتها روسيا القيصرية ، بسبب المقاومة العنيدة والباسلة التى أظهرتها شعوب شمال القوقاز الإسلامية ضد الغزو الروسي القيصري .

كانت الحروب القوقازية مع الروس سببا من الأسباب الرئيسية في إضعاف الجيش الروسي ، وهذا ما يؤكده المؤرخ الروسي فادييف إذ يقول : " لولا الحروب القوقازية التي عاقت تقدم روسيا لاستطاعت الجيوش الروسية أن تحتل الشرق بأجمعه من مصر إلي اليابان وهي تسير علي نغمات فرقها الموسيقية ".

بعد سقوط الإمام شامل ، بدأ الروس سياسة الطرد والإبادة لشعوب القوقاز ، مما أدى إلى انخفاض سكان شمال القوقاز إلى ١،٦ مليون نسمة عام ١٨٩٧م بعد أن كانوا ٣،٢ مليون نسمة عام ١٨٦٠م. نتيجة الإجراءات الوحشية وسياسات الترويس وعمليات التهجير إلى سيبيريا التى قام بها الروس ، كما أنه كان لنجاح روسيا القيصرية في إحكام سيطرتها على شمال القوقاز، العامل الهام الذي ساعد على احتلال الدول الإسلامية في آسيا الوسطى ، ففي الفترة ما بين ١٨٨١ :١٨٩٤. تم احتلال كازاكستان وأوزبكستان وقيرغيزيا وتركمانستان ، وهكذا في نهاية القرن التاسع عشر اتسعت مساحة الامبراطورية الروسية ، وصارت ٢٢ مليون نسمة ، وتضم تحت حكمها ثمانين شعبا في آسيا وأوروبا .

الباب الثامن

واقع المسلمين في الامبراطورية الروسية في العهد القيصري

- نهاية حكم القياصرة .
- المسلمون تحت حكم البلاشفة الشيوعيين .
- الثورة البلشفية ونداء لينين .
- ثورات شعوب القوقاز على الحكم الشيوعي .
- الاضطهاد الشيوعي للمسلمين .
- مذبحة القرم .

واقع المسلمين في الإمبراطورية الروسية في العهد القيصري

في الوقت الذي أظهر فيه الحكام المسلمون من التتار والعثمانيين تسامحا مع المسيحيين في المناطق التي حكموها ، ولم يأذنوا لأنفسهم باضطهادهم ، واقتصروا على تلقى الجزية منهم دون أن يرغموهم على اعتناق الإسلام . قام الصقالبة الأرثوذكس بالانتقام من المسلمين عامة تتار وعثمانيين ، واعتبروا المسلمين جميعا في كافة أرجاء الأرض أعداء لروسيا وتسببوا في تقويض بيزنطة الامبراطورية الرومانية المقدسة . اضطهد ايفان الرابع [1] المسلمين وحرق مساجدهم وصادر أموالهم وهاجر الكثيرون إلى تركيا خوفا من اجبارهم على اعتناق المسيحية ، واستمر الاضطهاد الوحشي حتى حكم كاترين الثانية، وما بعدها إذ سار على الدرب القيصر بطرس الملقب بالعظيم ١٠٩٢-١١٣٨هـ/١٦٨٢-١٧٢٥م فكانت سياسته كسلفه فى فرض التنصير على المسلمين بالقوة أو الفرار من أراضيهم وأوطانهم.

وتسير الامبراطوية منه ١١٥١-١١٦٩هـ/١٧٣٨-١٧٥٥م على نهج ايفان الرهيب وتفرض التنصير فى المجرى الأوسط لنهر الفولجا وتصادر الأوقاف وتغلق المساجد وتصادر أراضى المسلمين ، وتصدر أمرا بإعفاء المرتدين عن الإسلام إلى النصرانية من الضرائب ومن الخدمة العسكرية ومعاملتهم معاملة حسنة ليحذى بقية المسلمين حذوهم ، وبالمقابل إزداد الضغط على المسلمين وأثقلوا بالضرائب الفادحة وأجبروا على الخدمة فى أخس الوظائف ومنعوا من ممارسة شعائرهم الدينية وأقفلت جميع مدارسهم ومساجدهم وصودرت أوقافهم الدينية وأختطف منهم أبناؤهم الصغار وأدخلوا المدارس التبشيرية حتى ينشأوا على النصرانية الأرثوذكسية أما المسلم الذى كان يدعو إلى الإسلام حتى بين إخوته المسلمين فكان يحكم عليه بالإعدام .

أصدر القياصرة أمرا بتحريم اعتناق أى دين يخالف الكنيسة الأرثوذكسية ، وعاملوا المسلمين كأرقاء ، وفتحوا مجال التبشير الأرثوذكسي في قراهم ومدنهم ،

---

(١) أطلق عليه المسلمون لقب الرهيب لحرب الإبادة الشاملة التى شنها ضدهم فقد فرض عليهم أن يتنصروا أو يتركوا أوطانهم ويهاجروا مثلما تفعل إسرائيل اليوم بمسلمي فلسطين وكما فعل الأسبان النصارى بمسلمى الأندلس من قبل فيما أسموه بحروب الاسترداد، وكما فعل مع التتار والبشكير المسلمين وقد تحول كثير منهم إلى النصرانية مكرهين خوفا على أرواحهم محافظين على إسلامهم سرا مدى ثلاثة قرون ، وتستمر سياسة إيفان فى عهد خلفائه وخاصة من أسرة رومانوف التى امتد حكمها من ١٠٢٢هـ/١٦١٣م حتى ١٣٣٦هـ/١٩١٧م وتستمر هذه السياسة فى العهد البلشفى للقياصرة الحمر إبتداء من لينين ومرورا بستالين إلى يومنا هذا.

ووضعوا الخطط للقضاء على أكبر دولة للمسلمين وهي الدولة العثمانية . كان الروس يريدون نشر النصرانية بين السكان المسلمين . قامت كاترين الثانية بالعمل على تنصير المسلمين بكافة الحيل والوسائل ، وتعرض الكثيرون من المسلمين في عهدها للاضطهاد والعقاب ، وقامت بحيلة مضللة قيدت المسلمين الذين أجبرتهم على الهجرة إلى فيافي سيبيريا وغاباتها في السجلات ، على أنهم مسيحيين واعتبرت من بقى منهم على الإسلام بعد ذلك مرتدين توقع عليهم العقوبات الصارمة ، وزعمت أن الوثائق الروسية تقول أنهم في الأصل كانوا وثنيين ثم تنصروا ثم ارتدوا عن المسيحية !! كان الروس يريدونهم مسيحيين فإذ بهم يعتنقوا الإسلام !!، مما زاد من حقد الروس عليهم، لذلك بدأوا بعزلهم .

فى عهد كاترين ١١٧٦-١٢١١هـ/١٧٦٢-١٧٩٦م تمت أضخم التوسعات على حساب أراضى المسلمين إذ صادرت الألاف من أخصب الأراضى الإسلامية وأعطتها لعشاقها المفضلين.

ويأتى بعد كاترين قياصرة يلجأون إلى الضغط على المسلمين فنجد نيقولا الأول ١٢٨٢هـ /١٨٦٥م لا يسمح ببناء المساجد ويصادر أراضى المسلمين ويطردهم منها .

أما فى عهد نيقولا الثانى فيعتمد فى تكوين جيشه على الجنود المسلمين عند قيام الحرب العالمية الأولىفكان فى صفوف جيشه مليون ونصف مليون من الجنود المسلمين الذين أجبروا على قتال الألمان والأتراك في حرب كان هدفها إزالة تركيا مركز الخلافة الإسلامية من الوجود والاستيلاء على اسلامبول (القسطنطينية) وتحويلها مرة أخرى إلى عاصمة للمسيحية الأرثوذكسية وإعادة الصليب إلى كنيسة آيا صوفيا !! كى يتردد فى جنباتها صوت النواقيس بدلا من نداء الله أكبر !!

بعد سقوط قازان عاصمة امارة التتار عام ١٥٥٢م وبعد أن تفككت امبراطورية المغول من قبل ، ومن بينها أراضيهم في روسيا في الثلاثينات من القرن الخامس عشر ١٤٣٠م وما بعدها ، خلفت وراءها امارات تتارية استقل بها حكامها في القرم واستراخان وقازان ، سرعان ما سقطت في أيدى الروس ، الذين عملوا على محو الآثار الإسلامية منها .

في عام ١٧٨٣م ضم الروس امارة القرم ، ومنذ هذا التاريخ بدأت صور الغضب الروسي تظهر بأبشع صورها ، فقاموا بتهجير السكان الأتراك إلى انحاء روسيا وسيبيريا وبلاد التركستان في آسيا الوسطى ،وإلى المدن الروسية ، وحلت محلهم أفواج من الروس والأوكرانيين والأوربيين . . وصنع الحكام الروس مثل هذا في قازان واستراخان في حوض الفولجا والقوقاز وآسيا الوسطى !! واستمرت حروب الروس ضد المسلمين للاستيلاء على أرض التتار وتحويلهم إلى سلافيين ، وقاموا بتهجير السلاف إلى مناطق المسلمين بحجة ازدحام السكان في روسيا وحول موسكو ، ولتدعيم الوحدة الوطنية !!

كان هدف الحكومات الروسية ، أن يتمكن الشعب السلافي من امتصاص المسلمين وتضييع شخصيتهم الإسلامية ، ولكن هذا التعسف والاضطهاد لم ينس هؤلاء القوم ديانتهم الإسلامية ، وظلوا محتفظين بدينهم ونمطهم الإسلامي ، بل وحدث العكس وتمكنت الجماعات التتارية من نشر الإسلام بين معتنقي الديانات المسيحية ، ولم ينس المسلمون لغتهم التركية ، ولاعقيدتهم الإسلامية .

نهاية حكم القياصرة :

أخذت التناقضات الخارجية بين مصالح الإمبراطورية الروسية والإمبراطوريات الأخرى تنمو على شكل مطرد ، ففي الشرق الأقصى ثمة مطامع غربية وأخرى يابانية تتناقض مع مصالحها ، وفي الشرق الأدنى والأوسط كانت مطامع القياصرة الروس في ميراث دولة الخلافة الإسلامية الدولة العثمانية تصطدم مع مطامع الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية اللتين كانتا تتطلعان إلى الاستيلاء على هذا الميراث ، وفي الغرب كانت قوة ألمانيا في تعاظم خاصة بعد توحيدها ، هذا بالإضافة إلى التناقض المزمن مع امبراطورية النمسا والمجر للسيطرة على الدول السلافية في البلقان وشرق أوروبا .

كانت الهزيمة من نصيب روسيا في كل تحد واجهت به أيا من هذه التناقضات، ففي حرب القرم ١٨٥٦م تدخلت بريطانيا وفرنسا إلى جانب تركيا الأمر الذي أوقع بالروس هزيمة قاسية ، كذلك في الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤م حيث طردت روسيا من كوريا ومنشوريا وفقدت ميناء بورث آرثر وهو الميناء الدافيء الوحيد للأسطول الروسي في المحيط الهادي وكانت روسيا قد حصلت من الصين على امتياز استخدام دون باقي الدول الأخري .

ولم تكن التناقضات الداخلية أقل أثرا في تفسخ الامبراطورية الروسية من الهزائم الخارجية ، فنظام الحكم الاستبدادي والعلاقات الاجتماعية المتخلفة أديا بدورهما إلى تخلف الدولة حضاريا عن ركب التقدم الذي أحرزته الدول الكبرى الأخرى ، كما أديا إلى اختمار الثورة بين الجماهير الشعبية المتطلعة إلى أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية أفضل ، وجاءت الظروف المناسبة في الحرب العالمية الأولى والحزب الشيوعي البلشفي وزعيمه لينين .

ووقع نيقولا الثاني في ١٢مارس عام ١٩١٧ م صك انتحاره السياسي ، لتقوم امبراطورية لينين وخلفائه على أنقاض نيقولا الثاني وامبراطورية القياصرة .

وكانت ثورة أكتوبر نهاية لحكم القياصرة وبداية لحكم البلاشفة ، بعد أن دخل لينين وثلاثون من رفاقه داخل عربة قطار مغلقة قادما من ألمانيا ليضع خطة للانتفاضة المسلحة لإسقاط الحكم القيصري وإبعاد نيقولا الثاني وعائلته إلى سيبيريا ليبقى هناك حتى

إعدامه وأفراد عائلته عام ١٩١٨م ، وأعلنت الجمهورية الروسية بعد أن نجح في إشعال ثورة البروليتاريا واحتلت قوات الثورة الكرملين وقاموا بتأمين المشروعات الصناعية الكبرى والبنوك والنقل والتجارة ، وانسحبت روسيا من الحرب بعد أن فقدت في أيام قلائل نحو ٦٠ ألفا من جنودها واندلعت الحرب الأهلية التى استمرت حتى عام ١٩٢٢م وتكرس في نهايتها انتصار البلاشفة .

المسلمون تحت الحكم الشيوعي

الثورة البلشفية ونداء لينين :

حين قامت الثورة الشيوعية في روسيا الاتحادية عام ١٩١٧م أصدر لينين زعيم الثورة نداء إلى شعوب شمال القوقاز المسلمين كى يكسبهم إلى جانبه ضد حكم القياصرة جاء فيه :" يا مسلمي روسيا وتتار الفولجا والقرم ، ويأيها القرغيز والشيشان وقوزاق الجبل ، ويا جميع من دمرت مساجدهم ومزارعهم ، ويا من انتهكت عقائدهم وتقاليدهم على يد قياصرة روسيا وظالميها من الآن فصاعدا ،نعلن أن عاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية حرة ومصونة من الانتهاك ، ابنوا حياتكم القومية بحرية ودون عائق ، إن ذلك من حقكم .. اعلموا حقوقكم كحقوق جميع شعوب روسيا، سنحميها بقوة الثورة ومجالس النواب والجنود والفلاحين "

وعلى إثر هذا النداء تنادت شعوب شمال القوقاز إلى مؤتمر قرروا فيه إعلان قيام جمهورية اتحاد شمال القوقاز المستقلة . اعترفت بهذه الجمهورية ألمانيا وتركيا والنمسا وبلغاريا ، ولكن بعد أن انتصر الشيوعيون عام ١٩٢٢م على القياصرة ، وتسلمهم الحكم رسميا في روسيا الاتحادية ، تنكروا لوعودهم لشعوب شمال القوقاز كما جاء في نداء لينين أثناء الثورة ، وأعادوا غزو واحتلال المناطق الإسلامية التى أعلنت استقلالها. وهكذا ورثت روسيا الشيوعية الدول الإسلامية عن روسيا القيصرية، وأضافت إلى حكمها عام ١٩٤٠ دول البلطيق الثلاث لتوانيا ولاتفيا واستونيا اضافة لمولدافيا.

لقد تضافرت عوامل كثيرة حققت النجاح لثورة لينين أهمها وقوف المسلمين فى صف لينين بعد أن صدقوا وعوده لهم بالاستقلال خاصة بعد ما عانوه فى العهد القيصرى، لذلك وقفوا معه ضد قوات روسيا البيضاء ، وكان لينين ذكيا نجح فى استقطاب المسلمين فى الامبراطوية الروسية إلى صفه ، وعندما اتجه الحلفاء إلى نجدة روسيا القيصرية وحكومة روسيا البيضاء سارع إلى فضح الاتفاقيات السرية التى عقدتها بريطانيا وفرنسا وروسيا لاقتسام أراضى المسلمين وأعلن أن روسيا الثورة لا ترغب فى احتلال القسطنطينية بل ستظل القسطنطينية عاصمة للخلافة الإسلامية وكذلك أعلن أن اتفاق بريطانيا وروسيا لاقتسام إيران اتفاق باطل ولاغ.

مقتطفات من بيان لينين الموجه للمسلمين عام ١٩١٧م:

حديث لينين للمسلمين :

" يامسلمي روسيا .. يامسلمى الشرق .. أيها الرفاق ..أيها الأخـــوة .. إن أحداثـــا عظيمة تحدث الآن في روسيا إن العهد الدموي الذي بدأ بسبب أطماع الاستعماريين فـــي أرضكم قد قارب النهاية ، وتحت ضربات الثـورة الروسـية فـإن النظـام الاسـتعبادي الاستبدادي يتقوض بناوه الآن ..وإن حكم الطغاة والمستبدين ومصاصي الدماء يقترب مـن أيامه الأخيرة الآن وأن عالما جديدا يولد الآن ، عالم العمال والفلاحيـــن والأحـرار ، إن عهد الرأسماليين والامبرياليين يتداعى الآن وأن الأرض بميد من تحت أرجلهم وتشـتعل الثورة من تحت أقدامهم .. وفي خضم هذه الأحداث العظام نلتفت إليكم يا مسلمي روسـيا والشرق الذين استرقكم الاستعمار واستلب أموالكم وأرضكم.. يا مسلمي روســيا ويااتتـار الفولجا ويا أيها القرغيز وسكان سيبيريا والتركستان ، ويا سكان القوقاس الأبطال وقبـائل الشيشان وسكان الجبال الأشداء .. أنتم يامن هدمت مساجدكم وحطمت معـابدكم ومـزق القياصرة الطغاة قرآنكم وحاربوا دينكم وأبادوا ثقافتكم وعاداتكم ولغاتكم ..ثوروا من أجـل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة ..إننا هنا نعلن احترامنـــا لدينكـم ومســاجدكم ، وإن عاداتكم حرة لا يمكن المساس بها ..اعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقـوة الثورة ..لهذا نطلب تأييدكم للثورة ومساندتها لأنها تقوم من أجلكم ومـــن أجـل حريتكـم الدينية والمدنية .. يا مسلمي الشرق يا مسلمي إيران وتركيا وبلاد العرب والهند .. أنتم يـا من تاجر مصاصو الدماء الأوربيين المستعمرون بحياتكم وأوطانكم وحرياتكم لعدة قـرون من الزمان ..أنتم يا من يتآمر هؤلاء اللصوص الذين يتقاسمون أرضكم ويشـعلون نـار الحرب لتكونوا أتونها ثم يستلبون بعد ذلك أرضكم وثرواتكم .. أما نحـن فنعلـن بـأعلى صوت أن الاتفاقيات السرية بين روسيا القيصرية وبين فرنسا وبريطانيـا الاسـتعماريتين والتي بموجبها اقتسموا أراضيكم أيها المسلمون واستلبوا ثرواتكم ونهبوا خيراتكم ، نعلـن أنها باطلة ، ونعلن أن خطط القيصر المخلوع وحكومته التي أزاحها الشـعب للاسـتيلاء على القسطنصينية عاصمة الخلافة الإسلامية باطلة ولاغية .

إن جمهورية روسيا الثورية ومجلس الشعب الأعلى فيها يعلنون أنهم ضد احتـلال أراضي الغير بالقوة ونعلن أن القسطنطينية ينبغي أن تبقى بيد المسلمين .. كما نعلـن أن الاتفاقية السرية بين بريطانيا وروسيا القيصرية لاقتسام إيران بينـهما لاغيـة وباطلـة.. ونعلن أننا سنسحب قواتنا من إيران بمجرد انتهاء العمليات العسكرية .. ونضمن اسـتقلال إيران الكامل ، ونعلن أننا ضد تقسيم تركيا واقتطاع أرمينيا منـها وأن هـذه الاتفاقيـات السرية باطلة ولاغية.

ليس من روسيا أيها المسلمون سيأتي استعبادكم بل من الدول الأوربية المستعمرة.. من هؤلاء اللصوص مصاصي الدماء الذين استعمروا أرضكم واستلبوا ثرواتكم وزجوا بأبنائكم في أتون حرب لا يأتيكم منها إلا الدمار وفي مقابل ذلك كله يقتسمون ما بقي من أرضكم وثرواتكم وكأنكم غنائم الحرب المنتظرة ..

ثوروا ضد هؤلاء الطغاة الكفرة ..ثوروا فإن أي شرارة الآن ستكون حريقا يلتهم بنيان الطغيان والاستعمار والاستبداد ..إن الهنود المسلمين الذين ذاقوا الذل والاستعباد لقرون طويلة يثورون الآن ضد بريطانيا العظمى ، ويرفضون أن يبقوا حول أعناقهم الأغلال التي غلتهم بها بريطانيا لعدة قرون من الزمان .. يامسلمي روسيا ويامسلمي الشرق هلموا إلينا .. إلى طريق الحرية والعدالة لنبني هذا العالم من جديد على أسس الحق والخير والعدل . " **توقيع فلاديمير لينين وجوزيف ستالين** .

وجاءت الوقائع والأحداث تترا لتؤكد أن البيان الذي صاغه اليهود ، ما كان إلا مجموعة من المتناقضات والمغالطات المتعمدة لتحقيق أطماعهم ، إذ قام الروس الحمر بهدم عشرات الآلاف من المساجد والمدارس الدينية وصادروا كل الكتب الدينية وأحرقوها ، وكان القيام بالمشاعر الإسلامية جريمة عقابها القتل ، فمنعت الصلاة وكذلك الصوم والحج . ولو كان قادة الثورة يهمهم أمر المسلمين ، ما تجاهلوا وعد بلفور الذي صدر قبل البيان بعشرين يوما ، وما كان احتلالهم للقوقاز والتركستان بالقوة ، وما سارت الأمور على النحو الذي سارت عليه عكس ما توقع المسلمون !!

قراءة في بيان لينين :

يقول الدكتور **محمد عبد القادر أحمد** الأستاذ بجامعة البحرين: " يتضح من وعد لينين لمسلمي روسيا بالاستقلال التام واحترام دينهم وشريعتهم ، كما يوجه في الإعلان النداءات إلى المسلمين خارج روسيا يحثهم فيها على الثورة على بريطانيا خاصة والحلفاء عامة.الذين استعمروا العالم الإسلامي ، وامتهنوا كرامته ، ونهبوا خيراته وحاربوا دينه وألغوا شريعته.

كما قام لينين بتسليم مصحف الخليفة عثمان بن عفان الذى كان فى حوزة القياصرة إلى ممثلى مسلمى روسيا فى مؤتمر بتروجراد ، وكذلك سلمهم مجموعة كبيرة من الوثائق التاريخية والآثار.

ولما كان المسلمون قد ذاقوا كثيرا من ألوان الظلم في عهد القياصرة فقد انعقدت آمالهم على ما جاء فى بيان لينين خاصة أمانيهم فى إقامة دولة إسلامية ذات استقلال ذاتى فى ظل الحكم الجديد . وتظاهر البلاشفة فى أول الأمر بتعاطفهم مع تلك الأمانى الوطنية

والدينية حتى يوطدوا سلطتهم فى البلاد . حتى إذا ما تم لهم ذلك ظهر الوجـــه الحقيقـــى للحكم الشيوعى المعادى للإسلام.

لقد فرح المسلمون بإعلان لينين واعتقدوا أن العصر الذهبى لهم قد بدأ يصبح حقيقة وبدأوا فى تشكيل مؤسساتهم الوطنية والحكومية المحلية كخطوة نحو تشـــكيل حكومـــات مستقلة كما بدأوا فى ترميم مساجدهم ودرو عبادتهم.

لقد بلغت سياسة لينين الدعائية حدا من النجاح جعل بعض المســلمين يعتقــدون أن ثورة أكتوبر البلشفية جاءت منحة من السماء لإنقاذهم من حكـــم القيــاصرة والاســتعمار الأوربى بل وصلت دعاية لينين إلى درجة الزعم بأن نظامه يقوم علـــى مبــادئ القــرآن الكريم وشريعة الإسلام لذلك وقفوا فى صف سياسته منذ اللحظة الأولى.

لكن فرحة المسلمين لم تدم طويلا فسرعان ما نقدت الحكومة الشيوعية وعودهـــا، فتعرض الزعماء الدينيون للاضطهاد ، وإغلقت المعاهد الدينية ولم يسمح بالتعليم الدينـــى ، وفرضت ضرائب على المساجد التى استمرت فى ممارسة نشاطها.

ولكن لما تبين للقادة السوفيت أن هذه الاجراءات الإدارية غير كافيـــة بـــدأوا فـــى استعمال السلطة والإرهاب فأصدر لينين فى إبريل ١٩١٨ أمرا إلـــى الجيـــش الأحمـــر بالزحف على البلاد الإسلامية دون سابق إنذار وأخذت الدبابات والطائرات تحصد المـــدن حصدا ، وكانت الجيوش الروسية مدربة تدريبا حسنا ومزودة بأحدث الأسلحة بينما كـــان المسلمون أقل عدة وعتادا ، ولم تمتد يد إسلامية واحدة لمســاعدتهم عســكريا فتســاقطت مدنهم وبلادهم فى أيدى الغزاة الروس بعد كفاح مرير وبطولات واستشــهاد ومنــذ هــذا التاريخ بدأ مخطط تفتيت هذه الشعوب المسلمة.

وبمجرد احتلال المناطق الإسلامية بدأ الزعماء الشيوعيون فى روسيا إنشـــاء مـــا يسمى بجمهوريات الحكم الذاتى تدميرا لوحدة المسلمين، وبدأ السوفيت يتـــهمون الشـــعب المسلم صراحة بمعاداة الثورة.

وعندما اندلعت الحرب الأهلية المروعة سنة ١٩٢٢ فى وجه الحكومة الشـــيوعية بدات هذه الحكومة فى الحد من محاربتها للمسلمين ولكن ما إن انتصرت فى هذه الحـــرب حتى انطلقت مرة أخرى بقسوة ووحشية أكثر من ذى قبل ضد الإسلام والمسلمين فكـــان الجيش الأحمر يقبض على المسلمين ويقتلهم قتلا جماعيا ، كمـــا صـــادروا المحـــاصيل والماشية ، وسلب ونهب ، ويحكى (ريمون شارل) أعمال الشدة التـــى باشـــرها الحكـــم السوفيت ضد المسلمين ودينهم فيقول : إنه فى غضون عدة سنوات حولت ألوف المســـاجد إلى مواخير ونواد واسطبلات كما حولت جامعة سمرقند إلـــى نـــاد للملحديـــن ةأغلقـــت المدارس الدينية (أحمد شلبى ١٩٩٠ ، ط ٨ ، ص ٥٩١).

ثم أطلقت يد الشيوعيين القوميين فى مسلمى آسيا الوسطى فأخذ هؤلاء الشيوعيون فى ذبح المسلمين بالجملة ، وإحراق المنازل وقتل المواشي ، ارتكاب المجازر والفظائع ، والجرائم التي لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، وقد قتل فى هذه المجازر ما يزيد على مليون ونصف مليون من رجال الدين ، وما يزيد على أربعة ملايين مسلم من غير رجال الدين، هذا عدا الذين هربوا إلى البلاد المجاورة (أحمد شلبى ١٩٩٠ ص ٥٩١).

لقد اعتنق كثير من مسلمي روسيا الشيوعية مصدقين دعوة الشيوعيين لهم بإمكانية التوفيق بين الشيوعية والإسلام ، وقد دامت هذه الشيوعية الإسلامية حوالى عشرين سنة من ١٩١٨-١٩٣٨ حاول الشيوعيون المسلمون خلالها أن يكيفوا الماركسية اللينينية الروسية مع ثقافة الإسلام لكنهم فشلوا وفى الختام يصفى الشيوعيون معظمهم تصفية جسدية بأمر من ستالين . ولم يستثن الشيوعيون المسلمين المخلصين لهم على بقية إخوانهم من المسلمين والذين وطدوا لهم أركان حكمهم الاستعمارى فى المناطق الإسلامية، فقد كان الهلاك مصير الجميع.

وتستمر سياسة لينين فى عهد ستالين بصورة أشد بطشا واكثر دموية ففى عهده تم إخلاء جزيرة القرم من جميع سكانها المسلمين ونفى شعب بأكملها إلى مجاهل سيبيريا بعد أن قتل منهم مئات الآلاف.

ولم يتم العدول عن سياسة اضطهاد المسلمين إلا أثناء فترة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٢-١٩٣٨) فخلال هذه الفترة عدلت الحكومة السوفيتية عن سياسة الاضطهاد التى كانت تتبعها ضد الإسلام والمسلمين ، وتكمنت الحكومة السوفيتية من استغلال الموقف السياسى الجديد بتطبيع العلاقات ووضعت اتفاقية نتج عنها وضع حد للدعايات المناهضة للدين أو فى جانبها الأكبر على الأقل وبذلك استعاد الإسلام وضعه القانونى وأصبحت أوفا مقرا للإدارة الإسلامية.

لقد شهدت هذه الفترة نوعا من التعايش أسهمت فى إيجاده عدة عوامل لعل أهمها إدراك الزعامة السوفيتية أن الوجه الإسلامى للإتحاد السوفيتى أو ادعاء احترام الإسلام يمكن أن يكون رصيدا له فى علاقاته مع الصحوة الإسلامية التى شهدتها منطقة الشرق الأوسط مما يحول بين هذه الصحوة وبين تأثر مناطقه الإسلامية.

وبعد عام ١٩٥٣ يواصل خرتشوف حملاته النفسية على المسلمين تحت شعار (العودة لتعاليم لينين) فيخفض عدد المساجد وعدد الأئمة ويضيق على المسلمين فى عيشهم وتوظيفهم واحتلال المناصب القيادية.

وتلخص مجلة (ملى تركستان) فى عدد ديسمبر ١٩٥١ ومارس ١٩٥٢ مراحل العدوان الشيوعى البلشفى على المسلمين فى شت مراحل هى :

[١] من سنة ١٩١٨-١٩٢٤ وقتل خلال هذه المدة عدد كبير من التركستان تحت ستار تمكين الحكم الروسي الجديد .

[٢] من سنة ١٩٢٤-١٩٢٨ وكان القتل خلال هذه المرحلة تحت ستار اقامة الجمهوريات السوفيتية حيث تم قتل كل من يعارض هذا الاتجاه .

[٣] من سنة ١٩٢٨-١٩٣٦ وألغى فى هذه المرحلة نظام الاقطاع وأقيمت المزارع الجماعية وقتل فى هذه المرحلة رجال الاقطاع وأعوانهم وألوف من الشخصيات الدينية الإسلامية التى خيف منها أن تدافع عن الملكيات الخاصة وتم فى هذه المرحلة القضاء على استعمال الحروف العربية وحلى محلها الحروف الاتينية .

[٤] من سنة ١٩٣٦-١٩٣٨ وتعد أخطر مرحلة فى تاريخ الابادة إذ قتل فيها من نعتوا من المسلمين بأنهم أعداء الشعب وسقط فى هذه المرحلة ألوف من الأساتذة والطلاب والكتاب والصحفيين السياسيين وكثير من أصحاب المناصب الكبيرة .

[٥] من سنة ١٩٣٨-١٩٤٥ وانتشر خلال هذه المرحلة سلاح الدفاع الداخلى وتعرض للإرهاب والطغيان عدد كبير من الناس بحجة أنهم جواسيس .

[٦] المرحلة التى تلت بعد سنة ١٩٤٥م وكان شعارها (الجبهة التى ترمى إلى القضاء على التاريخ والفكر والأداب التى لا تتناسب مع الفكر الماركسي)[1].

ثورات شعوب القوقاز على الحكم الشيوعي :

ثارت شعوب الشيشان والأنجوش والبلغار عام ١٩٢٩م ضد الحكم الشيوعي ، وتم قصف القرى والمدن الثائرة بالمدفعية الثقيلة وقتل الآلاف من الثائرين وأعدم جميع الزعماء ، وفي عام ١٩٣٧م قام الشيوعيون بحملة قوية ضد الإسلام استهدفت العلماء والمساجد ودور تعليم القرآن ، وتم إعدام كثير من العلماء في شمال القوقاز ، فتقلص عددهم من عشرة آلاف إلى بضع مئات ، كما هدمت المساجد ودور تعليم القرآن وألغيت المحاكم الشرعية وأنشئت بدلا منها لجان التوثيق والمصالحة برئاسة مواطنين شيوعيين من كوادر الحزب الشيوعي .

أدى هذا القمع الديني إلى ثورة عارمة في بلاد الشيشان عام ١٩٣٩م. استمرت لنهاية عام ١٩٤٠م وحشد الشيوعيون قواتهم الضخمة التي انتهت بالقضاء على الثورة وإعدام زعمائها ، وفي فبراير عام ١٩٤٤م قام ستالين بنفي شعوب الشيشان والأنجوش والقبرطاى والبلكار ، وكذلك تتار القرم إلى آسيا الوسطى وسيبيريا حيث أقام معسكرات الاعتقال والعمل القسري ، وكان الشيشان والأنجوش من أكثر الشعوب تمردا. وفي عام

---

(١) أخبار الخليج ـ دراسات ـ ٩/١١/١٩٩١م

١٩٥٤م ثار أربعة آلاف شيشاني في معسكرات الاعتقال بكازاخستان ، وتغلبوا على قوات الحراسة وحرروا السجناء ، فطاردتهم القوات الشيوعية وقتل الكثيرون ونجح الآخرون في الهرب . يقول عنهم الكاتب الروسي المعروف الكسندر سولنجستين الذي أرسله ستالين إلى معسكرات الاعتقال في سيبيريا بسبب كتاباته المناهضة للشيوعية:

" لك أن تكسر ظهورهم ، لكن لا يستطيع أحد أن ينال من روحهم المعنوية ، لقد ظلت نفوسهم نمورا مقيدة بالسلاسل .. إنهم لا يرهبون الموت !! "

وفي عام ١٩٥٧ بعد وفاة ستالين ، تسلم نيكيتا خروتشوف الحكم ، فأصدر عفوا عن الشعوب التي تم نفيها ، فعاد منهم من نجا من معسكرات الاعتقال بسيبيريا وكازاخستان _ وكان ممن عاد الرئيس الراحل جوهر دوداييف ، ورئيس البرلمان السوفييتي السابق رسلان حسبولاتوف ، وكانا طفلين صغيرين على أكتاف والديهما، عندما تم نفي الشعب الشيشاني ، حيث قضى الاثنان ثلاث عشرة سنة من عمرهما في معسكرات الاعتقال بكازاخستان .

الاضطهاد الروسي للمسلمين في الامبراطورية الروسية :

استمر الاضطهاد الوحشي للمسلمين منذ تفككت دولة التتار ، فأجبروا المسلمين على اعتناق المسيحية بعد حرق مساجدهم ومصادرة أملاكهم ، مما دفع الكثيرون إلى الهجرة إلى تركيا وبلاد الشام ، وكان هدف الحكومات الروسية المتعاقبة أن يتمكن الشعب السلافي من امتصاص المسلمين ، فتضييع شخصيتهم الإسلامية ، ولكن هذا التعسف والاضطهاد الروسي لم ينس هؤلاء القوم هويتهم ، فقاموا بنشر الإسلام بين معتنقي المسيحية ، ولم ينس المسلمون لغتهم وعقيدتهم .

قاس خانات آسيا الوسطى من شراسة الهجمة الروسية الوحشية التوسعية بشكل لم يحدث له مثيل في مكان في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر ، فابتلعوا أراضي دولة.خيوه عام ١٨٣٩م وكشروا عن أنيابهم عام ١٨٥٥وعام ١٨٦٤ م وهاجموا قوقاند ، ثم بخارى عام ١٨٦٨م واستعمروا بلاد المسلمين وألحقوها ببلادهم، بعد أن لطخ الروس أيديهم بدماء الأبرياء المسلمين .

حركت الحكومات الروسية نحو ١٦ مليون سلافي إلى جمهوريات آسيا الوسطى ، وفي مقابل هذه الأعداد هجرت المسلمين من بلادهم إلى أنحاء الاتحاد الروسي ، لتكون الغلبة العددية للروس السلاف في الجمهوريات الإسلامية . ومن جراء ذلك تغيرت التركيبة السكانية ، فأصبحت نسبة المسلمين في كازاكستان ٤٠% وفي سائر الجمهوريات ارتفعت نسبة العناصر السلافية على حساب المسلمين. وفعلوا ذلك مع تتار القرم، وفي القوقاز ، وحوض الفولجا.

أرغم الروس شعوب الشيشان والأنجوش والبلكار على الخروج من أوطانهم ، إلـى سيبيريا وجزر سخالين ، ونقلوهم بطريقة وحشية في عربات للحيوانات القـذرة ، دون أن يكون لدى هؤلاء المسلمين ما يدفع عنهم البرد القارس والرياح الثلجية .

هدم الروس المساجد وضيقوا على المسلمين في إقامة شعائرهم الدينية ، واعتـبروا صيام رمضان عادة بربرية قذرة تعطل النمو الاقتصادي ، وحرموا الحج إلـى بيت الله الحرام ، وجعلوا من الأحد عطلة رسمية بدلا من يوم الجمعة .

ولما قامت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ بلغ الاضطهاد أشده على المسلمين ، وعلـى مقدساتهم ، وأصبحوا فريسة للجيش الأحمر ، فألغت السلطات الروسية تعـدد الزوجـات وارتداء الحجاب ، كما ألغيت المحاكم الشرعية والمعاهد الدينيـة ، وأغلقـت المسـاجد ، وأوقفوا أداء الحج والعمرة للمسلمين ، وأبطلوا الصيام والزكاة ، وأوقفوا طبع المصـاحف والكتب الدينية ، وألغوا دخل علماء المسلمين من الأرضي الموقوفة .

حرموا على أبناء المسلمين تعلم القرآن الكريم وقواعد الدين الإسلامي قبـل سـن الثامنة عشرة ، وحرموا على رجال الدين ممارسة نشاطهم الديني ، وحرموا المطبوعـات العربية لعلاقتها بالمصحف الشريف ، وظل هذا الوضع المجحف بالمسلمين حتى الحـرب العالمية الثانية ، ثم خفت وطأة الظلم قليلا فسـمح للمسـلمين بإنشـاء الإدارات الدينيـة للإشراف على المسلمين ورعايتهم .

من صور الاضطهاد الديني الروسي للمسلمين :

الاضطهاد الديني الذي تمارسه اليوم روسيا ضد المسلمين في القوقاز ، ليس بجديـد وليس أمرا حديثا ، ففي بداية القرن السادس عشر ، رفع هيرماهان أسقف قازان تقريـرا إلى القيصر تيودور ، يسرد فيه بلسان محرق بالغ الأثر حوادث فشل التبشير المسـيحي ، وارتداد المسيحيين الجدد إلى دينهم الأصلي _ الإسلام _ وجرأتهم في إقامـة شـعائرهم الدينية بمساجد أقاموها من جديد .

وبناء على هذا التقرير الأسقفي قام القيصر بتدابير صارمة ضد المسلمين ، وأبلغهم حرمانهم من أملاكهم ، مع إجبارهم على الإقامة في أحياء خاصة ، أنشئت خصيصا لـهم تحت إشراف أحد الأمراء الروس ، ثم كلف الشبان المسلمين بـالزواج مـن روسـيات ، والشابات المسلمات من الزواج من روسيين ، ومن خالف الأمر كـان مصـيره السـجن وتعذيبه بوضع القيود في يديه ورجليه ، وضربه بالسياط ، وكما لو كان هذا التعذيب غـير كاف لإشباع نفسية القيصر ، فأمر بهدم المساجد التي بنيت من عصور ، وبطرد المسلمين من مدينتهم ، وكان له ما أراد .

وجاء البلاشفة الشيوعيون ، فكتموا خططهم السرية بمهارة ، وأخفوا حقيقة موقفهم من الدين ، وظهروا أمام الشعوب _ إلى حين تركيز القوة في أيديهم _ بمظهر محبب إلى النفوس ، ثم أسفروا عن حقيقتهم ، وبدأ الحزب الشيوعي ينشر خلاياه الإلحادية في أرجاء الاتحاد السوفييتي ، ونشطت في استئصال شأفة الدين بالقضاء على القضاة والمفتين والمدرسين والوعاظ والخطباء والأئمة والمؤذنين ، واحتلوا المدارس والمساجد ، وحولوها إلى مسارح واصطبلات خيول ومخازن للمؤن والذخائر ، وإلى أندية ودور سينما ، وأشياء لايقرها شرع ولا دين .

ألغوا المحاكم الشرعية وديار الافتاء ، وجمعوا نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية وأحرقوها ، ولم يشهد العالم انحطاطا خلقيا مثل هذا في المجتمعات الهمجية ، ونجت من أيدى الملحدين بعض الجوامع النادرة التي اعتبرت آثار عمرانية ، لتتخذها موسكو وسيلة لنفي ما يقال عنها.

مذبحة القرم:

في عام ١٩٣٨ وصل الاضطهاد الديني في القرم إلى ذروته ، ولم يعد الناس يشاهدون شيئا باسم الدين ، بعد إحراق نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية ، وتحويل المساجد والمدارس إلى مؤسسات شيوعية ، وقتل العلماء ، أو نفيهم إلى سيبيريا ، وفي ليلة من الليالي اعتقل الروس آخر من بقي من العلماء ، وبعد تعذيبهم أتي بهم الشيوعيون منهوكي القوى إلى محطة تكرير المياه بالمدينة ، المقام على شاطيئ البحر الأسود ، وزجوا بهم على انفراد على عجلات الماكينات المعدة لتكون مفرمة ومذبحة لهم .

حدثت هذه الصور البشعة ، وتكرر حدوثها حيث يعيش المسلمون. يقول شاهد عيان فر من لإدارة الروسية وكتبت له الحياة : " إن من وسائل التعذيب ما لا تطيق الأداب الإنسانية أن تذكرها للناس ، من قذارتها ، ومن وسائل التعذيب:

- دق المسامير الطويلة في الرأس حتى تصل إلى المخ ، وإحراق المسجون بعد صب النفط عليه .
- جعل المسجون هدفا لرصاص الجنود يتمرنون عليه .
- نتف كتل من شعر الرأس بعنف مما يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس .
- خياطة أصابع اليدين والرجلين وشبك بعضهما إلى بعض .
- ربط المسجون على سرير ربطا محكما ثم تركه لأيام عديدة .أو صب الزيت المغلي على جسم المعذب ، أو صب المواد الحارقة والكاوية في فم المسجونين وأنوفهم وعيونهم .

- ضرب أجزاء الجسم بعصا فيها مسامير حادة ، أو تمشيط الجسم بأمشاط حديدية حادة .
- حبس المسجونين في سجون لا ينفذ إليها نور ولا هواء ، وتجويعهم حتى الموت .

كان هذا للرجال ، أما النساء فحظهن من مثل هذا العذاب ، أنهن يعرين ويضربن ضربا مبرحا على ثديهن وصدورهن ، ومواقع أخرى اختاروها ، وطرق دنيئة استعملوها يعف اللسان عن ذكرها حياء وخجلا .

وحدث هذا في ظل مواد الدستور السوفييتي الذي عدله ستالين عام ١٩٣٦ لتقول: صيانة الحريات في الاعتقاد ، ولجميع المواطنين حريتهم في ممارسة الشعائر الدينية .."

مارست الدولة الروسية عملية افناء منظمة للقضاء على العنصر الإسلامي فيها، فبلغت نسبة الفناء في بعض المناطق نحو ٤٥% باعتراف جريدة برافدا الرسمية ، وإن كانت نسبت هذا إلى المجاعة التي حلت بالقرم ، ولكن هذه المجاعة لم تصنع في المدن المجاورة غير الإسلامية شيئا . فكأنما اختارت المسلمين وحدهم لتحصدهم وهو أمر لدى الروس معقول وليس بمستغرب!!.

ثم نمضي مع الزمن فنجد أهل القرم المسلمين يكنون لروسيا السوفييتية البغضاء، ويتربصون بها الدوائر ، حتى إذا كانت الحرب العالمية الثانية ، وزحفت الجحافل الألمانية إلى الأراضي الروسية ، تخيل المسلمون أن العداء المستحكم بين الروس والألمان سيمنحهم الحرية ، ناسين أن الروح الصليبية هي التي تسيطر على الروس والألمان تجاه المسلمين على حد سواء ، وأن الأوربيين قد يعادي بعضهم بعضا ، وقد ينقسمون إلى معسكرات شتى ..ولكنهم سواء عندما يواجهون المسلمين .

ساق الألمان الألوف المؤلفة من أبناء المسلمين في القرم إلى ما وراء خطوط النار مئات الكيلومترات كقطيع الغنم .. حفاة وعراة الأجسام والرؤوس.. دون أن يقدم إليهم طعام ولا شراب أو غطاء ، ومن تأخر منهم بضعة خطوات ، ولو لعذر قاهر كالمرض أو التعب ، كان نصيبه رصاصة ترديه قتيلا دون سؤال أو جواب ، وأقل احتجاج أو تذمر من المعاملة الألمانية القاسية ، كان كافيا للجندي أن يودع الدنيا إلى الأبد .. وكان الألمان يقومون بهذه العملية ضد الأسرى المسلمين الأبرياء ، بعد فرزهم من بين عموم الأسرى !!

الشيوعية تحارب الإسلام:

ويقول: محمد عبدالقادر أحمد تحت عنوان "**الشيوعية تحارب الإسلام**": لم تكتف الشيوعية باسلوب واحد لمحاربة الإسلام بل اتخذت أشكالاً كثيرة، من ذلك على سبيل المثال نشر

مئات الكتب والنشرات المعادية للدين والموجهة ضد الإسلام، وتجنيد عدد من الكوادر الملحدة لاستخدامهم في حملاتهم المعادية للإسلام.

ومن أجل ذلك كونت الشيوعية جماعات الإعلام السياسي الملحدة بجانب لجان الحزب المختلفة، وجمعية "بيليم" في أوزبكستان، وأعضاء الكوموسمول، و العمال، والمدرسين، وأساتذة الجامعات، ورجال الإدارة في الكولخوزات، والعاملين في التخصصات المختلفة، وكل هؤلاء دربوا على الدعاية ضد الإسلام. وكانت الحكومة الشيوعية تبعث بتوجيهاتها دائمًا لاتحادات الكتاب كي تكون الموضوعات الملحدة من أبرز موضوعات كتاباتهم بحيث يخصص من بين هذه الموضوعات ما يحارب الطقوس الدينية التي كانت باقية في المناطق الإسلامية، وإحلال الطقوس العلمانية محلها، ومحاربة الاحتفالات الدينية ومنعها.

وقد عقدت لجان الحزب الشيوعي والكوموسمول المركزية والإقليمية منذ سنة ١٩٨٠م العديد من الندوات حول الدعاية الملحدة، والتعليم الملحد، من ذلك اجتماع اللجنة المركزية للكوموسمول في تركمانيا السوفيتية (أشخباد ١٩٨٣م)، وفي "الندوة الخاصة بالمنطقة" في أنديزان (يناير ١٩٨٣م)، والمخصصة أساسًا لتشكيل جماعات نشطة ضد الدين في وادي فرغانة، وندوة أخرى خاصة بالمنطقة في ذات المدينة (مارس ١٩٨٣م) لمساعدة المناضلين ضد الدين في أذربيجان، وقيرغيرستان، وطاجيكستان، وتركمنستان، ومؤتمر لجنة حزب مدينة أشخباد (سبتمبر ١٩٨٢م) وخصص لتحسين الدعاية الملحدة في تركمانيا السوفيتية، وندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لأذربيجان (باكو ديسمبر ١٩٨٢) وكان موضوعها "أساليب تحسين الدعاية والتعليم للملحدين". وأنشئ في سنة ١٩٨٢ معبد جديد معاد للدين في جمهورية آسيا الوسطى باسم "بيت الإلحاد العلمي لأوزبكستان" ومقره في طشقند وله فروع في جميع أماكن العبادة في جمهورية أوزبكستان. ومن أهداف هذه المؤسسة نشر الكتب المعادية للدين وفتح المدارس الإلحادية والجامعات الشعبية.

وعلى الرغم من وجود ديانات وقوميات أخرى غير الإسلام إلا أن عدائهم للإسلام كان أشد، وكان شغلهم الشاغل القضاء عليه، فلم ينظروا إليه على أنه مجرد دين فحسب، وإنما حركة لها قوتها وفاعليتها السياسية نظرًا لأنها تمثل ملايين المسلمين.

لقد كانت نظرة الشيوعي للمسلم نظرة احتقار، وكانوا يطلقون على المسلمين اسم "الكلاب المختونين" وكانوا يسخرون من إتمام زواجهم على يد المأذون الشرعي، لذلك صدر مرسوم ٢١ ديسمبر ١٩١٧م طالب بالتوثيق المدني للزواج بدلاً من التوثيق الديني، وقضى انعدام أي أثر قانوني للعلاقة بين الزوجين أو بين الأباء والأبناء إذا اكتفى الزوجان بالتوثيق الشرعي لعقد الزواج، ثم ألغيت المحاكم الشرعية نهائيًا لأنها تعطي

للمسلمين سلطة على حياتهم اليومية، وتقوي كيانهم كمسلمين (سعد عبدالعزيز مصلوح، ١٩٨٠، ص٤٤). كما حرمت القوانين الشيوعية على المسلمين حق تعدد الزوجات مهما كان السبب، ونص دستور الدولة على ذلك، لذلك وجدنا المسلمين في جمهورية كازاخستان بعد قيام انقلاب أغسطس ١٩٩١م يطالبون بإلغاء هذا القانون الذي يحرمهم من حق يكفله لهم دينهم (الأهرام بتاريخ ١٩٩١/١٠/١٥م، ص٤).

لقد لاقى المسلمون من أصناف القهر والعنف على أيدي الشيوعيين ما يعجز عن تحمله غيرهم. تقول الكاتبة هيلين كريرراتكوس في مقال نشر بصحيفة "لوموند الفرنسية" في ٤ يناير ١٩٨٠م "لقد حل بالمسلمين الكثير على أيدي زعماء الثورة البلشفية، فقد خربت مساجدهم، واستهزئ بأعرافهم ومعتقداتهم من جانب الشيوعيين".

لقد كان الشيوعيون وفي أيديهم الجيش الأحمر يقبضون على المسلمين ويقتلونهم قتلاً جماعيًا، كما صادروا محاصيلهم ومواشيهم وسلبوا ونهبوا ممتلكاتهم.

ويحكي ريمون شارل الكاتب الفرنسي في كتابه أعمال العنف التي باشرها الحكم السوفييت ضد المسلمين في الإسلام بقوله "في غضون عدة سنوات حولت آلاف المساجد إلى مواخير ونواد واسطبلات، كما حولت جامعة سمرقند إلى نـاد للملحدين، وأغلقت المدارس الدينية.

ثم أطلقت يد الشيوعيين في مسلمي آسيا الوسطى فأخذ هؤلاء الشيوعيون في ذبح المسلمين بالجملة، وإحراق المنازل، وقتل المواشي، وارتكاب المجازر والفظائع والجرائم التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً وقد قتل في هذه المجازر ما يزيد على مليون ونصف مليون مسلم من رجال الدين، وما يزيد على ٤ ملايين مسلم من غير رجال الدين، هذا عدا الذين هربوا إلى البلدان المجاورة.

لقد ألقى جيش الشيوعيين الحمر القبض على آلاف من الرجال والنساء الأبرياء الذين لم يتركوا أرضهم ومنازلهم وينفذوا أوامر النفي إلى سيبيريا، وذلك كما يزعم العدو بسبب تطلعاتهم الوطنية، وتمنياتهم القومية، وأيديولوجيتهم الدينية والسياسية. وقد أعدم كل هؤلاء بصفة عاجلة دون محاكمة أو تحقيق. وأفادت الأخبار التي سربها شهود عيان بأن الجيش الأحمر كان يدفن المسلمين من الرجال والنساء والأطفال بالجرارات وهم مازالوا على قيد الحياة. وقد كرر الجيش الأحمر هذا الأسلوب أيضًا مع المسلمين في أفغانستان في أعقاب احتلاله الوحشي الغاشم له.

تقسيم المنطقة الإسلامية:

ومن أساليب حرب السوفيت للإسلام تقسيم المنطقة الإسلامية إلى دويلات، نعم لقد كانت هذه المنطقة تضم قبائل متعددة وكانت تقع بين هذه القبائل منازعات وأحيانًا حروب

ولكنهم كانوا جميعًا أمام عدو الإسلام يدًا واحدة سرعان ما ينسون خلافاتهم وشقاقهم. لقد أدرك الشيوعيون أن سيطرتهم على المسلمين لن تكون إلا إذا أوقعوا بينهم الخلاف والعداوة والبغضاء وقسموهم إلى دويلات ولم يقف تقسيمهم عند الحدود الجغرافية إنما امتد حتى شمل اللغة وهذا ما فعلوه مع جمهورية (داغستان فقد قسموها إلى سبع لغات) كما قسموا القوقاز إلى خمسة أقاليم: داغستان، وروسيا الشمالية، وكبردين، وسركش، واديكيي. وفعلوا هذا التقسيم في آسيا الوسطى سكان هذه المنطقة الإسلامية على الرغم من أنهم كانوا يتكونون من قبائل مختلفة لكن هذه القبائل كانت متحدة من ناحية الثقافة واللغة، وأخوة الإسلام، وقد نجح الشيوعيون في تطبيق منهج التفريق والتقسيم الذي اتبعوه في القوقاز وأيدل أورال فقسموا هذه المنطقة إلى خمس قبائل هي: التركمان، والتاجاك، والكرغان، والقازاق، والأزبك. وقد سارع الشيوعيون بترحيل أعداد كبيرة من اليهود السوفيت ووطنوهم في المناطق الإسلامية ليفتتوا التكتلات الإسلامية ويقللوا من تماسكها ونفوذها.

واتبعوا التقسيم الإداري لآسيا الوسطى بتقسيم سياسي، فبدلاً من الأمة التركستانية التي كانت تضم شعوب هذه المنطقة أسست السلطات السوفيتية عدة شعوب وقوميات لكل منها إقليم خاص ولغة مكتوبة خاصة. ويعد شعب الأوزبك أكبر المجموعات الست الرئيسية التي تضم أبناء المنطقة الأصليين، بينما يمثل شعب كاركالباكس أصغر الشعوب الإسلامية وجميع هذه الشعوب فيما عدا شعب التاجك من أصل تركي. ويشكل الأوزبك غالبية السكان في جمهوريتهم، بينما يعد الكازال أقلية في جمهوريتهم إذ يتقدم عليهم الروس من الناحية العددية بعد أن فقد ا لكازاك ما يقلب من مليون شخص فيما بين ١٩٢٦-١٩٣٦م بسبب مقاومتهم لإجراءات الأنظمة الجماعية، وكذلك يعد القرغيز أقلية في جمهوريتهم، وإن كانوا أكبر المجموعات التي تعيش فيها مع الشعوب التركية الأخرى وهي الأوزبك والتتار، والإيغور والكازاك، حيث يشكلون أغلبية السكان هناك. أما التركمان و التاجك فهم أغلبية في بلادهم، كما توجد أعداد كبيرة من التاجل في أوزبكستان (نادر دولت، ١٩٨٦ك ص٤٣٨).

لقد كان شغل الشيوعيين الشاغل إبعاد المسلمين عن دينهم وهدم أركان عقيدتهم فمنعوهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج.

ويتصل بمنعهم المسلمين من الصلاة سخريتهم من طهارة المسلمين من الحدثين الأكبر والأصغر، وهدم مساجدهم وتدميرها، ويروي التاريخ أن الشيوعيين الروس هدموا عند دخولهم قازان سبعمائة مسجد من مساجدها الشهيرة، كما حطموا وحولوا آلاف المدارس الإسلامية التي كانت تعلم المسلمين أمور دينهم إلى مدارس لتعليم الشيوعية، كما حطموا المطبعة الإسلامية التي كانت تطبع القرآن الكريم، ومئات الكتب الإسلامية التي

كان يدرس فيها سبعة آلاف طالب وحولوها إلى جامعة شيوعية (محمد علي البار، ١٩٨٣م، ص١١٠).

وعندما دخل الشيوعيون إلى منطقة القرم ذات الأغلبية المسلمة قاموا بتحطيم المساجد وتحويلها إلى اصطبلات وصالات قمار، ونواد، ومتاحف، وقد تم تهديم وتحويل ١٥٥٨ مسجدًا في الفترة الواقعة بين عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م وعام ١٣٦٤م/ ١٩٤٥م.

إن مدينة كازان كانت تفخر غداة قيام الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م بأنها تضم ١٣ مسجدًا، ولم يكن عدد سكانها يزيد على ٢٠٦ آلاف نسمة. أما الآن وعدد سكانها يصل إلى المليون نسمة غالبية منهم من المسلمين فلا تجد لديهم سوى مسجد واحد (نادر دولت، ١٩٨٦م، ص٤٤٦).

ولم يقتصر الأمر عند حد منع المسلمين من إقامة الصلاة بل منعوا فرضًا آخر من فروض المسلمين وهو أداء الزكاة، وكانت حجتهم أن جمع أموال الزكاة وتكدسها في يد رجال الدين يحولها إلى قوة مالية ينبغي أن يحسب لها حساب.

كما منعوا المسلمين من إقامة فرضهم الرابع وهو صيام شهر رمضان مدعين أن الصوم معطل للإنتاج (شانتال لمربية، ألكسندر بينفسن، ١٩٧٧م، ص٢٣٣-٢٣٤).

ومنعتهم أيضًا من ممارسة شعائر فرضهم الخامس.وهو حج بيت الله الحرام في مكة المكرمة حتى لا يتصل المسلمون الروس بإخوانهم المسلمين في أثناء تجمع الحج (إحسان حقي، ١٩٧٨م، ص٩١-٩٣).

لقد انخفض عدد الحجاج في العهد البلشفي انخفاضًا كبيرًا، فقبل الثورة سنة ١٩١٧م كان يصل عدد الحججاج كل عام إلى ما بين ٥٠,٠٠٠ على ٦٠,٠٠٠ حاج، وبعد ثورة ١٩١٧م كان يتراوح عدد الحجاج من ٩-١٨ حاجًا كل عام.

وعلى من يرغب في أن يحج من أي إقليم أو جمهورية أن يدون اسمه ويرسل إلى مقر الحزب الرئيسي في موسكو ولا توافق الحكومة إلا على من يؤيدون المذهب الشيوعي ويعرفون عن مبادئه أكثر مما يعرفون عن الإسلام. وفي كثير من مواسم الحج بعث الاتحاد السوفيتي بحجاج أعضاء في اتحاد المحاربين الملحد. أما المسلمون المتمسكون بإسلامهم ودينهم فكان مصير طلباتهم إلى الحج الرفض.

وكان هدف الاتحاد السوفيتي من إرسال هؤلاء الحجاج الملحدين الظهور أمام العالم الإسلامي بأن المسلمين السوفيت أحرار، وتعطيهم السلطات الحق في ممارسة شعائرهم الدينية. ومما يؤكد اختيار السوفيت للحجاج الملحدين الذين لا يعرفون شيئًا عن الدين الإسلامي ما جاء في مجلة (ترجمان – كراجي في نوفمبر سنة ١٩٥٣م ص٣٨) "عندما أرسلت حكومة الاتحاد السوفيتي ثمانية عشر حاجًا من حجاجها هذا العام إلى مكة

المكرمة كان رئيس قافلتهم رجلاً لا يعرف كيف يصلي، ولا يفقه شيئًا عن الإسلام وتعاليمه.

ولم يغب عن بال الشيوعيين أن المدارس الدينية في المناطق الإسلامية لها دور كبير في تعليم المسلمين أمور دينهم وحثهم على التمسك بأركانه فشرعوا في هدمها وغلقها وتحويلها إلى مدارس شيوعية، فبعد أن كان بتركستان وحدها ٧,٢٩٠ مدرسة ابتدائية إسلامية يرتادها أكثر من ٧٠,٠٠٠ تلميذ و٣٧٥ مدرسة ثانوية يرتادها ٩٠,٦٠٠ طالب، صدر مرسوم ٢٣ كانون الثاني ١٩١٨ بمنع التعليم الديني في المدارس ولم يأت عام ١٩٢٨ إلا وقد صفيت هذه المدارس تمامًا وأخلي المجال للتعليم الشيوعي الماركسي التوجه (عبد الرحمن النقيب، ١٩٨٦، ص ٦٨).

لقد نجح الشيوعيون في القضاء على كل المدارس الدينية الإسلامية بحيث صار لا يوجد في الاتحاد السوفيتي الذي تبلغ مساحته ٢٢,٢٧١,٠٠٠ كيلومتر مربع والذي يبلغ عدد المسلمين فيه حسب آخر تقدير ٧٠ مليونًا سوى مدرستين رسميتين لتعليم القرآن والدين الإسلامي واحدة في بخارى والأخرى في طشقند.

ومن أساليب حرب الإسلام قتل المسلمين فرادى وجماعات، وذبحهم في بعض الأحيان كما تذبح الحيوانات وتصفيتهم تصفية جماعية في أحيان أخرى.

وتعد عملية دفن المسلمين السوفيت أحياء من قبل الشيوعيين عملية عادية، ويعثر من حين إلى آخر في الجمهوريات الإسلامية على خنادق كبيرة تحمل جثث موتى في أوضاع تدل على أنهم دفنوا أحياء.

ومن جرائم الوأد التي كانوا يرتكبونها أنهم كانوا يحفرون آبارًا عميقة ثم يأتون بمن ألقي القبض عليهم، ويوقفوهم أمام البئر واحدًا خلف الآخر ثم يركلون الواحد بأرجلهم ليسقط في البئر حتى يمتلئ فإذا امتلأ البئر هالوا عليه التراب إلى أن يساوونه بالأرض، ثم يبدءون في إسقاط المسلمين في البئر التالي حتى يمتلئ. وهكذا دواليك حتى ينتهوا من المقبوض عليهم. ولن ينسى التاريخ مذبحة الحزب الشيوعي للمسلمين في باكو في مارس ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) والتي راح ضحيتها ١٨,٠٠٠ مسلم (مجلة الشئون السوفيتية عدد ١٩٦٠/٤، و عدد ٢٧، ٢٨ سنة ١٩٧٠م).

لن ينسى المسلمون في الاتحاد السوفيتي حرب إبادة لينين لهم ولأجدادهم، ومذبحة القرم، ونشر المجاعة في ربوعها حتى أكل المسلمون الكلاب والقطط، ثم أكلوا موتاهم.

لن ينسى المسلمون مذابح التركستان التي قامت بها جحافل جيش لينين بالتعاون مع المستوطنين الروس الذين زرعتهم دولة القياصرة البيض في وسط التركستان ومنها مذبحة عام ١٣٣٥هـ/١٩١٦م أي قبيل ثورة ١٩١٧م. وكان من نتيجة حملات الإبادة الجماعية فرار ملايين من أهل تركستان المسلمين إلى المناطق المجاورة في أفغانستان

وإيران والصين، ومناطق شرق آسيا، ووصل كثير منهم إلى تركيا، ومجموعات أخرى توطنت الحجاز في مكة والمدينة وجدة. أما الذين ماتوا منهم نتيجة المجاعة فقد كانوا أكثر من ثلاثة ملايين تركستاني مسلم. (انتهى كلام محمد عبدالقادر أحمد).

ويقول أيضًا عن موقف الشيوعيين من اللغة العربية تحت عنوان (التجسس على المسلمين):

حرص السوفييت على تغليب شعور التضامن الطبقي على الشعور القومي. ومن هنا حاربوا القوميات حرباً لا هوادة فيها. ولم يتورعوا في أن يصفوا جماعة أو أفراداً ينادون بالقومية، وابتدعوا نظام إشراف الحزب الشيوعي الروسي على جميع أعمال الدول الاتحادية في كل جمهورية، وقدموا فيها المصالح الاتحادية على أية مصلحة محلية، وخاصة في الثقافة والاقتصاد. ولأجل ضمان الالتزام بالمبادئ الشيوعية زرع جهاز الاستخبارات الروسية (كي جي بي) الجاسوسية في كل مكان خاصة في المناطق الإسلامية، وأصبح الابن يتجسس على أبيه، وصار عملاء الحزب الشيوعي موجودين في كل مكان حتى داخل الأسرة الواحدة. مما جعل المسلمين يتظاهرون بأنهم لا يؤدون الشعائر الإسلامية أمام الناس. ففي صفوف العائلة الواحدة لا تقام الصلاة إلا إذا تأكد الجميع أنه لا يوجد بين أعضاء الأسرة عملاء للدولة أو للحزب الشيوعي.

وكان تشرب المواطن في مراحل التعليم المختلفة لتعاليم ومبادئ الحزب الشيوعي هو غاية الغايات ومنتهى الطلب. لذلك أعطت الدولة عناية فائقة لما يسمى (بالسلوك) الذي يقاس بمدى تشرب الفرد لقيم الحزب وأفكاره. وكانت درجات السلوك تنال أهمية بالغة في حياة التلميذ تفوق أهمية الدرجات التي يحصل عليها في العلوم الأكاديمية. إذ قد يعيد التلميذ العام الدراسي إذ فشل في السلوك (وهيب سمعان، محمد منير مرسي. ١٩٧٧،ص٧٤) وهناك تمثال للطفل الروسي المثالي ممثلاً في طفل وشى بوالده الذي يعتنق أفكاراً مناهضة للحزب الشيوعي. فالوشاية حتى بالأباء والأصدقاء والأقربين هي قمة السلوك الاشتراكي الذي تتطلبه الدولة والحزب من أطفالها وطلابها.

لقد حرص السوفييت البلاشفة على أن يضعوا عيونهم ويبثوا جواسيسهم في صفوف المجاهدين والثائرين من المسلمين ضد حكمهم وتعاليمهم، وكان جواسيسهم ينشرون في صفوف الثائرين أن قادتهم يعملون لصالحهم وليس لصالح المسلمين ككل وأطلقوا على حركة البسماجية الثائرة ضد فظائع السوفييت في المناطق الإسلامية اسم قطاع الطرق الباغين. لكن المخلصين من المسلمين لم ينصتوا لدعايات هؤلاء المغرضين وكان لفظ البسمجي في نظرهم يعني المجاهد الثائر ضد قوى البغي والشر والعدوان.

وركز الكتاب السوفييت في كتاباتهم على وصف البسماجيين بأنهم من فقراء المسلمين الذين استغل رجال الدين بساطتهم وفقرهم نجد ذلك في كتابات واسيلفسكي K.Vesilesrshiy الذي يرى أن هؤلاء ليسوا مجاهدين إنما قاموا للضغط على الحكومة لتعطيهم الغذاء والأموال.

لقد نجح جواسيس البلاشفة في زرع الفتن بين قادة البسماجية الثائرين في تركستان فدب بينهم الخلاف وتفرقوا ولم يقف بعضهم بجانب بعض!.

كما نجحوا في تشكيك أمر بخارى في نوايا الثائر المجهد أنور باشا عندما طلب منه المساعدة لقتال الشيوعيين ورجاه أن يؤسس حكومة إسلامية محلية لكي تمد جيش المسلمين بالمؤن والعتاد، فأوقعوا في روع أمير بخارى بأن أنور باشا يريده أن يؤسس حكومة إسلامية في وسط آسيا لكي يستولي على بخارى بعد ذلك هو ومن معه المجاهدين في جيشه.

ونجح جواسيس السوفييت في اختراق صفوف المجاهدين ونشر الخلاف بينهم وكونوا من المنشقين جماعة "البسماجيون السوفييت" وكان أكثر أعضاء هذه الجماعة من فرغانة الذين استمالهم السوفييت وزودوهم بالأموال، وقد نجح أعضاء هذه الجماعة الجديدة في إشاعة الفرقة والاضطراب في جيش أنور باشا. وحولوا محبة جنده له إلى عداوة. بل امتد نجاحهم إلى حد استمالة المجاهدين كي يتركوا جيش أنور باشا وينضموا إلى الجيش الأحمر السوفيتي.

واندس الجواسيس السوفييت بين علماء المسلمين وأقنعوهم بأن حكومة السوفييت تحترم العلماء وأنها تدعو إلى اشتراكية الإسلام. وأن من يدعون إلى الجهاد يريدون أن يحققوا لأنفسهم مكاسب شخصية وأنهم يعبدون المنفعة ووصموهم بكلمات نفرت العامة من المجاهدين ومن العلماء الموجودين في صفوفهم، فسقطت هيبة هؤلاء العلماء ونزل وقارهم ووقع بينهم وبين العلماء الممالئين للسوفييت النزاع والجدل.

. ووقف العلماء الذين كسب السوفييت انتزاعهم من صفوف المسلمين يدعون للنظام الشيوعي ويدافعون عنه، وجاءوا من القرآن بآيات تثبت أنه نظام واقعي يأخذ من الغني ليعطي الفقير. ومن علماء المسلمين المخدوعين "بيرايشان فخر الدين ولي خوجه بيه" يقول في إحدى خطبه مؤيداً النظام الشيوعي: "أريد أن أقول لكم إن الحكومة الروسية إنما جاءت لتوفر لنا الأمن وتحافظ علينا وتحمينا. لذا وجب علينا أن نؤيدها. فهي حكومة الفقراء التي توفر لهم الرزق، وتعطيهم الأرض الزراعية، وتلزم الأغنياء بمساعدة الفقراء، إنها حكومة المساكين والعمال والفقراء".

لقد خدع كثير من علماء المسلمين ضعيفي الإيمان بسم الشيوعية في العسل الذي قدمه لهم هؤلاء الجواسيس وحولوهم من مناهضين إلى مؤيدين ومدافعين عن الشيوعية.

يقول الكاتب "شواكونتز" "لقد وقع أثر هذا العمل في الناس حتى حمد الشيوخ والعلماء الشيوعيين، ورطبوا ألسنتهم بحمدهم والثناء عليهم في وقت سبوا فيه المجاهدين وحركة البسماجية ووصل الأمر إلى أنهم كانوا مستعدين أن يخرجوا لمقابلتهم وقتالهم".

لقد أنفق الشيوعيون أموالاً كثيرة على التجسس في المنطقة الإسلامية بحيث لا يكاد يخلو مسجد أو مدرسة أو نقابة أو تجمع أو حتى أسرة من سطوة هذه الجاسوسة وقد أعدم كثير من المسلمين بوشايات الجواسيس واتهامهم للمسلمين بأنهم أعداء الشعب وأعداء الثورة أو أنهم يمثلون القوى المضادة ولم يأمن الناس على أنفسهم وأولادهم وأرزاقهم خوفاً من غدر هؤلاء الجواسيس وتهمهم الملفقة في كثير من الأحيان. وحتى بعد فشل انقلاب ١٨أغسطس١٩٩١ وسقوط جهاز الاستخبارات كي. جي. بي ظل الناس خائفين من سطوة هؤلاء الجواسيس يتضح ذلك مما رواه أحد الصحفيين عن سيدة أوكرانية في الأربعين من عمرها تقول "لقد ولدنا ونشأنا في قفص ولا يستطيع شعبنا أن يتكلم فالإنسان منا يظن أنه سيفقد حريته أو عمله على الأقل أو شقته إذا ما تجرأ على الحديث".

سأل الصحفي المرأة عن اسمها فامتنعت عن التصريح به، وكان قد تجمع حولها نفر من الشباب المتحمس فقالوا لها: مم تخافين، لقد صرنا شعباً حراً الآن؟

عندئذ التفتت إليهم وقالت: أخاف منكم جميعاً، فقد تكونوا عملاء لـ كي. جي. بي.

ومن هذا المنطلق لم يجرؤ المسلم في الاتحاد السوفيتي أن يقول "أنا مسلم" أما أحد فلو سأله أحد عن ديانته يقول: أنا شيوعي فإذا كرر عليه السائل قوله: ألست مسلماً؟ يقول:لا أنا شيوعي. وعندما كان ينجح بعض الصحفيين العرب أو المسلمين ويذهبون إلى المنطقة الإسلامية في الاتحاد السوفيتي ويثق فيهم المسلمون كانوا يظهرون لهم إسلامهم وتمسكهم بدينهم ويطلبون منهم أن يعرفوا العالم بما يعانون من قهر واستعباد لعل العالم يساعدهم على هدم هذا الاستعباد والقهر والعدوان. وقد استجاب الله لدعائهم.

محاولات القضاء على الحرف العربي:

ولا تقف مؤامرة الشيوعيين عند محاولة القضاء على اللغة العربية عند المسلمين السوفيت بل امتدت إلى محاولة القضاء على الحرف العربي الذي كان يكتب به المسلمون السوفيت إدراكاً منهم أن الخط العربي يعد من أهم مقومات القومية الإسلامية وأخصها إذ ليس هناك أفضل من اللغة العربية وخطها العربي لتأكيد الشخصية القومية .

لقد واجهت اللغة العربية وخطها العربي هجمة ضارية من الشيوعيين السوفيت، فعند دخول الروس البلاشفة إلى المناطق الإسلامية كانت هناك ست لغات تكتب جميعها بالحرف العربي، وتدخلها كثير من الكلمات العربية، كما كان هناك ما يقرب من أربعين

لهجة ليست لها كتابة فعمد الروس للتفريق بين المسلمين إلى إيجاد كتابة لجميع هذه اللهجات، وجعل كل أهل لهجة يدرسون لهجتهم الخاصة، ويكتبونها بالحرف الروسي، كما أن عليهم تعلم الروسية كلغة أم ثانية .

وعلى الرغم من أن الفكر الشيوعي يصطدم أساساً مع القوميات، إلا أن الشيوعيين أشعلوا النعرة القومية بين مسلمي روسيا كما أسلفت، إمعاناً في تشتيتهم وتفريقهم، بل وذهبوا إلى أكبر من ذلك بمحاولتهم القضاء على فكرة الأمة الإسلامية، وقسموا المنطقة إلى ست جمهوريات اتحادية سوفيتية، وإلى ثماني جمهوريات ذات استقلال ذاتي، وجميعها محكومة بالمستعمر الروسي المتمثل في سكرتير الحزب الشيوعي في كل منطقة من هذه المناطق .

ومن بين هذه الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي جمهورية "تشيشينيا" التي رفضت قرارات يلتسن وأعلنت الاستقلال الذاتي والتعبئة العامة في ٩ من نوفمبر سنة ١٩٩١م وحاصرت القوات الروسية في المطار وناشد رئيسها الجنرال داوداييف المسلم الشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي الوقوف معه ضد موسكو، وتقع جمهورية "تشيشينيا" بين بحر قزوين، والبحر الأسود .

لقد حاول الشيوعيون السوفيت تحت واجهة الإصلاح الثقافي إلغاء الكتابة بالحرف العربي وإبدالها بالحرف اللاتيني ثم بالحرف الروسي (الكيريلي)، ويفرض ستالين خلق لغة بشكيرية وضع العلماء الروس مبادئها سنة ١٩٢٣ على أسس لهجة تترية قديمة بدلاً من استخدام اللغة التترية ذات الأبجدية العربية، وكذلك حول لغة التركمان من الكتابة بالحرف العربي إلى الكتابة بالحرف اللاتيني ثم الكتابة بالحرف الروسي وفي العشرينات أنشئت في منطقة التركمان لغة أدبية مبنية على لهجتي الطقة واليمود، وكتبت بالحروف العربية ثم بالحروف اللاتينية، وأخيراً في عام ١٩٣٩ كتبت بالحروف الكيريلية (الأسبوع العربي، ١٢ بتاريخ ١٩٨٢/٤/٢٦م ، ص٥٦)، وكذلك حول الشيوعيون اللغة التدجيكية التي كان يتكلمها التدجيك، وهي فارسية، من كتابتها بالحرف العربي إلى الحروف الكيريلية وذلك منذ ١٩٣٩م .

لقد انتهت كل محاولات الشيوعيين إلى تحويل كل كتابات المسلمين من الحرف العربي إلى الحرف الروسي الكيريلي أملاً في أن تصبح على مرور الزمن اللغة الروسية اللغة الأولى لجميع شعوب روسيا تتكلمها كل العناصر المثقفة من كل شعوب الاتحاد السوفيتي، خصوصاً وأنه قرر تدريس اللغة الروسية في جميع المدارس الابتدائية والثانوية كلغة أولى وثانية، وهي لغة التعلم الوحيدة في أكثر أقسام الدراسات العليا، وبذا فإن الشاب المسلم الذي يريد متابعة دراسته العلمية لابد أن يكون على معرفة كافية باللغة الروسية،

ولابد له من ذلك أيضاً حتى يتسنى له أن يبني مستقبله وينجح في الحياة (شانتال لمربيسه كلجكي، الكسندر بينفسن ١٩٧٧، ص٣١٩) .

لكن ينبغي أن يدرك القارئ أن هذا التحويل من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني ثم إلى الحرف الروسي الكيريلي لم يكن أمراً سهلاً مر بسهولة، فقد قاوم المسلمون ببسالة لأنه ارتبط عندهم بقوميتهم الإسلامية، ووقف كثير من الزعماء المسلمين يذودون عن الحرف العربي، ويبذلون قصارى جهدهم للحيلولة دون ذوبان شخصية المسلمين القومية، ومن بين هؤلاء الزعماء المسلمين غاليموجان إبراهيموف من تتار الفولجا عينه ستالين سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) رئيساً للمفوضية المركزية للشئون الإسلامية، وتولي مراكز هامة للشيوعيين، ومع أن موسكو بعثت بقوات مركزية الإرهاب والتخلص من هذا الزعيم الإسلامي القومي، إلا أنها لم تتمكن من تنفيذ خطتها، إذ اصطدمت قواتها بمجموعات من الرجال المسلحين تكونت منهم عناصر المقاومة الإسلامية التي لقيت كل تأييد من جموع الشعب .

وجن جنون ستالين وانتقم بإلغاء استخدام الحروف العربية في الجمهوريات الإسلامية بالقوة ويفرض بدلاً منها الحروف الروسية، كما قاوم الثقافات الدينية التي كانت نشطة في المناطق الإسلامية، ثم يقبض ستالين على الزعيم غاليموجان إبراهيموف لمقاومته تحويل الكتابة التترية من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، ثم يعدمه في السجن سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) .

وشارك الكتاب المسلمون في الدفاع عن اللغة العربية والحرف العربي فأسسوا في طشقند "جمعية التشاغاتاي" وكانت تضم بين أعضائها الكتاب : منور قاري، وعبدالرؤوف فطرت، وعبدالله ألفلاني باتو، رئيس مصلحة الشئون الثقافية في كوميسارية الشعب للتعليم في تركستان .. وغيرهم كثير، وبعد أن حلت هذه الجمعية عام ١٩٢٢ عادت فانبعثت مرة أخرى عام ١٩٢٧ تحت اسم "كيزيل كلام" أي "الريشة الحمراء" لكن الشيوعيين السوفيت صفوا أعضاءها جسديا بعد عام ١٩٣٧م لعدم موافقتهم في كتاباتهم على سياسة التجزئة القومية ومقاومتهم إنشاء لغات أدبية جديدة وبصفتهم قوميين يدعون لرابطة الشعوب التركية:

لقد التفت الكتاب والأدباء المسلمون إلى خطورة ظهور اللغات الإقليمية الجديدة، وإلى محاولة القضاء على اللغة العربية والخط العربي، فكل ذلك يشكل عامل هدم للوحدة اللغوية وبالتالي للثقافة الإسلامية، ولذا بذلوا جهودا طيبة لمحاولة التقريب بين هذه اللغات، وفي عام ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) قام المفكر والسياسي التتاري إسماعيل غسبرالي (غسبرينسكي) بإطلاق شعار: كونوا متحدين بلغتكم وأفكاركم وأعمالكم"، وحاولوا إيجاد لغة تركية مبسطة جامعة تفهمها كل الشعوب التركية في روسيا والعالم، وكتب بها جريدته

اليومية (الترجمان) التي ظل ينشرها في بغتشيساري من سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) حتى عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) والتي عدت من أعظم الدوريات الإسلامية في ذلك الوقت .

ما أشبه اليوم بالبارحة .. أن موقف الشيوعيين البلاشفة من اللغة العربية والحرف العربي هو موقف الاستعمار من اللغة العربية وحرفها العربي الذي لم يتوقف حتى يومنا هذا، وأحدث بلد عربي إسلامي تحول عن الكتابة بالخط العربي هو جمهورية الصومال وذلك خلال عام ١٩٩٠، وهو ما حدث أيضاً من قبل في تركيا، فقد كانت اللغة التركية تستعمل الخط العربي حتى ٣ من نوفمبر سنة ١٩٢٨م حينما أوقف كمال أتاتورك استعمال الخط العربي وغيره بالأبجدية اللاتينية .

ورغم محاولات الاستعمار المميتة إلا أنه لم ينجح في تحويل كثير من البلدان العربية الإسلامية في آسيا وجعلها تعدل عن الأبجدية العربية إلى الأبجدية اللاتينية فلا تزال اللغة الفارسية ترسم بالحروف العربية، وكذلك لغة البشتو لغة أفغانستان، والاردو لغة باكستان، ولغة الملايو التي تكتب بحروف عربية منذ القرن السادس عشر.

وفي الحزام الإفريقي رغم محاولات الاستعمار إلا أن كثيراً من اللغات الإفريقية لا تزال تستعمل الحرف العربي في أحيان كثيرة.

الباب التاسع

استقلال جمهورية الشيشان

- تطور الأحداث
- دوداييف يرفض التفاوض .
- الغزو الروسي للأراضي الشيشانية .
- الإعلام الروسي وموقف المجتمع الدولي .
- جوهر دوداييف لماذا اغتالوه ؟
- أحداث داغستان ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

الباب التاسع

استقلال جمهورية الشيشان

بدأ الاتحاد السوفييتي مرحلة التحول عن الاشتراكية ، مع تولي جورباتشوف الحكم عام ١٩٨٥م ، إذ بدأ يوجه انتقاداته إلى أسس النظام الشيوعي في ظل البروسترويكا (إعادة البناء)، والغلاسنوست (العلانية والمصارحة) ، وانتهت هذه المرحلة في نهاية عام ١٩٩١م بتفكك الاتحاد السوفييتي واستقالة جورباتشوف .

بعد انفراط عقد الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م ، انفصلت جمهوريات البلطيق ، استونيا ولاتفيا وليتوانيا ، وحصلت جمهوريات آسيا الوسطى على استقلالها ، وتأسس في نفس العام اتحاد شعوب القوقاز الجبلية ، بهدف الدفاع المشترك ضد الهيمنة الروسية ، وفي عام ١٩٩٢م قرر الاتحاد تشكيل قواته المسلحة ، ثم غير اسمه ليصبح اتحاد شعوب القوقاز ، ليفسح المجال أمام شعوب أخرى في السهل الغربي ، وما وراء القوقاز لتنضم إليه .

تطور الأحداث :

في ٧ من مارس عام ١٩٩١م تأسس المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني، وتولى زعامته الجنرال السوفييتي المتقاعد جوهر دوداييف. وفي ٢٠من أكتوبر عام ١٩٩١م تم انتخاب دوداييف رئيسا لجمهورية الشيشان، بعد انتخابات حصل فيها على ٨٥% من أصوات الناخبين، وخرج منها منتصرا، وعلى الرغم من إعلان موسكو حالة الطوارئ في الجمهورية، فقد نجح أنصار الجنرال في تطويق القوات الروسية، وأرغموها على الانسحاب من الجمهورية دون إطلاق رصاصة واحدة، واستولوا على أكثر من مائة طائرة وكميات كبيرة من الأسلحة، والدبابات والمدرعات، التي مازال استبقاؤها هناك سرا مستغلقا، ويقال أن دوداييف وظف علاقاته مع زملائه السابقين في الجيش الروسي للحصول على الأسلحة التي يعتبرها الكرملين سببا أساسيا للصراع مطالبا بتسليمها للسلطة.

وتم إعلان استقلال جمهورية الشيشان عن روسيا ، أسوة بما قامت به الجمهوريات الأخرى ، ولكن موسكو ترفض هذه الانتخابات وتراها غير شرعية وترفض الاستقلال ، ويعلن الرئيس الروسي يلتسين الطوارئ ، ويبعث بقواته إلى الشيشان لإعادة النظام الدستوري في الجمهورية ، وتهبط طائراته المحملة بالجنود مطار غروزني ، وتحاصرها قوات المجاهدين الشيشان .

يزداد التوتر ويتصاعد ، ويعقبه العمليات العسكرية ، ويعقـد الرئيـس الشيشـاني مؤتمرا صحفيا يعلن فيه (أنه حين يحترق البيت يجب إخماد الحريق - وبعدهـا يمكننـا تحديد ما تبقى لروسيا من مصالح في القوقاز ، لكنها لا تستطيع تجاهل حقنا في الحيـاة، حتى لو سحقت جبال القوقاز ، فلن يقضي على روح الشعب الشيشاني وحقه في الحياة.)

دوداييف يرفض التفاوض مع الروس :

وتسعى روسيا للتفاوض مع الرئيس الشيشاني ، ولكن دوداييف يرفض الاجتمـاع بالوفد الروسي ، إلا بعد أن تعترف روسيا باستقلال بلاده ، ويهدد دوداييف روسيا بإغلاق حدود بلاده إذا ما حاولت فرض ضغوط اقتصادية على جمهوريته ، وبأن روسيا سـوف تتأثر سلبا أكثر من تأثره هو وجمهوريته بذلك لأهمية الشيشان النفطية، ولموقعها كحلقـة وصل بين روسيا والجمهوريات الشمالية .

وفي محاولة احتجاج من أبناء الشيشان قام بعض المجـاهدين باختطـاف إحـدى الطائرات الروسية وأجبروها على الهبوط في العاصمة غروزني احتجاجا علـى رفـض الحكومة الروسية الاعتراف باستقلالهم .

أعلن يلتسين الحرب بالوكالة على الشيشان وذلك بتقديمه الدعم المـالي والمعنـوي للمعارضة الشيشانية ، ثم حاولت الحكومة الروسية إرسال قوة مسلحة للاسـتيلاء علـى غروزني ، ولكنها باءت بالفشل .

وفي عام ١٩٩٢م انفصلت الشيشان عن أنجوشيا ، واتخذ الزعيم جوهر دوداييـف من العاصمة غروزني مركزا لاتحاد شعوب القوقاز الجبلية ، وطرد الجيش الروسي مـن أراضيه .

وفي عام ١٩٩٤م أعلنت الشيشان تحررها عـن روسـيا ، بـالرغم مـن كونـها جمهورية داخل الاتحاد الروسي ، وصرح المجاهد جوهر دوداييف بإقامة دولة إسـلامية متحدة مع شعوب الأنجوش وداغستان والتتار ، كما كانت من قبل برئاسة الإمـام محمـد شامل .

وضعت روسيا فرقا من الجنود الروس على حدود الشيشان ، وقـام الشيشـانيون بأسر أعدادا من الجنود الروس ، وعرضتهم على شاشة التلفاز الشيشاني ، فتعرف عليـهم ذويهم ، مما أدى إلى قيام المظاهرات التي طالبت بعودة القوات الروسية من الشيشان.

أصدر يلتسين تحذيرا للشيشان بإلقاء أسلحتهم وإلا سيواجهون غزوا مسلحا لا قبـل لهم به ، ورفض الشيشانيون ، وأعلن دوداييف حرب تحرير الشيشان ، فتدفق المتطوعون من مختلف البلدان في القوقاز ، من أنجوشيا وداغستان ، ومن الذين وصفتـهم موسـكو بالمجاهدين الأفغان والعرب والذين قدرت أعدادهم بنحو عشرة آلاف مقـاتل ، وآخـرون

من أبخازيا التي اعتبرت نفسها مدينة لجوهر دوداييف الذي أرسل لهم فصيلا من قواتــــه عرف باسم قطيع الذئاب ، لعب دورا هاما في تغيير موازين الحرب لصالح الأبخاز خلال الحرب الجورجية الأبخازية ، بل جاء أيضا متطوعون من استونيا ..جاء البعـــض لــرد المعروف لأصحابه ، فهم مدينون بحلم الاستقلال للصديق جوهر دوداييف الـــذي رفــض أوامر السلطات الروسية بإطلاق الرصاص على أولى التظاهرات التي طالبت بالاســتقلال عن الاتحاد السوفييتي السابق ، وحينها كان دوداييف جنرالا يقود وحدة قاذفات استراتيجية للاتحاد السوفييتي تتمركز في استونيا ، قبل استقالته وعودته الشيشان ليـــتزعم المؤتمـر الوطني الذي قاده إلى الرئاسة .

الغزو الروسي المسلح للأراضي الشيشانية عام ١٩٩٤-١٩٩٦م. :

ودخلت القوات الروسية أراضي الشيشان في ١١من ديســـمبر ١٩٩٤م .، ودارت معارك طاحنة من غرفة إلى غرفة ومن شارع إلى شارع ، وسقط أوفلور نجل الرئيـــس جوهر متأثرا بجراحه بعد أن أصيب في معركة صد الوحدات الروسية عـــن العاصمـــة، وارتكب الجيش الروسي الجرائم الوحشية ، فقتلوا النساء والولـــدان والشـــيوخ، وأهلكـــوا الحرث والنسل ، وصمد الشيشانيون وسجل الشعب الشيشاني بطولات رائعة ، وأبلى بلاءا حسنا وأظهر شجاعة نادرة أمام جحافل القوات الروسية ، واستمرت مقاومة غروزنـــي ، ثم تمت عملية انسحاب المجاهدين من العاصمة ببراعة وحكمة ، اقتادوا فيها عشرات مـــن الأسرى الروس ، وحافظوا فيه على أسلحتهم وعتادهم ، ولم تستطع القوات الروسية أســر مقاتل واجد من المجاهدين ، واستولت القوات الروسية على أطلال المدينة المهدمـــة بعـــد صمود أكثرمن ٣٩يوم ، وانسحبت القوات الشيشانية إلى المناطق الجبلية ، ومـــن هنـــاك واصلت القتال ، واستمر القتال ولم ينجح الروس رغم أعدادهم الغفيرة وعتادهم الحديـــث في أن يسحقوا المقاومة الشيشانية ، وفي النهاية انسحب الجيش الروسي بعد سنتين يجــر أذيال الهزيمة .. الهزيمة التي قضت علي هيبة الروس العسكرية ، بعد أن فقـــد الـــروس جنودهم وتكبدوا الخسائر الفادحة .

ومنيت القوات الروسية بالهزائم على أيدي المجـــاهدين الشيشـــان خـــلال حـــرب العشرين شهر ، التي أعقبت الغزو الروسي للأراضي الشيشانية فـــي ديســـمبر ١٩٩٤م ، وبررت روسيا هزيمتها بأن الجيش الروسي كان يحارب العالم الإسلامي كلـــه ، وليـــس بضع آلاف من المقاتلين الشيشان ، وأنهم يحاربون المجاهدين المسلمين من كـــل أنحـــاء العالم ، وليس حفنة من قطاع الطرق .

أبناء داغستان يردون الجميل للشيشان الجريح :

مع تصاعد الحرب في الشيشان ، كان قسم كبير من الداغستانيون ينتقدون حكومتهم الموالية لموسكو ، والمتخاذلة عن نصرة الشيشان ، وتداولوا في كانون الثاني ١٩٩٥م بيانا حذروا فيه أبناء القوقاز الشجعان من أن التاريخ لن يرحمهم إذا تخاذلوا عن نصرة الشيشان ، وذكرهم بأيام الإمام شامل عندما حارب الشيشانيون مع أبناء داغستان ضد القيصر .

كيف تطورت الأحداث :

في كانون الثاني ١٩٩٦م احتجز المسلحون الشيشانيون ألفي رهينة غالبيتهم العظمى من الروس في مدينة قزلر الداغستانية التي تبعد عن الحدود الشيشانية ١٥ كيلومتر ، والتي أنشئت كقلعة عسكرية في القرن الثامن عشر ، ويسكنها زهاء ٤٠٠ ألف نسمة ، وتقع على طريق استراتيجي للقطارات يربط روسيا بالقوقاز ، وعقب هذه العملية تصاعدت حدة الحرب بين الروس والشيشان ، وخطف المجاهدون الشيشان رهائن آخرين في العاصمة جروزني ، وكبدوا الجيش الروسي خسائر كبيرة أجبرت الحكومة الروسية بالاعتراف بالاخطاء الفادحة التي ارتكبت في شيشانيا .

في آب ١٩٩٦م كلف ا لرئيس الروسي يلتسن ، رئيس مجلس الأمن القومي الجنرال الكسندر ليبيد ، ملف الأزمة الشيشانية ، الذي انتقل لتوه إلى داغستان وطلب من المسؤليين المحليين التوسط لدى المقاومة الشيشانية لإجراء مفاوضات بينها وبين السلطات الروسية .

في كانون الأول اتفق وزير الدفاع الروسي بافل غراتشوف ودوداييف بعد محادثات بينهما أن الخلاف بين موسكو وجروزني لاتحل بالقوة العسكرية ، ولكن بعد أسبوع من هذه المحادثات اعتبر يلتسن أن استخدام القوة ضد شيشانيا واجب دستوري.

في ١٢كانون الأول اندلعت أولى المعارك الضارية قرب جروزني ، وقام الجيش الروسي بمحاصرتها من كل الجهات وشن غارات وحشية وأنذر دوداييف بالاستسلام ونزع السلاح .

في أول كانون الثاني عام ١٩٩٧م اقتحمت القوات الروسية جروزني وبدأت حرب شوارع شرسة سقط فيها آلاف القتلى ، وصمدت المقاومة الشيشانية ونجحت في إحداث الفوضى في صفوف صناع القرار الروسي .

عملية شامل باسييف في مستشفى بوديونوفسك:

في ٢٥ أيار جرت مفاوضات فاشلة لإيقاف القتال ، واستؤنفت المعارك من جديد ، ونجح شامل باسييف من أبرز القادة الميدانيين في التشكيلات الشيشانية المسلحة في احتجاز ألف رهينة بمستشفى في مدينة بوديونوفسك الروسية ، وبعد اشتباكات في شوارع المدينة مع رجال الشرطة نجح شامل باسييف ورجال المقاومة في إرغام أعداد كبيرة من المواطنين الروس على الدخول في المستشفى ، وأخفقت الشرطة الروس في إطلاق سراحهم ، وجرت مفاوضات أجبرت رئيس الوزراء الروسي تشيرنوميردين على وقف العمليات العسكرية ، والقصف المدفعي والجوي في أراضي الشيشان ،مقابل الإفراج عن الرهائن والبدء بالمفاوضات السلمية .

وتم سحب القوات الروسية من غروزني ، بعد هجوم كاسح للمقاومة في ٩تموز أثبت عجز القيادة الروسية في حسم الوضع لصالحها ، وإزاء ذلك عين يلتسن الجنرال ليبيد ممثلا له في الشيشان ، وفوضه ملفها ، فتوجه إلى الشيشان وعقد مفاوضات مع قائد قوات المقاومة أصلان مسخادوف ، بعد أن تأكد مصرع الرئيس جوهر دوداييف.

في ١٢ آب يعقد الجنرال ليبيد مؤتمرا صحفيا في موسكو يشيد فيه برجال المقاومة الشيشانية ، واعتبرهم مقاتلين شجعان واجهوا جنودا منحطي المعنويات وغير مبالين ومتعبين.

جرت مفاوضات بين ليبيد والقادة الشيشانيين ، أسفرت عن توقيع وثائق تؤكد انتهاء الحرب الشيشانية وتحدد مبادئ العلاقات بين موسكو والشيشان ، والتي نصت على أن مصير الشيشان سيحدد نهائيا قبل انقضاء عام ٢٠٠١م وقد وقع ليبيد ومسخادوف على البيان السياسي بحضور ممثل منظمة الأمن والتعاون الأوربي ، واعترفت موسكو لأول مرة بوجود طرفين متكافئين ، الأمر الذي كرس عمليات الاستقلال.

الإعلام الروسي وموقف المجتمع الدولي:

قامت روسيا بفرض تغطية إعلامية استهدفت عزل الشيشان المسلمة عالميا ، وحرمانها من الدعم المادي والمعنوي ، وقامت بتشويه الأهداف الحقيقية المتمثلة في الاستقلال ، ومنح شعوب المنطقة حق تقرير المصير ، ونجح المخطط الروسي إلى حد كبير ، وحال دون إقدام أي من الدول الأجنبية بما فيها العربية والإسلامية على الاعتراف باستقلال الجمهورية الشيشانية .

ولم يجد أعداء الأمة المسلمة ، الذين أرهبهم الخوف من مسلمي القفقاز ، أفضل من التجربة الإنسانية في القضاء على الإسلام وتصفية وجوده ، فكانت المذابح الوحشية

لشعب الشيشان المسلم ، بمباركة أممية ودولية ، وتحت غطاء دستوري وقانوني ، فقد ذهب مجلس الكنائس العالمي إلى رصد أكثر من أربعين مليونا من الدولارات ، للقضاء على مسلمي القوقاز . ولا عجب أن نجد ممثل مجموعة الدول الأوروبية من خلال زيارته لروسيا حاملا هدية حربها للشيشان ، وهي اسقاط أكثر من ٣٥% من ديونها الواجب سدادها لمجموعة الدول الأوروبية ، وذلك في ١٥ فبراير ٢٠٠٠م.

ووقف المجتمع الدولي متفرجا ، بحجة أن هذا الغزو يعتبر تدخلا في الشئون الداخلية لروسيا الاتحادية ، ولم يصدر سوى بيانات شجب هزيلة من بعض دول العالم، ولم يفعل العالم شيئا لوقف ممارسات الجيش الروسي ضد الشعب الشيشاني ، وبرغم التضحيات الجسام التي قدمها ، والتي تمثلت في مقتل ستين ألفا من الشعب الشيشاني ، إضافة إلى مائة ألف جريح ، وتشريد نصف مليون من الشعب الشيشاني لاجئين في الجمهوريات المجاورة ، وبوجه خاص في الداغستان وأنجوشيا ، بعد تدمير شامل لمعظم القرى والمدن الشيشانية ، وبرغم اغتيال الزعيم الشيشاني جوهر دوداييف بالصواريخ عقب متابعة كلماته عبر الهاتف المحمول .

جوهر دوداييف .. ولماذا اغتالوه ؟

جوهر دوداييف ، هو جوهر موسى دودي ، ولد في ٥ أيار عام ١٩٤٤م في قرية بيرفومايسكويه على سفوح جبال القفقاس ، وعرف حياة المنفى مع والديه إذ بعد ثلاثة أشهر من حملة التهجير الكبري التي أرغم ستالين خلالها مئات الألوف من الشيشانيين على مغادرة ديارهم في ليلة ظلماء إلى سهوب كازاخستان وسيبيريا ، بعد أن اتهمهم بالتواطوء مع الألمان ، وكان من بينهم عائلة جوهر دوداييف ، وهناك في سيبيريا لم ينسهم البرد القارص في المناطق القطبية أرض القوقاز وبطولات الأجداد ، الذين حاربوا الامبراطورية الروسية خمسين عاما لدرء عار الاحتلال عنها .

وكسائر أترابه شب جوهر وهو يلهج سرا باسم الإمام شامل باني دولة الإمامة، والشيخ منصور أبرز القادة العسكريين الذين دوخوا الروس . ولم ينس أنه أجبر على الهجرة من وطنه وهو رضيع عام ١٩٤٤م مع أكثر من نصف مليون شيشاني باضطهاد من ستالين شتت به شمل المسلمين جميعا في الاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية، بحجة وقوفهم إلى جوار الألمان ، وسمع دوداييف من أبيه وهو صغير قصة الاضطهاد الكبرى التي يعيشها المسلمون في القفقاس ، فعاش ينتظر ويخطط لذلك اليوم الذي أطلق فيه صرخته المدوية عقب انتخابه رئيسا لجمهورية الشيشان عام ١٩٩١م حين قال:

" أطلب من جميع الشعوب الإسلامية باسم حريتنا تحويل موسكو إلى منطقة منكوبة..
إن القسم على المصحف يلزمني أكثر مما يلزمني أي دستور وضعي ..إذا اتخذت موسكو أي خطوة ضدنا فإننا سندعو المسلمين المقيمين في موسكو إلى تحويل موسكو إلى مأساة عصيبة ، وصب جام غضب الشعوب المسلمة في شمال القوقاز وآلامها والرعب والمعاناة التي عاشتها على موسكو "

بعد إعادة الاعتبار إلى الشيشانيين عام ١٩٥٧م في عهد الرئيس نيكيتا خرتشوف ، إثر تنديده بجرائم سلفه ستالين ، عاد آل دوداييف إلى الوطن ، ثم يلتحق دوداييف بكلية الطيران الحربي في مدينة تامبوف بروسيا ، ويصبح جوهر دوداييف طيارا ، ويرتقي بسرعة ويكون أول جنرال شيشاني في الجيش السوفييتي ، وتسند إليه قيادة فرقة القاذفات الاستراتيجية المرابطة في إستونيا من جمهوريات البلطيق، بعد أن يتخرج من أكاديمية جاجارين العليا للطيران .

اختار دوداييف التوقيت المناسب عام ١٩٩١م ليعلن فيه استقلال بلاده عن روسيا، ويطالب بحق تقرير المصير ، فقد كان نجم الرئيس الروسي جورباتشوف في ذلك الوقت قد بدأ بالأفول ، وكانت لروسيا مشاكل أكبر من الشيشان ، فقد كان البرلمان الروسي يستعد للتمرد ، وأقاليم أخرى تتململ وتعد للاستقلال . وبمجرد إعلان الاستقلال شرع الرئيس الشيشاني في صك عملة مستقلة لدولة الشيشان ، وطباعة جوازات للمواطنين ، وطباعة طوابع بريد ، وبعث باثنين من الشيشانيين إلى لندن سرا لطباعة الجوازات والعملة ، ولكنهما قتلا هناك.

تعاطف مع الرئيس دوداييف ، وقضية استقلال الشيشان ، كل جمهوريات القوقاز ، فبمجرد إعلان الحرب عليه أسرعت أنجوشيا باستنكار الحرب على الشيشان، وفتحت أراضيها لمجاهدي الشيشان ، وكذلك فعلت جمهورية داغستان ، وكلاهما تابع لروسيا الاتحادية ، وحتى الجماعات المعارضة طرحت خلافاتها جانبا من أجل مساندة وتأييد الرئيس الشيشاني ، وتدفقت أعداد من المتطوعين على عاصمة الشيشان للوقوف بجانب إخوانهم الشيشانيين ،توافدت على جروزني عشرات القطارات التي تحمل آلاف المتطوعين المسلمين من كافة الجمهوريات الإسلامية ، ووقفوا غداة إعلان الحرب أمام مبنى الرئاسة في جروزني ، وبنادق الكلاشينكوف تتدلى من على أعناقهم ، ويرفعون أيديهم إلى السماء من أجل النصر . ولا يعرف من أين اشتعلت جذوة الجهاد في نفوس هؤلاء بعد ما يزيد على سبعين عاما من قهر الشيوعية وقبلها أكثر من مائة عام من القهر الروسي .

والغريب الذي تعجب له الناس حينئذ ، أن جمهوريات البلطيق البعيده عن القوقاز أيدت بحماس استقلال الشيشان ، إذ كان ذلك ردا للجميل للضابط الذي رفض أوامر

الكرملين بقمع انتفاضة ريغا عاصمة استونيا عام ١٩٨٩م حيث كانت قوات الجنرال دوداييف ترابض بالقرب منها .

كان الزعيم جوهر دوداييف ، ضابطا طيارا شيشاني الأصل ، مسلم تقليدي ، محب للعرب نادى بوجدة شمال القوقاز ، وهو مجاهد من الطراز الأول ، وله عبارته الشهيرة (**إنه لأكرم للمرء أن يعيش مجاهدا على أن يعيش في ظل الرق والعبودية**). تربى دوداييف تربية صوفية على الطريقة الصوفية النقشبندية التي انتشرت في منطقة القوقاز ، وانضوى تحتها مئات الألوف بل ملايين المجاهدين ، وكان لهذه الطريقة أعظم الأثر في إذكاء روح الجهاد والمقاومة ليس في القوقاز فحسب بل في جميع الأراضى الروسية التي وقعت فريسة تحت الاحتلال الروسي .

وعلى الرغم من تربية دوداييف العسكرية ونشأته الجبلية ، وطفولته التي قضاها في المنفى الإجباري الذي أمر به ستالين ، كان رقيق الحاشية لايميل إلى العنف بأى شكل من الأشكال ، وكان متمسكا بأفكاره الدينية ، فمنع ممارسة الطب النسائي على الأطباء الرجال ، وأعاد افتتاح ١٥٥٠ مسجدا كان الشيوعيون قد أغلقوها، واتخذ قرارا بتبني الدولة النشاط الثقافي الإسلامي والدراسات الإسلامية ، فأنشأ في جروزني معهدا للدراسات الإسلامية ، وعلى الرغم من أنه كان على المذهب الحنفي إلا أنه دعم إقامة معهد الإمام الشافعي للدراسات الإسلامية واستقدم له معلمين عرب .

أعلن دوداييف أن الدولة لايمكن أن تقف موقف اللامبالاة تجاه الدين ، وإنما ستعمل على التغلب على آثار الإلحاد الروسي ، وأنها ستولي الدين اهتماما خاصا لأنه يمثل ذلك الأساس الذي يتعرض للتفسخ ، ولا يزال يتعرض للحصار كى لا يتمكن الناس من تحقيق الوحدة من خلاله .

وفي فبراير عام ١٩٩٣م تقدم دوداييف بمشروع خاص للإصلاح الدستوري ينص على إعلان الإسلام دينا للدولة وإدخال المحاكم الشرعية مع المحافظة على المحاكم العلمانية ، وفي أوائل شهر مارس عام ١٩٩٥م قررت السلطات الشيشانية إعطاء مكانة أكبر للدين من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية ، وفي اجتماع للمؤتمر الشعبي عقد في مدينة شالي الواقعة جنوب شرق جروزني قرر المؤتمر تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الشيشان مع إبقاء المحاكم المدنية للنظر في قضايا غير المسلمين ، وإعطاء السلطات الدينية مكانة أكبر في الحياة الاجتماعية في البلاد ، وأصبح لذلك على طلاب المدارس ضرورة تعلم اللغة العربية لقراءة القرآن الكريم .

حرب الشيشان الثانية ١٩٩٩ـ٢٠٠٠م.

الأسباب الحقيقية للحرب :

على الرغم من أن روسيا لقيت هزيمة ثقيلة في حربها ضد الشيشان عام ١٩٩٦م . وأسفرت عن اعتراف روسيا باستقلال الشيشان . إلا أنها هذه المرة دخلت حربها ضد الشيشان بقوة وشراسة وتدمير البنية التحتية للبلاد ، وبمطالبة شعبية بضرورة سحق الشيشان والشيشانيين ، مع أن الشعب الروسي نفسه هو الذي طالب يلتسن بضرورة وقف الحرب عام ١٩٩٦م والانسحاب من الشيشان والاعتراف باستقلالهم خاصة بعد وصول آلاف التوابيت الممتلئة بالجنود القتلى الروس إلى موسكو .

أقدمت روسيا هذه المرة في حربها ضد الشيشان ، بعد أن مهدت لها إعلاميا بنجاح، فأنشأت مسبقا مركزا إعلاميا ضخما لبث التقارير اليومية المكتوبة والمصورة، ونتيجة لذلك تغيرت صورة الشيشان لدى الشعب الروسي وأصبح يطالب بسحق الشيشان والشيشانيين .

ولم يكن سبب إقدام روسيا للهجوم على الشيشان ، هو كما زعمت وسائل الإعلام الروسية والغربية ، .القضاء على الإرهاب الإسلامي بزعامة شامل باسييف ورفيقه خطاب، ولكنها كانت الذريعة لكي تبرر روسيا حربها على الشيشان ، إذ أن الشئ المؤكد هو الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين ، وطغيان المصالح المادية على حساب أي مبادئ أو أخلاقيات تتحدث عن حقوق الإنسان ، وغير ذلك مما تلوكه الألسنة وتتغنى به منظمات حقوق الإنسان ووسائل الإعلام في تقاريرها .

لقد توافقت مصلحة روسيا مع مصالح الغرب الصليبي ، في القضاء على المجاهدين الذين يسمونهم باسم الإرهابيين ، وفي نفس الوقت كان استنزاف ما تبقى من قوة روسيا هدفا استراتيجيا دائما للغرب ، وحتى لا تقوم قائمة لأى كيان إسلامي في هذه المنطقة الغنية بمواردها وتراثها وحضاراتها .

كما أنه من الشئ المؤكد أن روسيا خافت من ضياع ثروة طائلة متمثلة باكتشاف احتياطي بترول بحر قزوين ، يقدر إجمالي ثمنه بحوالي ٤٠٠٠ مليار دولار، وأرادت روسيا أن تنفذ إلى بحر قزوين عن طريق الشيشان وداغستان وتسيطر على الثروة الطائلة، وتخرج من حربها وقد ربحت مليارات الدولارات .

ولمعرفة أهمية بترول بحر قزوين ، والذي تضع أذربيجان يدها على كميات كبيرة منه ، فقد طلبت أذربيجان من أمريكا أن يتم نقل قاعدة أنجرليك التابعة لحلف الناتو من مقرها في تركيا إلى أذربيجان ، لحمايتها من أطماع روسيا وأرمينيا على حد سواء ، وقد

أولت الولايات المتحدة اهتماما كبيرا بهذا الشأن أثناء قمة الأمن والتعاون الأوروبي في اسطنبول.

أحداث داغستان ١٩٩٩-٢٠٠٠م

أعلنت الشيشان استقلالها من جانب واحد ، بعد انسحاب الروس في أغسطس عام ١٩٩٦م ، وكان حصاد العمليات والممارسات الوحشية الروسية ، عشرات الألوف من القتلى والجرحى والمشردين ، ورغم ذلك كله أصر الروس على قمع كل صوت ينادي بالحرية الإسلامية في القوقاز ، فنال الجماعات والحركات الإسلامية في جمهورية داغستان المجاورة للشيشان ، ذات المليوني نسمة ، ما نالها من القمع والقتل والتشريد ، خاصة العلماء والدعاة والأئمة منهم ، فهدموا مساجدهم ومدارسهم ، وأغلقوا مراكزهم الإسلامية ،وأرهبوهم بكل أنواع الإرهاب ، وما كان منهم إلا أن استغاثوا بإخوانهم في العالم الإسلامي ، ليدفعوا عنهم عدوان الروس البربري المتوحش ، فلم يجبهم إلا إخوانهم الشيشانيون وبعض المجاهدين العرب الذين اشتركوا في هزيمة القوات الروسية في أفغانستان عام ١٩٨٩م ..وكانت جروزني قد أصبحت ممرا وملتقى لهم ، نشروا فيه فنونهم القتالية التي تعلموها على أيدي القوات الباكستانية الخاصة، وعملوا على تدريب عناصر شيشانية شابة.

وكان المجاهدون قد قاموا بدراسة شاملة للأوضاع العسكرية والإقتصادية والإدارية في المنطقة ، ووجدوا أن التصدي للغطرسة والعنجهية الروسية مناسبا ، وتوصلوا إلى أن تهديد روسيا المتكرر للشيشان وللمجاهدين خاصة ، ولاسيما وأن الروس كانوا يعدون العدة لغزو الشيشان من جديد انتقاما وثأرا لهزيمتهم في الحرب السابقة . ، وعقد المجاهدون لذلك الأمر عدته .

أخذ المجاهدون بأسباب الاجتهاد ، ومن هذه الأسباب التي اتخذوها [(١)]:

[١] . الدراسة العسكرية للوضع في الشيشان وداغستان ، بل وما جاورهما منذ سنتين أو أكثر ، حيث أفادت هذه الدراسة أن هذا الوقت هو أنسب الأوقات من حيث المقومات العسكرية للعدو وللمجاهدين .

[٢] الاستشارة فيما بينهم في هذا الأمر ، وفيما بينهم وبين إخوانهم في داغستان ، وقد شكل لأجل ذلك مجلس شورى بين علماء الشيشان وداغستان وأهل الرأي فيهما ، وكان هذا المجلس قد بحث وتداول هذه القضية من جميع جوانبها تغليبا للمصالح ودرءا للمفاسد ، وترجيحا فيما بين المفاسد .

---

(١) إصدارات المركز الإعلامي للقوقاز

[٣] استشارة بعض أهل العلم من خارج المنطقة كلها في العالم الإسلامي .

[٤] وضع روسيا الإداري والاقتصادي كان سببا في استغلال الفرصة حال ضعفها واضطرارها الإداري ، لاسيما أنها كانت تعد العدة وعازمة على غزو الشيشان من جديد ، وكما كان يقول بعض قادة الجيش بعد خروجهم في الحرب الأولى : سنرجع إلى الشيشان ولو بعد خمسين سنة ، فالانتظار حتى تستقر روسيا سياسيا واقتصاديا وعسكريا يعتبر خطأ أعظم ، فالوقت في صالحها لتتقوى وهو ليس في صالح المجاهدين .

[٥] وضع الشيشان من حيث العزلة المفروضة عليه ، فكان يجب على المجاهدين العمل على فتح طريق إلى وعبر داغستان إلى العالم الخارجي ، وهذا مكمل للجهاد الأولى فلا معنى لدولة معزولة ، ولابد لهم من طريق يخرجون منه إلى العالم ، والتساهل في مثل هذا الأمر قديكون سببا لسقوط الشيشان في أيدي الروس من جديد .

[٦] تهديد روسيا المتكرر للشيشان وللمجاهدين خاصة ، فاحتاج الأمر مباغتتهم، على أساس مبدأ خير وسيلة للدفاع الهجوم ، خاصة أن المجاهدين كانوا قد قبضوا على شبكة تجسس روسية من بينهم رتبا عالية ، وبالتحقيق معهم اعترفوا بأن الروس على وشك اجتياح قريب لأرض الشيشان ، وقام المجاهدون بتصوير الجواسيس وتم عرضهم على التلفاز الشيشاني .

بدأ الروس بالتحرش بالمسلمين في داغستان ، والتضييق عليهم وقتل بعض الشباب واعتقال عدد ليس بقليل ومنعوهم من بعض حقوقهم حتى صلاة الجمعة في بعض المساجد والدراسة فيها ، بل وهدم بعضها . و في الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني ١٤٢٠ من الهجرة ، قام الروس بقصف وحشي على كل القرى الداغستانية ، وحاصروها حصارا شديدا وخاصة إقليم كرماخي ، وقتلوا على إثر ذلك أكثر من عشرة آلاف مسلم ، وشردوا العشرات مثلهم ،بعد أن أعلن وزير الداخلية الروسي أن المقاتلين الإسلاميين في داغستان قد تلقوا دعما من منظمات متطرفة،عقدت اجتماعا في كراتشي ، أمنها لها الشيخ بن لادن!! ولم يكتف الروس بعملياتهم الوحشية داخل الأراضي الداغستانية ، فاجتاحوا الأراضي الشيشانية في الثالث عشرمن شهر جمادى الآخرة ١٤٢٠ ، وقاموا بإنزال قواتهم ، وذلك بدعم من الدول الغربية الحامية لحقوق الإنسان !! وقتلوا عشرات الآلاف ، وشردوا مئات الآلاف ،وما زالت تمارس أقذر حرب إبادة عرفتها الحروب في التاريخ أفرزت نتائج أشد مأساوية من الحرب الأولى ، لأن الآلة العسكرية الروسية استخدمت أسلحة أكثر تطورا ، استخدموا فيها الأسلحة الفتاكة ، وأدوات التدمير الشامل المحظور استعمالها دوليا من قذائف انشطارية ،وقنابل عنقودية ، وصواريخ مدمرة ، وانتهجوا

سياسة الأرض المحروقة لإخضاع الشعب الشيشاني ، وارتكبت فيها المجازر ما يشيب لها الولدان ، وبدعم من الكيان الصهيوني الذي كلف جهاز الموساد بمساعدة القوات الروسية في القضاء على التمرد الإسلامي .

وبدلا من أن تتخذ كل القوى والدول الإجراءات والوسائل لمنع هذه الحرب الظالمة ،وتعمل على إيقاف هذا النزيف الدموي الرهيب ، وأن تخرج من صمتها الرهيب نصرة لشعب لا ذنب له ولا جريرة إلا أنه أبى أن يفرط في أرضه وكرامته وسيادته ، وبدلا من أن يتدخل الغرب لوقف المجازر التي ترتكبها القوات الروسية ، يعلن رئيس مكتب التحقيقات الأمريكي أنه سوف يقف بكل ما يملك وجهازه بجانب القوات الروسية في القضاء على الإرهابيين !! ويعلن الرئيس الأمريكي أنه سوف يدعم المساعي الروسية لإحلال الأمن في روسيا بكل الوسائل ، ورافق هذا الإعلان استعداد الاستخبارات البريطانية تقديم المساعدة للروس للقضاء على الإسلاميين ، أما رئيس كندا فيصرح بأنهم يؤيدون الحكومة الروسية في استخدامها القوة لوقف التمرد .

وعلى الرغم من مرور أكثر من تسعة أشهر على بداية العمليات العسكرية ، لازالت تداعيات العدوان الروسي على الشيشان وشعبها المسلم تتوالى ، وسط صمت دولي مطبق ورهيب على ما يحدث من دمار وموت وهلاك ، يقع كل ذلك تحت سمع وبصر من يزعمون أنهم دعاة الديمقراطية والحرية ، وحماة حقوق الإنسان وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها !!

في ظل هذا التواطؤ المخزي تتواصل الهجمة الوحشية ، لتزيد من فضح حقيقة ما يسمونه بالنظام العالمي الجديد أو العولمة، ويكشف عن عمق الأزمة اللا أخلاقية التي يعاني منها هذا النظام ، الذى لم يقم على أي مبدأ من مبادئ العدل ، أو أى صفة من صفات الإنصاف ، ولم يهدف من بدايته إلا إلى احتواء العالم الإسلامي والسيطرة على مقدراته وثرواته ، وتمزيق كيانه والحيلولة بين المسلمين وبين ظهور أى قوة لهم في أى بقعة من بقاع العالم ، كما يهدف إلى تشجيع كل الدول والأنظمة والحكومات والعصابات التي تقوم باضطهاد المسلمين أو قمعهم أو تصفية وجودهم في كل مكان أن تمارس جرائمها دون ضغوط حقيقية.

هل نجحت روسيا في تحقيق أهدافها ؟؟

كلا إنها تدفع الثمن غاليا .. بعد أن فشلت كل التقنيات الحديثة أمام معنويات المجاهدين ، وبعد أن فشلت كل خطط الجنرالات العسكريين الروس ، وبعد أن فشلت خططهم السياسية في إخضاع الشعب الشيشاني المسلم . عدد قتلاها في ازدياد كل يوم.. الروح المعنوية للمجاهدين مرتفعة ، و الروح المعنوية لدى الجنود الروس في الحضيض،

وتفر أعداد كبيرة منهم وأخرى تلجأ للانتحار ، ونفقات الحرب مهلكة بالنسبة للاقتصاد الروسي المنهار ، واستمرار الحرب يمثل كارثة عليها بكل المقاييس، وربما أدت إلى تفكك الاتحاد الروسي وانهياره ، وربما أسهمت هذه الحرب الظالمة في رسم خارطة جديدة للقوقاز وآسيا الوسطى ، بعد غرق الروس في المستنقع القوقازي ، وإخفاقهم في وأد الجهاد الإسلامي أمام ازدياد صلابة المجاهدين .. ورد الله كيد المعتدين في نحورهم.

كلمة أخيرة في الخاتمة للعالم الإسلامي :

إن المثير للأسى والبعيد عن المنطق والمخالف للمصلحة العربية الإسلامية ، هو الصمت المميت والتخاذل المشين الذي تمارسه دول وشعوب العالم الإسلامي وحكوماته ، ومؤسساته الناطقة باسمه والمعبرة عن سياساته ، وكأن الأمر لا يعنيها من قريب أو بعيد، وكأنها في مأمن من الخوف والخطر والدمار الذي يحيق بالشعب الشيشاني المسلم، بينما الحقيقة على خلاف ذلك .

إن ما يتعرض له شعب الشيشان من مجازر وانتهاك صارخ لحقوق الإنسان إنما هو جزء من لعبة دولية كبرى ضد العالم الإسلامي بأسره ، وإبقائه محاصرا بالمجاعات وبالحروب وبالفتن الداخلية ، وبتفكيك أوصاله ونهب ثرواته .

وإذا كنا نلوم الغرب على التواطؤ مع قوى الظلم والعدوان . فإن اللوم الأكبر نوجهه إلى الدول الإسلامية شعوبا وحكومات ، وندعوها إلى النهوض بما يمليه عليه دينها ومصلحتها وكرامة أمتها ، وأن تتدارك الأمر بتوحيد الصف ووقف العدوان على المسلمين في كل البقاع .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك .

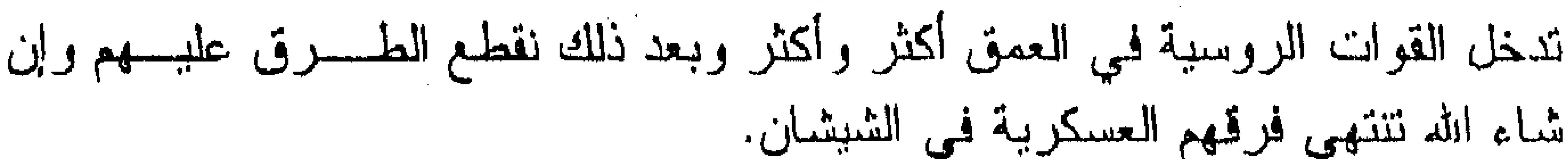
الجهاد الشيشاني .. صور وسطور

- مقابلة مع القائد الميداني شامل باسييف.
- مقابلة مع القائد خطاب.
- قصة حياة شهيد بساق واحدة.
- اعتقال الأسد سلمان بن رادو الشيشاني.
- تنفيذ حكم الإعدام في الجنود الروس.
- صور بعض الشهداء

الملاحـــــق

الجهاد الشيشاني .. صور .. وسطور

مقابلة مع القائد الميداني شامل باسييف في ٢٠٠٠/١/١٠م



س١ ما هو الوضـــع الآن للمجــاهدين الإسلاميين في ضوء الهجمات العنيفة للقوات الروسية حتى الآن؟.

ج١ اليوم وضع المجاهدين جيد، الروس متواجدون في الأراضي المفتوحة الشيشـــانية وعندهم خسائر فادحة دمر لهم أكثر مـن ١٥٥ آلية وتقريباً ٢٠٠٠قتيل وأسقطت ١٢طـــائرة جيت وأسقطت ٧طائرات عمودية، ولكن نحـن نعتبر أن القتال سوف يبدأ الآن وحتى الآن لـم تكن هنالك مواجهة حاسمة، نحن نتركهم حتـى تدخل القوات الروسية في العمق أكثر وأكثر وبعد ذلك نقطع الطـــرق عليـــهم وإن شاء الله تنتهي فرقهم العسكرية في الشيشان.

س٢ نُظر إلى انسحابكم من داغستان إلى الشيشان على أنه سبب في توريط الشيشـــان في حرب جديدة فما هي طبيعة العلاقة بينكم وبين الحكومة هناك؟ وهل تجـــدون تأييد من الرئيس مسخادوف؟

ج٢ نحن لم نتدخل في داغستان بل ذهبنا نساعد إخواننا المسلمين في داغستان عندمـــا كان الروس يقاتلونهم، وداغستان وطننا فهي وطن للشيشانيين وللداغستانيين فبـالقوة فرقتنا روسيا وبالقوة نجتمع، علاقتنا مع الحكومة العميلة في داغستان عدائية، أمـــا مساعدة مسخادوف لنا لم تكن ولم نرى، ولكن لم يضايقنا أبداً.

س٣ ماذا تقولون في الصمت العربي والإسلامي تجاه ما يجري في الشيشان؟

ج٣ قادة الدول الإسلامية أو العربية نسوا أو لا يعرفون أن القوة كلها بيد الله عز وجـل ولهذا يخافون من روسيا وحتى البعض يرجون ويبتغون التقارب مع روسيا، فقـط نحن نتأسف عليهم وإن شاء الله ندمر روسيا ونحررهم من هذا الخـــوف، ولكننـــا نلمس ونحس بمساعدة المسلمين لنا ونقول جزاهم الله خيراً ونقـــدر مواقفـــهم لنـــا، وأكبر مساعدتهم لنا هو دعائهم وصلاتهم.

س٤ ما هي مصادر تمويلكم وتسليحكم؟ وكيف تصل إليكم الأسلحة والمؤونة؟ وما هو تعليقكم على أن المنشق السعودي أسامة بن لادن هو أحد المصادر الممولة لكم؟

ج٤ مصادر السلاح والذخائر كلها من الجيش الروسي كثير منها غنائم والبعض نشتري منهم وحتى الآن نشتري منهم إن وجدا الإمكانية والمال، أما بالنسبة لإبن لادن فليس هو الممول لنا وأنا لا أعرفه ولكني أتمنى أن ألتقي معه بعد هذه الدعاية له.

س٥ هل لديكم مقاتلون من خارج المنطقة؟ وماذا تقولون بشأن التقارير التي تشير إلى وجود متطوعين من الدول الإسلامية خاصة من الشيشانيين المتواجدون في الأردن؟

ج٥ نعم عندنا مجاهدون ولكن ليس من الخارج، حيث أن أراض المسلمين وطن واحد لكل المسلمين وهدفنا طرد القوات الروسية وبناء الدولة الإسلامية كلنا إخوة إنشاء الله.

س٦ أنتم متهمون بمحاولة نشر الفكر الوهابي في القوقاز فماذا ترد على ذلك؟

ج٦ ديننا الإسلام نتبع القرآن والسنة ونحاول الهرب من التفريط والإفراط ولا نفرق بين المسلمين بالألقاب والمسميات الذي جاء بها الكفار، وفي الجمهورية الشيشانية من الأربع مذاهب، واسم الوهابية تفرقة جاء بها الروس لأجل التفريق بين المسلمين الذين يعيشون بشرع الله.

س٧ هل تتصور أن في مقدرتكم الصمود أمام الآلة الحربية الروسية ؟

ج٧ نعم بإذن الله ولولا ثقتنا وإيماننا بالله لم نبدأ بالجهاد، قال تعالى (ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون).

س٨ ما هو تصوركم الآن هل من المحتمل حل مشكلة الحرب الشيشانية؟

ج٨ حل مشكلة الشيشان نراه فقط بما يوافق الشريعة الإسلامية وفي عام ٩٦م كان حل مشكلة الشيشان بطريقة غير شرعية، فجاءت الحرب مرة أخرى.

س٩. بالنسبة إلى اللاجئين الشيشان ما هو وضعهم الحالي، ألا تعتقدون أن حركتكم تسببت إلى حد كبير في تصاعد أزمة المهاجرين حتى وصلت إلى ما يشبه كارثة إسلامية؟

ج٩ الناس العاديين دائماً يتذمرون من الحرب، الشيشانيون يعرفون أن الله يبتليهم، ونحن نحاول حتى نقوي إيماننا ونعلم أن قتلانا في الجنة والمستقبل للإسلام.

والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

مقابلة مع القائد خطاب

يوم الاثنين ١٨/١٠/١٤٢٠هـ ـ ٢٤/١/٢٠٠٠م

هذه المقابلة أجريت بناءاً على طلبات الإخوة عبر البريد الإلكتروني وأي سؤال يريد المتابعون لصوت القوقاز الإجابة عليه إرساله عبر البريد الإلكتروني التالي فقط: goqazcom@yahoo.com

س١ ما هي آخر التطورات في العاصمة؟ وهل هناك اتصالات مستمرة بين المجاهدين داخل وخارج العاصمة؟

ج١ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.. بعد حصار العاصمة (قروزني) من كل الجهات وقصف عنيف مستمر دام عدة شهور بدأت القوات الروسية تقترب من العاصمة من الجهة الشرقية (خنكلة) والجنوب الشرقي على التباب (٤٣١،٨) ومن الجنوب ضاحية (كي قالوا) وكان هذا الاقتراب في مطلع عام (٢٠٠٠) حيث بدأت العمليات العسكرية الروسية في اقتحام العاصمة والتحمت جيوش الكفر بالمجاهدين وتكبدت القوات الروسية خسائر فادحة علماً بأنها قد أحرزت تقدماً لا يزيد عن عشرات الأمتار واستطاع المجاهدون بعون الله عز وجل استرجاع هذه المناطق من جهة الشرق فحاولت القوات الروسية التقدم من جهة الشمال مرة أخرى وكذلك من جهة الغرب ولكن دون جدوى، وللعلم فإن الفوضى والعصيان بدأت تجتاح صفوف الجيش الروسي مما أجبر القادة والضباط الروس من خوض المعركة مع جنودهم في الميدان وفقد كثير من هؤلاء القادة والضباط. أما بالنسبة للاتصالات فلله الحمد والمنة مستمرة بين المجاهدين داخل وخارج العاصمة وما زال المجاهدون يسيطرون على العاصمة سيطرة تامة بفضل الله عز وجل وحده.

س٢ كيف استطعتم الوقوف في وجه الآلة العسكرية الهائلة والمتطورة؟ وما هي أبرز أنواع الأسلحة التي تستخدمونها؟

ج٢ يعود سبب وقوفنا في وجه هذه الآلة العسكرية وانتصاراتنا عليهم لفضل الله عز وجل- أولاً ثم إلى الرسالة الصادقة التي يحملها المجاهدون في الدفاع عن عقيدتهم وأرضهم حتى يحققوا الخلاص من الحكومة الروسية المتهالكة. أما عن السلاح فعندنا سلاح الإيمان والتوكل على الله وحده أولاً ثم السلاح الروسي الذي نغنمه من القوات الروسية (وجعل رزقي تحت ظل رمحي) كما قال صلى الله عليه وسلم.

س٣ هل عندكم القدرة على مواصلة القتال لفترات طويلة؟ وإلى متى؟

ج٣ نعم ـــ إن شاء الله ـــ فلو لم تكن عندنا القدرة على ذلك لما دخلنا (داغستان) لنجدة إخواننا في مناطق إقليمي (بوتليخ) و (كراماخي) لقتال الجيش الروسي المريض الذي أوقف الحرب في سنة (١٩٩٦م) بعد دخول المجاهدين (قروزني) للمرة الثالثة

وحصار القوات الروسية فيها من كل مكان وضرب قوافلهم عدة مرات. وهذا السؤال الأحرى أن يوجه إلى قيادة الجيش الروسي المتهالك هل عندهم القدرة على مواصلة القتال ضد المجاهدين أم لا؟ أما إلى متى هذه الحرب؟ فنحن نقول حتى يُباد الجيش الروسي في القوقاز وما ذلك على الله بعزيز.

س٤ من المعلوم أن الحرب لها تكاليف باهظة ولا سيما وأنكم تعتبرون دولة صغيرة وفقيرة وفي مقابل دولة تعتبر عظمى وهذا مما يضاعف التكاليف، فمن أين تتلقون الدعم المادي؟ وما هي مصادر أسلحتكم؟

ج٤ لن يكون الشعب الشيشاني أفقر من الشعب الأفغاني، ومع ذلك هزموا روسيا في الحرب الأفغانية والذي أعرفه أنه منذ أن حمل المجاهدون السلاح لم يضعوه وهم يقاتلون على أرضهم حفاظاً على دينهم وأموالهم، وشعوب القوقاز تدعم بعضها البعض وأيضاً تتعاطف معها الشعوب الإسلامية، وجهودهم لها الأثر الكبير في مجريات القتال فضلاً عن الغنائم الكثيرة التي مّن الله بها علينا، وأما مصادر السلاح فهي الغنائم والشراء من الجيش الروسي المتهالك الذي لديه الاستعداد أن يبيع روسيا بأكملها من أجل المال كما فعل (بوتن) الفاشل فإنه يبيع روسيا من أجل المنصب حيث أن الجيش الروسي لا يعرف لماذا يقاتل أو إلى متى.!

س٥ ما هي حقيقة العلاقة بينكم وبين الرئيس مسخادوف، وما مدى صحة الأخبار التي تقول بوجود خلافات بينكم؟

ج٥ أصلان مسخادوف هو رئيس الجمهورية الشيشانية كما هو معلوم، أما عن وجود خلافات فلا يخلوا قوم منها وهذه من طبيعة البشر، ولكن المهم أن الجميع يداً واحدة وعلى قرار واحد في مواصلة الجهاد ضد الجيش الروسي الغاشم حتى نهايته وهذه بداية النهاية بإذن الله -تعالى-.

س٦ كيف تقدرون الخسائر البشرية والمادية التي وقعت بالنسبة لكم وكذلك بالنسبة للجيش الروسي؟

ج٦ بالنسبة لنا هذه ليست خسائر فنحن نؤدي شعيرة عظمية فرضها الله تعالى علينا وهي ذروة سنام الإسلام ولا يكون التمكين في شرع الله دون ابتلاء، أما خسائر الجيش الروسي فمئات من الآليات المدمرة والمتناثرة في أرجاء أرض الشيشان علماً بأن الجيش الروسي يسحب كثيراً من آلياته المدمرة كي يخفف الخسائر الفادحة ويرفع من معنويات جنوده. أما القتلى فلا يقلون عن (١٠,٠٠٠) قتيل وجريح والأعداد تتزايد لأن القوات الروسية تستخدم المشاة في التقدم بشكل كبير على العكس من حربهم السابقة.

س٧ صدرت من القيادة الروسية تصريحات تفيد بأنها لن توقف الحرب حتى تقضي على الإرهابيين كما تصفكم! فما هو ردكم على هذه التصريحات؟

ج٧. أسلوب القضاء على المجرمين ليس بهذا الشكل فتدمير القرى وقتل النساء والأطفال والشيوخ وحرق المنازل والمزارع إنما يدل على الإرهاب الحقيقي والإجرام الدولي ضد المسلمين. لهذا فتصميم الشعوب في القوقاز يزداد يوماً بعد يوم على مواصلة القتال ضد القوات الروسية وليكن في حساب القوات الروسية إن همم المسلمين لا تضعف باستشهاد القادة بل تقوى بفضل الله لأن العمل لله عز وجل وليس لأشخاص، فمثلاً عندما قتل "جوهر دوداييف" ـ رحمه الله ـ زاد حقد الشعب الشيشاني وغضبهم على الروس وأعطاهم دافعاً قوياً في مواصلة جهادهم.

س٨ كيف ترون الموقف الإسلامي والدولي تجاه قضيتكم؟

ج٨ لا شك أن الموقف الإسلامي الشعبي له تأثير كبير على القضية كما كان في قضايا المسلمين السابقة فيكفي دعاؤهم ومساندتهم بما يستطيعون ونحن نعلن من هنا أننا مدينون لإخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على هذا الدعم المتواصل والدعاء المستمر وليعلموا أن ما حققناه من انتصارات إنما هو بفضل من الله أولاً ثم بفضل وقفتهم المشرفة والتي نأمل أن تستمر حتى النصر والتمكين.

أما الموقف الدولي فمخزي والكفار ملة واحدة حيث تعطي المواعيد بإيقاف الحرب دون أن نرى تحركاً حقيقياً على الساحة كما تحركت قوات الناتو خلال (٤٨) ساعة واتخذت قرارات صارمة في تيمور الشرقية وهذا لن يكون مع المسلمين لأن ملة الكفر واحدة كما قال تعالى "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم" وهذه القضية تخص المسلمين وحدهم.

س٩ هل ترون أن هناك إمكانية لحل الأزمة سلمياً؟ وما هي الكيفية المناسبة لهذا الحل في نظركم؟

ج٩ لقد حاول القادة الميدانيون من قبل حل القضية بطرق المفاوضات طبقاً لشروط دولية والنتيجة أن الحرب كانت مستمرة بشكل آخر ضد الشعب الشيشاني وشباب القوقاز المسلم في (داغستان) و (قرتشاي) و (أنقوشيا) وسائر الجمهوريات، وكما قال أخي (شامل باسايف) حفظه الله أن الجميع على قناعة تامة أنه لا يوجد حل إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية ومحاكمة روسيا ومجرمي الحرب فيها ولو بعد حين.

س١٠ نسمع في بعض الإذاعات أن هناك مفاوضات يقوم بها بعض القادة الشيشانيون لحل القضية سلمياً؟

ج١٠ هذا غير صحيح ولم يصرح به أحد من القادة الميدانيين وإن كان هناك بعض رجال الأعمال مثل (مالك سيدليف) يقوم بهذا الأمر إعلامياً فقط إلا أنه لا يمثل إلا

نفسه وهو من عبيد الحكومة الروسية التي تحـاول إظـهاره للعـالم بأنـه يقـوم بمفاوضات سلمية لحل القضية الشيشانية، فكيف يكون ذلك والمعارك العنيفة تـدور في جميع أنحاء أراضي الشيشان؟

س ١١ هل لديكم كلمة أخيرة تودون قولها؟

ج١١ نشكر المولى العزيز الجبار الذي قهر الملاحدة الروس ورد كيدهم فـي نحورهـم ومّن علينا بهذا الجهاد وهذه الانتصارات التي بينت أن الآلـة العسـكرية والمـادة وحدها لا تساوي شيئاً أمام قوة الإيمان واليقين بنصر الله القائل "ولينصرن الله مـن ينصره إن الله لقوي عزيز" -الحج.

كما أوصي من يريد معرفة الأخبار الصحيحة وحقيقة ما يدور على أرض المعركة بزيارة موقعنا (صوت القوقاز).

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القائد العسكري

خطـــــاب

ابوبكر عقيدة

قصة حياة شهيد بساق واحدة

قصة حياة شهيد بساق واحدة لقي ربه شهيداً. ساق واحدة خير مـن سـاقين.. ولا نامت أعين الجبناء وفاء بحق هذا المجاهد المقدام رأينا كتابة هذه النبذة عن الأخ "أبو بكـر عقيدة" عسى أن يذكره إخوانه من المسلمين بدعوة صادقة.

إنه من المجاهدين الذين امتن الله عليهم بالشهادة نحسبه كذلك ولا نزكي علـى الله أحداً-، فقط ذهب في هدوء ولم يذكره الكثيرون ولم يعرفه الكثيرون على الرغم من جـهده وجهاده وعطائه في ساحات الجهاد التي ترك فيها بصماته على الكثيرين ممن عرفوه..

ومع استقلال دولة الشيشان الذي كاد أن يتحقق وسيتحقق بإذن الله تعـالى، ومـع ارتفاع رايات الجهاد داخل داغستان، كان لا بد أن نذكر ذلكم الشهيد الذي خط ببنانه مـع إخوانه أولى الخطوات، وروى بدمائه شجرة الجهاد التي أصبحت عالية وارفـة وأصلـها ثابت متجذر في أرض القوقاز وفروعها تداعب السحاب ليهطل مطره فيثبت الذين آمنوا..

إنه الشهيد (المهندس أشرف عبد الحميد الشنتيلي) والذي عرفته ساحات الجهاد فـي أفغانستان ومصر والشيشان باسم أبو بكر عقيدة..

والمرصد الإعلامي الإسلامي متابعة منه لقضية الجهاد في أرض الإسلام أرض بخارى وسمرقند، وقياماً منه بدوره الإسلامي الإعلامي في تعريف المسلمين بأبطاله وشهدائه يقدم هذه النبذة المختصرة عن ذلكم الشهيد لا لنوفيه حقه، فهذا له عند الله تعالى ولا نملكه، ولكن لنقدم القدوة والأسوة لشباب الأمة حتى لا ينتقل المهمة وترتفع عنده الهمة ويعلم أنه إن صدقت العزيمة وصلحت النية فسيجود كل بما يستطيع ولو كان بساق واحدة.

لقينا صعوبة في كتابة هذه النبذة عنك يا أبا بكر. فالكلمات وحدهما مهما كثرت لا تستطيع أن توفيك حقك وأن تصفك كما عرفناك وعرفك إخوانك المجاهدون، فلن يعرفك حقاً إلا من جلس معك وأكل وشرب معك وتكلم معك ونام معك وشاطر أحلامك وآمالك وحبك لهذه الأمة، لن يعرفك يا أبا بكر إلا هؤلاء فهم الذين فهموك وفهمتهم وعرفوا حقاً من أنت يا أبا بكر، وعرفوا حجم الخسارة التي مني بها المجاهدون في أنحاء العالم بفقدانك. ثم إنه لا يهمك ألا يعرفك من لا يعرفك فيكفي أن يمن الله عليك بصحبة الحور العين مع إخوانك من الشهداء والصالحين ولا نزكي على الله أحداً. وفي النبذة التالية سنتناول بعض التفاصيل عن حياة أبي بكر رحمه الله وجهاده وكيف قتل، نسأل الله أن يتقبله مع الشهداء والصديقين. "والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم" الآية.

نشأته وحياته رحمه الله:

نشأ أبو بكر رحمه الله في قرية من قرى صعيد مصر وهي نفس القرية التي نشأ فيها الشيخ "أبو طلال القاسمي" الذي خطفه الكروات بمساعدة المخابرات الأمريكية وهو في طريقه إلى البوسنة وسلموه للنظام المصري، وهناك احتمال أن تكون السلطات المصرية قتلته بعد استلامه، له من الأشقاء خمسة أو ستة كان أحدهم أحد القادة البارزين مع صغر سنه في كتائب الشهيد طلعت ياسين التابعة للجماعة الإسلامية بمصر، وهو الشهيد ياسر يرحمه الله كما أن له أخوة مازالوا في سجون طاغية مصر.

تخرج أبو بكر رحمه الله من المدرسة الثانوية في مصر بدرجات عالية ضمنت له مكاناً في كلية الهندسة بجامعة أسيوط التي التحق بها ليحصل على بكالوريوس هندسة قسم ميكانيكا. وفي أثناء دراسته في الجامعة ظهر لديه الميل للعمل الإسلامي، وفي تلك الأثناء قابل الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن فك الله أسره وغيره من العلماء المجاهدين ومكث سنتين يتعلم على يديه. ولكن أنى يترك النظام المصري الغاشم الطاغي مثل هذا الأخ ينعم بالعلم؟ فلم يسلم من يد البطش والظلم والقهر حيث اعتقله النظام المصري فترة من الزمن قبل أن يغادر أرض مصر مجاهداً فما كان منهم إلا أن اعتقلوه فترة كافية لتحرمه من الخدمة العسكرية في الجيش. (يمنع الإسلاميون المصريون ومن له ميول إسلامية من أداء

الخدمة العسكرية في محاولة من النظام لمنع انتشار المد الإسلامي داخل أجهزة الجيش والشرطة..).

لبى نداء الجهاد في مرحلة مبكرة، وسبق كثيراً من أقرانه إلى أرض الجهاد في حينه أفغانستان. وهو من الشباب القلائل الذين خرجوا من مصر جهاداً في سبيل الله وإعلاء لكلمة الله تعالى، وقبل أن تمتد يد النظام المصري الغاشم إلى الدعاة فتشردهم بعيداً عن أرضهم ووطنهم، حيث التقوا جميعاً في أرض الجهاد فقد خرج مجاهداً لنصرة لدينه وإخوانه ولم يخرج مهاجراً فاراً بدينه ونجاة بإيمانه وإن كان في كلٍ خير.

وطأت أقدامه أرض الجهاد الباسلة بعد أن حصل على بكالوريوس الهندسة، غادر مصر وذهب لأرض الجهاد في أفغانستان، وكان عمره في ذلك الوقت خمسة وعشرين عاماً. ومكث أبو بكر هناك سنة ونصف السنة يقاتل أعداء الإسلام ويدافع عن أراضي المسلمين، ويكتسب خبرة قتالية ومهارات فنية عسكرية، وفي هذه الفترة فقد إحدى ساقيه نتيجة انفجار لغم فيه خلال إحدى العمليات العسكرية في جلال آباد.

وفي فجر يوم ٢٢ ديسمبر١٩٩٧، شارك أبو بكر عقيدة في هجوم على قاعدة عسكرية روسية في بيونكسك داغستان، لم تمنعه رجله الصناعية من المشاركة، وفي اللحظات الأولى من المعركة قُتل أبو بكر رحمه الله، قُتل مقبلاً غير مدبر، قُتل عليه رحمة الله وكان عمره في ذلك الوقت ٣٦سنة. وقد ترك أبو بكر خلفه زوجة وأربع بنات صغار في الشيشان. نسأل الله أن ييسر لهن أمورهن وأن يسهل لهن أمور حياتهن وأن يجمعهن مع أبي بكر في الجنة بإذنه تعالى.

استشهاده رحمه الله:

في يوم ٢٢ديسمبر١٩٩٧ هاجم المجاهدون العرب بقيادة ابن الخطاب في الشيشان قاعدة عسكرية روسية في داغستان. ولله الحمد فقد كان هذا الهجوم هجوماً ناجحاً مباركاً.. ولكن مع نهاية المعركة كان المجاهدون قد فارقتهم روح طاهرة لتحلق في حواصل طير خضر تستبشر بهم عند ربهم، كانت هذه هي روح الشهيد أبو بكر عقيدة نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً فقد كان رحمه الله محبوباً في أوساط المجاهدين يحترمه ويقدره الجميع.

ولندع أحد الأخوة الذين كانوا معه في أرض الجهاد يصف لنا أحداث ذلك اليوم وغيره من الأحداث فيقول: عندما بدأنا العملية الجهادية ضد الشيوعيين انتابهم الهلع وأمطرونا بقذائف متتالية سريعة مستخدمين كل أنواع الأسلحة، وفي مثل هذه الحالات يأخذ المجاهدون ساتراً من هذه الحمم، استعداداً لمواصلة الزحف ضد العدو.

كان أبو بكر رحمه الله أحد قادة هذه العملية فطلب من أحد الأخوة أن يأتي بذخيرة ودانات للهاونات، فلم يتحرك أحد، فذهب القائد بنفسه ذهب أبو بكر يرحمه الله بنفسه. وعاد بعد حوالي ساعة ونصف الساعة معه صندوق دانات، ثم طلب من الأخوة أن يحشوا المدفع ويطلقوه، فقال له أحدهم ولم لا تفعل ذلك بنفسك؟ فرد أبو بكر رحمه الله قائلاً: إنه لا يستطيع لأنه أصيب بطلق ناري في الطريق دخل في ذراعه واخترق العظم، فطلبنا منه العودة لمعالجة الجرح فرفض رحمه الله مفضلاً المكوث معنا لنكمل القتال.

بعد ذلك مباشرة وبندقيته في يده، خطا أبو بكر على لغم مضاد للأفراد في أثناء سيره نتج عنه بتر ساقه من تحت الركبة، فحملته من الخطوط الأمامية إلى المؤخرة وركبت معه سيارة الإسعاف لتأخذه للمستشفى في بيشاور. وبعد عدة ساعات وصلنا إلى المستشفى بعدما فقد أبو بكر كمية كبيرة من دمه تركته في حالة من الإنهاك الشديد كان العرق يتصبب من وجهه كالماء ومع ذلك فلم أسمع منه صوت ضجر أو أنين، ولم أسمع منه طوال هذه الساعات سوى صوت خافت يلهج بذكر الله، فتلفت إليه وقلت له: صبراً يا أخي فذلك طريق الجنة، فهز رأسه رحمه الله ورد بصوت خافت: صدقت.

عاد أبو بكر رحمه الله إلى الجبهة بعد أن ركبوا له رجلاً صناعية ليكمل القتال ويدرب إخواننا، ولم يترك الجهاد بعد أن فقد ساقه مع علمه أنه بعدها أصبح من أصحاب الأعذار الشرعية ولا حرج عليه إن ترك الجهاد ولكنه لم يكن من هذا الصنف من الناس الذي يترخص ما وجد إلى الرخصة سبيلاً. ولكن أنّ له ذلك وقد تملك حب الجهاد شغاف قلبه؟ وكيف يرضى مثله بالقعود وهو الذي يتمنى بأن يلحق باقي جسده إلى حيث ذهبت ساقه؟. ولم تجزع نفسه ولم يحزن لفقد ساقه بل كان لسان حاله رحمه الله يقول: ساق واحدة خير من ساقين.

ماذا بعد ذلك؟

مكث أبو بكر سنتين بين معسكرات التدريب يدرب ويوجه، ومنها معسكر تدريب الشهيد عبد الله عزام رحمه الله، وتعلم على يديه المئات من المجاهدين.. أحبه كل قادة الجهاد في أرض الجهاد كان قريباً من العالم المجاهد الدكتور عبد الله عزام رحمه الله، كان قريباً من المجاهد أسامة بن لادن حفظه الله، كان قريباً من الأخ أبو عبيد البنشيري قائد معركة المأسدة الشهيرة يرحمه الله، وكان معروفاً عند كبار قادة المجاهدين الأفغان في حينه..وفي اليوم الذي امتدت فيه الأيدي الآثمة لتغتال الشهيد الدكتور عبد الله عزام كان رحمه الله عبد بتر ساقه بقليل ينتظر الشيخ عبد الله عزام ليستمع إلى خطبة الجمعة التي كان يلقيها الدكتور يرحمه الله في المسجد الذي أعده المجاهدون لهذا الغرض، وكان الأخ الشهيد لا يترك صلاة جمعة خلف الشيخ الشهيد عبد الله عزام كلما كان في بيشاور..

بعدها بشهور تزوج، ولهذه قصة أيضاً. فقد اتصل أبو بكر بأهله في مصر وأخبرهم برغبته في الزواج، فبحث له أهله عن عروس فوجدوا أختاً مستعدة للزواج به والذهاب إليه في أفغانستان، ولله درك يا أختاه!! فكم من النساء في الشرق أو الغرب يرضين بالزواج بمن فقد ساقه فضلاً عمن اختار الجهاد طريقاً؟! ذهبت إليه الأخت وزفت إليه هناك في أرض البطولة والشهادة.

لم يغادر أبو بكر أفغانستان حتى خرج السوفييت وانهزم الشيوعيون، فخرج بعدها مع أخيه ابن الخطاب وحفنة من إخوانهم إلى طاجيكستان وقاتلوا هناك لفترة من الزمن. وعندما هدأت الأمور في طاجيكستان غادرها للحاق بابن الخطاب في الشيشان والذي كان وصل قبله بفترة قليلة. عاش سنتين في الشيشان وشارك في كل العمليات مع ابن الخطاب ومنها العملية التي أطلق على ابن الخطاب بعدها لقب "أسد الشيشان".

بعد توقيع الهدنة في الشيشان في خريف ١٩٩٦، لم يترك أبو بكر ما أتى من أجله واستمر في تدريب المجاهدين، وقد عرض عليه ابن الخطاب أن يترك الشيشان ويذهب لأحد البلدان الغربية لتركيب ساق صناعية أفضل من تلك التي ركبت في بيشاور، خاصة أن تلك الساق كان عمرها عدة سنوات وأصبحت تسبب له مضايقات كثيرة، فرفض أبو بكر بشدة قائلاً رحمه الله: إنه لا يستحق أن تصرف عليه أموال المسلمين في الوقت الذي يوجد هناك غيره ممن هم أشد حاجة لهذه الأموال.

وفي فجر يوم ٢٢ديسمبر١٩٩٧، شارك أبو بكر عقيدة في هجوم على قاعدة عسكرية روسية في بيونكسك داغستان، لم تمنعه رجله الصناعية من المشاركة، وفي اللحظات الأولى من المعركة قُتل أبو بكر رحمه الله، قُتل مقبلاً غير مدبر، قُتل عليه رحمة الله وكان عمره في ذلك الوقت ٣٦سنة.

رحمة الله بك يا أبا بكر:

. أخيراً حدث ما عاش من أجله أبو بكر، وأخيراً لحق باقي جسده بساقه التي فقدها في أفغانستان. ذهب أبو بكر شهيداً نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً- بعدما قضى إحدى عشرة سنة في جهاد في سبيل الله، ذهب أبو بكر إلى لقاء ربه بعدما أمضى ثلث عمره في الجهاد ابتغاء مرضاته. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل أعماله ون يجعل مثواه الفردوس الأعلى مع الشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقاً.

كان مجاهداً ومحرضاً على الجهاد فقد كان يمكث في أرض الحجاز يلتقي فيها بالشباب المسلم من كل مكان وخاصة مصر يحرضهم على الجهاد والسفر إلى أرض أفغانستان، وكان كثير من أهل الخير والبذل في سبيل الله يثقون فيه ويوفرون له الأموال التي يجهز بها المجاهدين ويوفر لهم بها الوصول إلى أرض الجهاد.

كان رحمه الله من صنف الرجال الذي يترك الانطباع لدى من يقابلــه لأول مــرة بقوة شخصيته وتواضعه، من دخل منزله ورأى حاله يعلم أن هذا سكن رجل طلق الدنيــا. ومع هذا التواضع تجده كريماً لضيوفه ومعتزاً بإسلامه، ولا يتكلم إلا العربية الصحيحــة ويرفض أن يتكلم العامية. كان أكثر العناصر التي نالت إعجابنا في شـخصية هـذا الأخ علمه الغزير الذي يحليه ويزينه التواضع. ومع كثرة انشغاله بالتدريب والجهاد والتحريض عليه والتجنيد له، كان من أصحاب العلم في العلوم العسكرية التي احتاجتها أرض الجـهاد، وقد اختير رحمه الله من بين كل المجاهدين فــي أفغانســتان ليكتـب الجـزء الخـاص بالمتفجرات في دائرة المعارف الشهيرة المكونة من تسعة أجزاء "دائرة معارف الجـهاد". كان رفاقه من أمثال ابن الخطاب وشامل باساييف وسـلمان رودايـيـف يمزحـون معـه ويطلقون عليه لقب "أخطر رجل في الشيشان".

كان أبا بكر يعرف في أوساط المجاهدين بأنه واحد من أعلم وأقدر قادة الميدان فــي ميادين الجهاد التي تعددت في عالمنا الإسلامي دفاعاً عن الدين ودحضــاً للكـافرين، ولله الحمد والمنة. فبموته لم تمت معه خبرته وقدراته، فبجانب موسوعة الجهاد فقد أكمل أبــو بكر قبل موته بأسبوعين رسالة تعادل رسالة الدكتوراه في تخطيط العمليـــات وتأثيرهـا، كتبها من واقع العمليات الحربية التي قام بها المجاهدون فـــي الشيشـــان، والآن تتـداول كتاباته بين قادة المجاهدين في أنحاء العالم وفي كل موقع من مواقع الجهاد فـــي عالمنـا الإسلامي الذي يحاول أن ينفض عن كاهله الغبار، ويفرك عينيه ليفيق من رقاد طويـــل. كما كان ناصحاً لقادته ورفاقه وجنوده على حد سواء، لا يخشى أن ينصح فـــي أي أمـر يرى أنه يستوجب النصح وإن كان بأسلوب مهذب ينم عن خلق جم..

كان رحمه الله متواضعاً لدرجة أن هذه المعلومات القليلة التي جمعناها عنه كـانت من حصاد ساعات طويلة قضيناها بين المجاهدين الذين يعرفونه. حتى اسمه "أبــو بكـر عقيدة" كان اسماً غريباً، وعندما سأله البعض لماذا "عقيدة"؟ فرد رحمه الله: ولمّ "مصـري" أو "سوري" أو غيره أنا مسلم أولاً وأخيراً وأريد أن أعرف باسم "عقيدة" وليس بأي اســم آخر.

اللهم إنا نسألك من أعماق قلوبنا أن تتقبل أخانا أبا بكر فــي زمــرة الشـهداء وأن تجعل مثواه الجنة وأن تلهمنا الصبر وأن تثبتنا وتقوينا لمواصلة الجهاد في سبيلك.

اللهم إنك وعدتنا على لسان نبيك بأن المرء يحشر مع من أحب فاحشرنا يا مولانـا مع الشهداء والمجاهدين واحشر معنا أخانا أبا بكر في الفردوس الأعلى.

لن ننسى يا أبا بكر الليالي الباردة الممطرة الحالكة السواد التي قضيتها تحت قصف قنابل الأعداء ونحن نائمون ننعم في بيوتنا.

لن ننسى يا أبا بكر شتاء الشيشان القاسي الذي قضيته صابراً محتسباً ونحن ننعم بدفء مخادعنا.

لن ننسى يا أبا بكر ولن تنسى أرض أفغانستان الأجزاء التي رويتها بدمائك في سبيل الله ونحن أكثرنا لم يدم له إصبع في أرض الجهاد.

لن ننسى يا أبا بكر اليوم الذي كان عرقك يتصبب فيه كالماء ساعات بعدما بعت ساقك لله ولم تشك ولم تئن موقناً أن هذا هو الطريق إلى الجنة ونحن لم تقطر منا قطرة عرق في أرض الجهاد. لقد تركت يا أبا بكر في قلوب إخوانك جرحاً لا يندمل إلا بلقياك.

يا أبا بكر إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضى الرب. نسأل الله أن يجمعنا بك في الجنة ونسأله أن يجعل سيرتك حافزاً لشباب المسلمين ولأي مسلم بقي في عروقه قطرة من دم ليتركوا ما هم فيه من عار ويهبوا لنصرة دين الله.

"الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم". "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل".

ولله در الشهيد الشيخ عبد الله عزام حينما قال: "إن هؤلاء الذين ضحوا بدمائهم ودماء إخوانهم الشهداء هم الذين يستحقون أن يحكموا بلاد المسلمين. أما هؤلاء الذي لم تنزل منهم قطرة دم أو عرق على وجوههم فأي حق لهم في حكم المسلمين".

عن المرصد الإعلامي الإسلامي

الثلاثاء ١١جمادي الثاني ١٤٢٠هـ الموافق ٢١سبتمبر ١٩٩٩م.

الأسد الأسير: سلمان بن رادو الشيشاني



إنا لله وإنا إليه راجعون.. أسر البطل..أسر بطل الإسلام في القوقاز..أسر بطل قزل وبرفومايسكوي وجروزني..

أسر الذي تصدى بمائة وثلاث وعشرين مجاهد لاثنى عشر ألفاً من جند الروس في شارع الأول من مايو بجروزني عام ٩٦م.

أسر الذي عجز الروس عن أسره عندما دخل الأراضي الفيدرالية لروسية المزعومة ودمر القاعدة الجوية في قزلر ثم خرج بعد أن مرغ أنف الجيش الروسي في التراب.

أسر الذي عجز الروس عن أسره بعد أن حاصر الآلاف من قواتهم مدعومين بالطائرات والمدرعات والمدفعيات الثقيلة يوم

برفومايسكوي ثم اخترق هذا الحصار بعون الله عز وجل ومع أقل من مائتي مجاهد..أسو الذي شهد له أعدائه بأنه قاتل يوم برفومايسكوي كالأسود..

نعم يا إخوان.. أسر سلمان بن رادو..أسر بعد أن فقد عينه وتهشمت جمجمته ووضع البلاتينيم في رأسه وإن هذا في الله لقليل..

نعم لقد عجزوا عن أسره وهو سليم معافى حاملاً لسلاحه فأسروه أثناء ضعفه ومرضه وعجزه عن القتال لإصابته البالغة فيا للخسة ويا للحقارة وإن ذلك لجدير بالروس..

أسروه بعد أن تواطأ بعد المنافقين من قومه (أعضاء في المافيا الشيشانية) فأبلغوا الروس عن مكانه بعد أن صار ذلك المكان قريباً من الحدود الأنجوشية حيث يسيطر جند الروس على المكان هناك.

سلمان بن رادوا من أبطال المسلمين في القوقاز.

ولد في الشيشان عام ١٩٦٧م ودرس بها وكان من أشد المتحمسين للاستقلال عن روسيا و لإقامة دولة الإسلام على أرض الشيشان ولم يكتف من أجل ذلك بالحديث والخطب بل دفع إحدى عينيه وأجزاء من عظام رأسه ثمناً لذلك.

ينطبق عليه قول الشاعر:

دفعوا ضريبتهم للدين من دمهم ... والناس تزعم نصر الدين مجاناً

دفعوا ضريبتهم صبراً على محن ... صاغت بلالاً وعماراً وسلماناً

تزوج من ابنة عم جوهر داود رحمه الله (الرئيس الشيشاني السابق) ولذلك يعرف أحياناً بصهر "دوداييف"، وكان يعمل في جودرميس ثاني أكبر مدن الشيشان بعد إعلان الاستقلال عام ١٩٩١م.

وعندما شن يلتسين الحرب على الشيشان عام ١٩٩٤م بعد أن فرغ من المعارضة الروسية الداخلية (التي قصفها بالدبابات حين اعتصمت بمبنى البرلمان الروسي عام ١٩٩٣م)..قاد سلمان بعض سرايا المجاهدين في الشرق ونجح في التصدي للقوات الروسية هناك.

وفي عام ١٩٩٦م قاد سلمان الهجوم الشهير على القاعدة الجوية الروسية في قزلر (داغستان) داخل الأراضي الفيدرالية الروسية المزعومة، وبعد أن كبد القوات الروسية خسائر فادحة الأرواح والطائرات تراجع سلمان إلى قرية برفومايسكوي قرب الحدود الشيشانية. وهنك تم حصاره بأكثر من ١٢ألفاً من جند الروس (فيهم مجموعة كبيرة من

المجموعة ألفاً وهم صفوة قواد الكوماندوز الروسية) المدعومين بالطائرات والمدرعات والمدفعية الثقيلة.

وبدأ القصف الجوي الرهيب والمدفعي المكثف، وظن الروس أنها نهاية سلمان رادوييف وأن تلك الوحدة الفدائية سيتم سحقها بنيران المدفعية والطائرات..ثم تمزيقها إرباً برصاصات الكوماندوز الروس..وأن تلك العملية ستكون درساً للمسلمين لئلا يتجرئوا على دخول الأراضي الروسية..ولكن هيهات..

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله..والله مع الصابرين﴾، ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنين﴾.

لم يستطع الروس اقتحام برفومايسكوي..نعم..تحققت الآية وعجز ١٢ ألفاً من جند الروس المدعومين بأحدث الوسائل العسكرية عن اقتحام قرية صغيرة فيها أقل من مائتي مجاهد..الله أكبر..

بل حدث ما هو أعجب من ذلك لقد استطاع سلمان (فك الله أسره) وإخوانه أن يخترقوا حصار القوات الروسية وأن ينزلوا بهم خسائر فادحة قبل أن يعبروا إلى الشيشان سالمين غانمين..

﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو الفضل العظيم﴾.

فلك الحمد يا أرحم الراحمين..ولقد سألت الصحفية الأمريكية (Carlotta Gall) أحد ضباط الكوماندوز الروس من مجموعة "ألفا" عما حدث هناك وكيف استطاعت تلك المجموعة الفدائية الصغيرة الصمود في مواجهة القوات الروسية العاتية فضلاً عن اختراقها وهزيمتها على أرضها (من وجهة نظر الغرب..أما الحقيقة فهي أرض المسلمين المغتصبة والأرض المغتصبة لا تصبح حقاً لمغتصبها بمقتضى المدة لا في شريعتنا ولا في قانونهم الدولي!!)..

فأجاب عليها الضابط بجملة واحدة..: لقد قاتلوا كالأسود.

وهذه شهادة العدو لسلمان بن رادو وإخوانه (كان فيهم خمسة من العرب وستة من النساء الشيشانيات اللاتي استشهد منهن أربعة..فلا نامت أعين الجبناء من رجال المسلمين..نعم قاتلت نساء الشيشان كالأسود فيا ويلنا ماذا أصاب رجالنا؟؟).

أما الحرب الحالية فلم يستطع سلمان أن يفعل الكثير بسبب إصاباته بعد أن تعرض لأربع محاولات اغتيال نفذها الإرهابيون الروس قاتلهم الله..وباءت كلها بالفشل الذريع!.

ولما عزم سلمان على الخروج من الشيشان ليعالج من إصاباته ويعود ليذيق الروس ما يستحقوا، أبلغ بعض المنافقين القوات الروسية عن مكانه بعد أن صار قريباً من الحدود

الأنجوشية وقد تهيأ لعبورها ومعه اثنين من إخوانه، فحلق لحيته وخلف سلاحه ورائه فقبضوا عليه دون رصاصة واحدة.

لقد اقتحم الروس على المسلمين خندقاً صعباً بأسرهم سلمان بن رادو، ذلك الذي حمل هم الإسلام في القوقاز لسنوات طويلة..

وأسأل الله الذي فك أسر عبد الله بن حذافة السهمي بعد أن أسره الروم ثم تركوه بعد أن رأوا من العزة والأنفة والخلق الإسلامي ما جعل ملكهم يقول: (حرام أن يقتل من هو مثلك)..وذلك بعد أن بكى حذافة عندما هموا بقتله فسأله ملك الروم عن سبب بكائه فأخبره أنه حزين على أن له نفساً واحدة يبذلها في سبيل الله ولو كان له المزيد من الأنفس لبذلهم جميعاً في سبيل الله عز وجل.

أسأل الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم والذي نجى لوطاً من القوم المفسدين..والذي نصر محمداً على القوم الكافرين..والذي فك أسر بن حذافة أن يفك أسر سلمان بن رادو الشيشاني المجاهد..برحمته فهو أرحم الراحمين..

وأسألكم يا من قصرتم في حق الله..وأبيتم نصرة إخوانكم بالنفس والمال..وفاء بحق هذا البطل الأسير..أن تدعو الرحمن أن يفك أسره وأن تؤمنوا على دعائي..

اللهم فك أسر بن رادو وفرج كربه وأجبر كسره وكف أيدي الظالمين عنه..

اللهم عافه في دينه وبدنه وعقله ودنياه يا أرحم الراحمين..

اللهم لا تجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً..

اللهم أنصر المجاهدين في الشيشان وفي كل مكان..

لك الحمد كله يا رب العالمين..وصلى اللهم وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

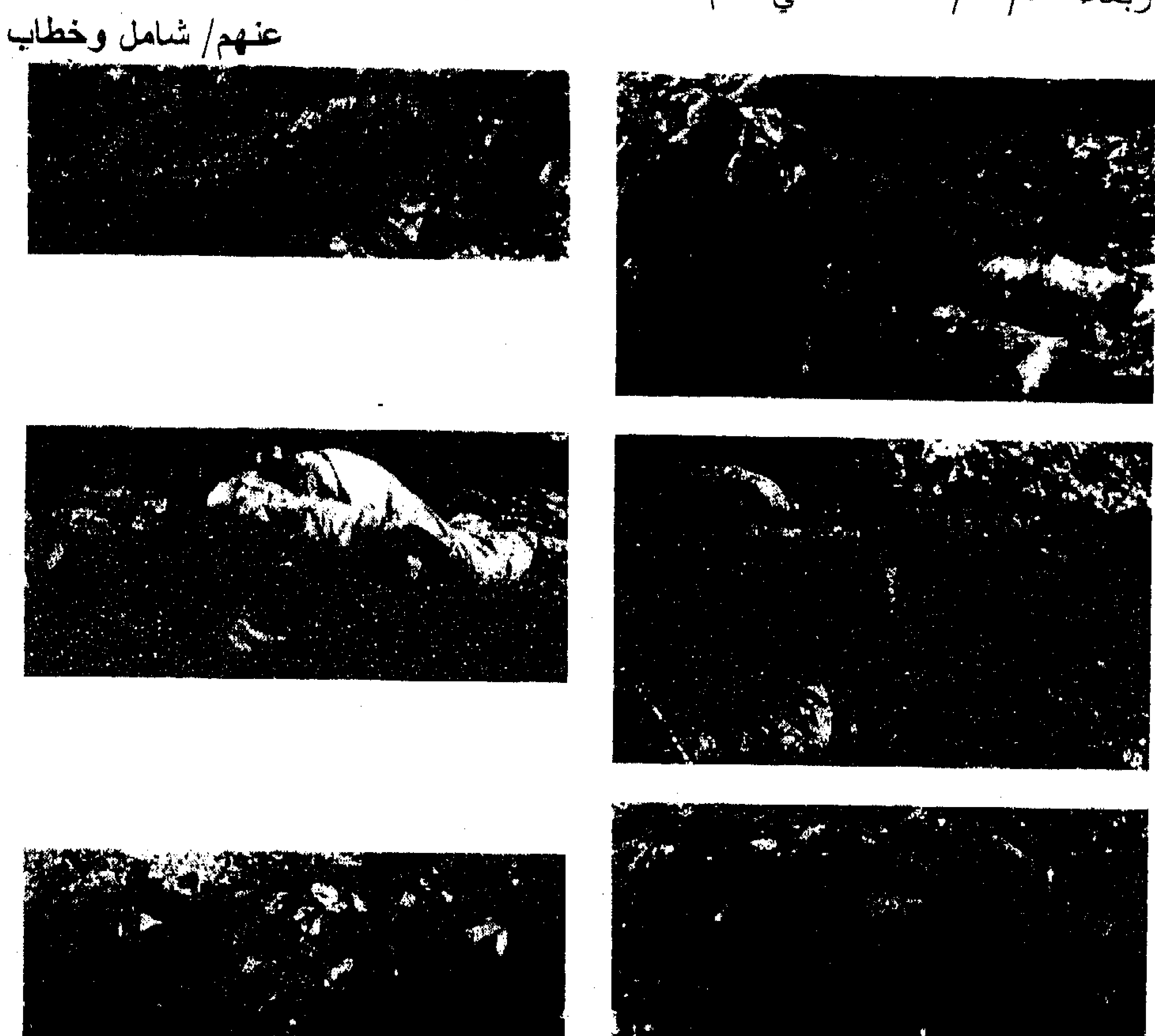
(عن المصدر السابق)

تنفيذ حكم الإعدام على الجنود الروس

موقع صوت القوقاز

تم بعون الله وتوفيقه الأمر الصادر من قادة المجاهدين بإعدام الجنود الأسرى التسعة اليوم الأربعاء ١٤٢٠/١٢/٣٠هـ في تمام الساعة الثامنة صباحاً.

عنهم/ شامل وخطاب



تم بحمد الله تنفيذ حكم الإعدام في الموعد المحدد سابقاً بالأسرى التسعة بعد انتهاء المهلة الممنوحة للحكومة الروسية من أجل تسليم العقيد المجرم، وهذه هي الرسالة الأولى التي تصل الحكومة الروسية بسبب ذلك المجرم ولازال بجعبتنا كثير من الرسائل، ولكننا سوف نمنح الرؤوس المتحجرة في موسكو مهلة لتلين قبل بعث الرسالة التي سوف نعلن عنها في حينها، ولتعلم الحكومة الروسية أنها بهذه الطريقة تعرض كثيرا من أفرادها لخطر الإبادة إذا لم تخضع وتستجيب للمجاهدين، الذين حملوا على عاتقهم الذود عن دين المسلمين وأعراضهم وأرضهم وأموالهم بكل طريقة يتيحها لها شرع الله الحنيف.



قوافل المجاهدين أثناء تقدمها للهجوم على مواقع الروس تحت الضباب الذي
لم ينقطع حتى تمكن المجاهدون من دخول مدينة أرقون دون أن يراهم
الروس بفضل الله وحده (وما يعلم جنود ربك إلا هو)

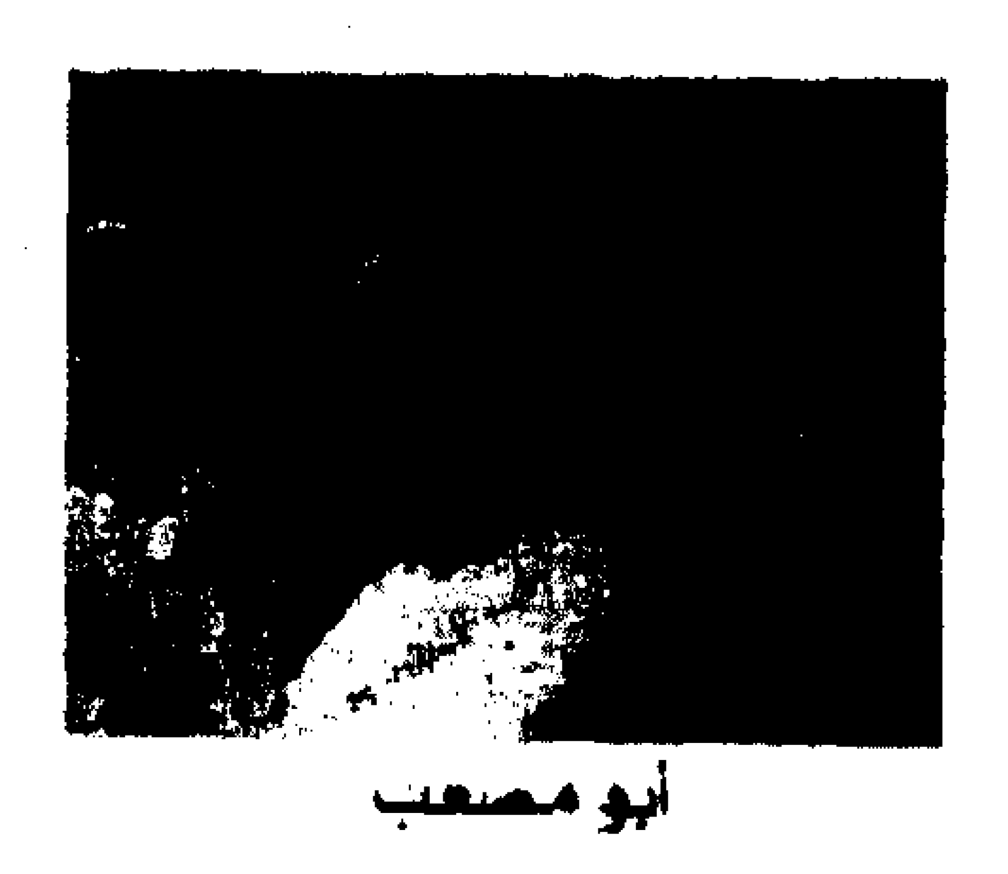


بعض قتلى الروس في المعارك الأخيرة



المجاهدون يخرجون الجنود الروس من خنادقهم

صور بعض الشهداء



أبو مصعب









حكيم







أبو طلحة الجنوبي

قائمة المحتويات

من المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- كتب السنة المطهرة.
- د. علي حسون ــ العثمانيون والروس ــ المكتب الإسلامي .
- د. محمود أبو العلا ــ المسلمون في الاتحاد السوفييتي سابقا ــ الأنجلو .
- د. محمد علي ضناوي ــ الأقليات الإسلامية في العالم ــ مؤسسة الريان .
- أسماء أبوبكر ــ المسلمون في دوائر النسيان _ دعوة الحق ــ رابطة العالم الإسلامي.
- محمد عبد الله السمان ــ محنة الأقليات المسلمة في العالم .
- د. محمد عبد العليم مرسي ــ أفغانستان المجاهدة ــ رابطة العالم الإسلامي .
- محمود شاكر ــ موسوعة التاريخ الإسلامي ــ المكتب الإسلامي .
- محمود شاكر ــ التركستان الشرقية ــ المكتب الإسلامي .
- محمود شاكر ــ التركستان الغربية ــ المكتب الإسلامي .
- محمود شاكر ــ اقتصاديات العالم الإسلامي ــ المكتب الإسلامي .
- محمود شاكر ــ العالم الإسلامي ــ المكتب الإسلامي .
- د. محمد صبحي عبد الحكيم، دراسات في جغرافية العالم الإسلامي، دار الشباب للطباعة.
- د. صلاح الدين الشامي، د. زين الدين عبد المقصود، جغرافية العالم الإسلامي، منشأة المعارف
- د. فوزي محمد طايل، آثار تفكك الاتحاد السوفييتي على أمن الأمة الإسلامية، دار الوفاء.
- د. محمد عبد القادر أحمد ــ الصراع في الشيشان .
- د. عبد الله عزام ــ آيات الرحمن في جهاد الأفغان ــ دار المجتمع للنشر والتوزيع ــ الخبر .
- د. عبد الودود شلبي ــ حول العالم الإسلامي ــ مركز الراية للنشر والإعلام ــ القاهرة .
- د. عبد الوهاب عبد الواسع ــ الأمة الإسلامية وقضاياها المعاصرة ــ الرياض .
- عبد الرحمن حسن حبنكة ــ مكايد يهودية عبر التاريخ ــ دار العلم ــ دمشق .
- مراد هوفمان ــ الإسلام كبديل ــ مؤسسة بافاريا .
- د. عبد العظيم المطعني ــ أوروبا في مواجهة الإسلام ــ مكتبة وهبة ــ القاهرة .
- محمد أحمد باشميل ــ غزوة مؤتة ــ دار الفكر ــ بيروت .
- أحمد عادل كمال ــ الطريق إلى دمشق ــ دار النفائس .
- مسعود الخوند ــ الموسوعة التاريخية الجغرافية ــ الجزء الأول ــ بيروت .
- مسعود الخوند ــ الموسوعة التاريخية الجغرافية ــ الجزء الرابع ــ بيروت .
- مسعود الخوند ــ الموسوعة التاريخية الجغرافية ــ الجزء الثامن ــ بيروت .
- د. عبد الحليم محمود ــ أوروبا والإسلام ــ دار المعارف ــ القاهرة .
- الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي ــ مكتبة علاء الدين ــ الإسكندرية .

- محمد بن صامل السلمي ــ منهج كتابة التاريخ الإسلامي ــ دار الوفاء .
- ميخائيل جورباتشوف وحكاية الانقلاب ــ ثلاثة أيام هزت العالم
- محمد بن ناصر العبودي ــ بلاد الداغستان ــ الرياض .
- سيد قطب رحمه الله ــ دراسات إسلامية ــ دار الشروق .
- إسلام كريموف ــ أوزبكستان على عتبة القرن الواحد والعشرين ــ ترجمة مفيد قطامش .
- أم القعقاع ــ أفغانستان مقبرة الغزاة .
- محمود شيت خطاب ــ الرسول القائد دار الفكر .
- د.طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت .
- صلاح الدين حافظ ــ أفغانستان الإسلام والثورة ــ المكتب المصري الجديث .
- فؤاد شاكر ــ البوسنة والهرسك مأساة شعب وهوان أمة ــ الدار المصرية اللبنانية .
- أحمد منصور ــ قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد ــ دار ابن حزم .

الدوريات:

- العالم الإسلامي ــ أعداد متفرقة من مجلات :
- المستقبل الإسلامي ــ الدعوة ــ الرابطة ــ الخيرية ــ الدعوة السعودية ــ الإصلاح الإماراتية .
- مجلة المجتمع الكويتية ــ منار الإسلام ــ الأمة القطرية ــ الوعي الإسلامي الكويتية ــ كشمير المسلمة.
- إصدارات المركز الإعلامي لصوت القفقاز .

كتب للمؤلف

- واقع العالم الاسلامى
بين تغريب التعليم ..
وكشف تخريب المتآمرين ..